اخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية

د/ صلاح أحمد عيد خليفة
استاذ التاريخ الإسلامى المساعد
كلية الاداب - جامعة المنيا

أخلاقيات الحـرب
في السيــرة النبـويــــة

إعـداد

دكتــور/ صلاح أحمد عيد خليفة

استاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية الآداب- جامعة المنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ...

أما بعد

لكم سررت بطرح رابطة العالم الإسلامي "موضوع "أخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية" للبحث والدراسة وذلك لأني وجدت فيه فرصة طيبة كي أكون أكثر قرباً من سنته (ﷺ) ثم لنساهم فى الرد على بعض الشبهات التي أثارها الغربيون وأمريكا فى حملاتهم المسعورة ضد الإسلام ونبي الإسلام. ومن هنا أقبلت على الدراسة فيه والقراءة بجدية لعلى أستطيع تحقيق بعض ما تمنيت ، والنتيجة كانت هذه الدراسة التي قسمتها إلى **فصول أربعة** ، تناولت فى **الأول** منها وهو بعنوان "محمد (ﷺ) رسول السلام ومبعوث الرحمة" كيف جاء محمد (ﷺ)بالسلام وعاش من أجله ، ثم كيف أوصل دعوته (ﷺ) بالسلام والرحمة إلى العرب خاصة وإلى العالمين عامة ، ورغم ما لاقاه (ﷺ)من عداوة وإيذاء لنرد و بهذا الفصل على شبهة انتشار الإسلام بحد السيف ولنثبت فى النهاية أن رسول الله (ﷺ) داعية سلام لا مؤجج حروب ولكن لما فرضت عليه الحرب وأذن الله له بالقتال ، خاضها (ﷺ) بمكارم أخلاق وأعد أصحابه لهذا السبيل جهاداً فى الله وهو ما بسطت فيه القول فى **الفصل الثاني** الذي هو بعنوان"أخلاقيات الأسباب والاستعداد " شارحاً بالتفصيل كيف أعد الرسول(ﷺ) أصحابه الكرام رضوان الله عليهم مادياً ونفسياً لخوض معارك الجهاد بأخلاق حسنة لتحقيق أهداف الرسالة السامية.

وفى **الفصل الثالث** وعنوانه "أخلاقيات المسلمين المحاربين" تناولت فيها بالتفصيل الأخلاقيات التي تحلى بها المجاهد أثناء حروبه مع الكفار والمشركين متتبعاً هذه الأخلاقيات قبيل وأثناء وبعد المعارك من المسارعة إلى النفير مروراً بالتوكل على الله والاستنصار به وإخلاص النية واليقين بموعوده والصدق معه وطاعة الأمير وتقدير المشورة والتريث وخفض الصوت والتحلي بالشجاعة والصبر والعزة على الكافرينعن طريق الخيلاء والتراحم المسدول على إخوانه المسلمين ، وختمت هذه الأخلاق بخلق التعفف والبعد عن الغلول، تلك الأخلاق التي ضبطت تصرفاته فى ساحات الوغي وغليان القتال ، فجعلته مثالاً يحتذي فى إطاعة أوامر الله وتجنب نواهيه وطاعة رسوله (ﷺ) فيما أمر ونهي.

أما **الفصل الرابع** والذي جاء فى البحث تحت عنوان "أخلاقيات المسلمين مع الأعداء فى الحرب" درست فيه كيف تعامل المسلم المجاهد مع محاربيه وأعدائه بما شرع الله وسن رسوله (ﷺ) من أخلاقيات إلتزمها قبيل وطوال المعارك وبعد انتهائها مثل الانتصار للحق وعدم التعدي والظلم ووجوب دعوة الأعداء إلى الإسلام قبل الحرب واحترام الرسل والحذر من الأعداء واستخدام الحيلة مع الشدة والغلظة فى التعامل مع المقاتلين دون المدنيين وتجنب المثلة والنهب والمسارعة إلى إجارة العدو وتأمينه ومحبة السلام والسرعة فى تلبية داعيه والوفاء بالعهود والمواثيق إذا تمت بينهم وبين الأعداء عهود كانت أو إعطاء أمان، ثم التخلق بالرحمة والرفق فى التعامل مع المدنيين الأسرى وانهيت تلك الأخلاقيات بأخلاقية الإحسان مع المقاتلين والمدنيين على حد سواء لنثبت أن تلك الأخلاقيات ما اجتمعت إلا في المجاهد المسلم وختمت البحث بمقارنة سريعة بين أخلاقيات المسلم وأخلاقيات مقاتلي من يسبون فى الإسلام ونبي الإسلام من الغربيين والأمريكان حيث أنه بالضد يعرف قدر الشئ لنثبت مكارم أخلاق المجاهد المسلم وذميم الأخلاق عند مقاتلى هؤلاء الذين أذاقونا ألوانا من العذاب فى تعاملهم معنا وحروبهم علينا خلال العصور الوسطى والحديثة والمعاصرة لنقول لهم رغم ذلك ندعوكم إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده لا شريك له امتثالاً لقول الله تعالى فى سورةآل عمران " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ "" واقتداء بسنة نبينا (ﷺ) الذي كان لا يرد على الإساءة إلا بالحسنة ولا على الأذى إلا بالدعوة الحسنة.

وقد اعتمدت فى هذا البحث على ما تيسر لي من مصادر ويأتي على رأسها كتاب الله العزيز ومتون الأحاديث الشريفة وكتب السيرة وغيرها من المصادر التاريخية وكذلك بعض المراجع الحديثة التي أضاءت لي كثيراً من نقاط البحث. وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين .

... والله أسأل التوفيق والسداد. .

د/ صلاح أحمد عيد

الفصل الأول
محمد رسول السلام ومبعوث الرحمة

١- محمد (ﷺ) رسول السلام

٢- دعوة الرسول(ﷺ) كيف كانت ؟

أ- دعوته (ﷺ) لقومه

ب-دعوته (ﷺ) للناس كافة

٣- شبهة السيف والعنف لماذا؟

الفصل الأول

محمد رسول السلام ومبعوث الرحمة

١- محمد رسول السلام

"اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام كلمات مباركات قالها رسول(ﷺ) دبر كل صلاة و عندما كان يدخل المسجد الحرام إيمانا و تصديقا بالله السلام الذي قال عن نفسه جل في علاه " هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[1]فهو المنزه عن النقائص و العيوب ،السالم من كل عيب، البريء من كل نقص ؛سالم مما يلحق خلقه من آفات التغير و الفناء و هو الباقي الدائم الذي يفنى الخلق ولايفنى وهو على كل شئ قدير ؛سبحانه سلم خلقه من ظلمه واستمتعوا بعدله وإنصافه فأرخى عليهم أمنه وسلامته في الدنيا والآخرة أي من آمنوا به وصدقوا رسله صارت لهم السلامة في الدارين[2]

وآيات القرآن الكريم أجلت لنا أن محمداً(ﷺ) دعى إلى الله السلام و وحدانيته ،وبين للناس طرق الوصول إلى حضرته والنجاة من النار والسلامة من غضبه وعذابه ، وذلك بإتباع السبل المستقيمة وهى سبل السلام قال تعالى " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

---

[1] سورة الحشر آية ٢٣.

[2] أبو الفضل محمود الألوسى: روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ،بدون ، جـ١٩ ، صـ١٩٨.

مُسْتَقِيمٍ "[1] وحمل ﷺ دعوة السلام من رب العالمين إلى عباده جميعاً معلماً إياهم أن الله السلام فى ذاته وصفاته وأفعاله قد أحاط عباده المتقين ورسله المبلغين وأتباعهم الصالحين في كل زمان ومكان بالسلامة في الدنيا والآخرة والرضا عنهم لكونهم مستسلمين له منقادين لجلاله مذعنين لعظمته خاضعين لحكمه وشرعه ،مؤمنين به ، مخلصين له ، وكانوا بهذا سعداء لأنهم عاشوا بالسلام وكانت تحيتهم فى الدنيا السلام قال تعالى " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ "[2] وقال جل فى علاه " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [3]،وسعدوا بها فى حياتهم الدنيا وتعاملوا بها مع عباده ، لكونهم هداة مهتدين ونلتمس ذلك فى آيات الله المحكمات قال تعالى فى سورة هود " قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ " " وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ " [4] وفى سورة الصافات قال تعالى " سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ " سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ " سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ "[5] وفى سورة الحجر " إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ "[6] وفى سورة مريم " وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا " ، " وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"[7] وفى سورة طه " فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى "[8] وفى سورة الفرقان " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "[9] وسورة القصص " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ

---

[1] سورة المائدة الآيات ١٥-١٦.

[2] سورة القصص آية ٥٥.

[3] الفرقان آية ٦٣.

[4] الآيتين ٤٨ ، ٦٩

[5] الآيات ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٢٠

[6] الآية ٥٢

[7] الآيات ١٥ ، ٣٣

[8] الآية ٤٧

[9] الآية ٦٣

أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ "[1] وفى سورة النمل " قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ "[2] وفى سورة الزخرف " فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ "[3] وفى سورة الأنعام " وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[4].

وإذا توفاهم الله يتوفاهم بسلام طيبين وتبشرهم الملائكة بالجنة كما أوحى اليه ربه قائلا " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "[5] وذلك لأنهم لبوا نداء الله لهم بأن تبعوا الرسل ويعملوا صالحا لكى يدخلوا دار أعدت لهم وهى دار السلام " وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ "[6] "ومن يستجب للرسل ويعمل صالحا سيلقى ربه فى أمن وسلام تامين عند اللقاء ويوم البعث والنشور ويحييهم ربهم بالسلام "تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا "[7] ثم يكون مآلهم ومثواهم كما وعدهم ربهم وعدا صدقا وعدلا دار السلام جنة عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىقلب بشر وهى دار كرامته يدخلونها بسلام آمنيين كما قال الله تعالى ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ"[8]

ويتلقون تحية السلام من رجال الأعراف ومن الملائكة خزنة الجنة قال تعالى فى سورة الأعراف " وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ "[9] " وفى سورة الزمر " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى

---

[1] الآية ٥٥

[2] الآية ٥٩

[3] الآية ٨٩

[4] الآية ٥٤.

[5] النحل ٣٢.

[6] يونس ٢٥.

[7] الاحزاب ٤٤.

[8] ق ٣٤.

[9] الاعراف آية ٤٦.

الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ "[1] وعند استقرارهم فى الجنة يكون تحيتهم السلام كما قال عز وجل فى سورة يونس " دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[2] " وفى سورة إبراهيم " وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ "[3]

وفى دار السلام يتمتعون وينعمون بما وعدهم ربهم من ملذاتها ونعيمها والعيش فيها بسلام قال تعالى " سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ "[4] ،، " لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا "[5] ،، " أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا "[6]

إذا الله هو السلام أرسل أنبياءه إلى أقوامهم بالسلام ليدعو عباده إلى العيش بسلام وإلى دار السلام فى الآخرة ومحمد (ﷺ)رسول السلام وأرسل معه قرآنا يدعو إلى السلام ويهدى إلى سبل السلام ليخرج الناس من ظلمات العدوان والوقائع والحروب والمخاصمات إلى نور السلام والمحبة والوئام بما يوصلهم فى الآخرة إلى دار السلام وجعل له (ﷺ) شريعة يهتدي بها فى دعوة الخلق قال تعالى " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ "[7].

٣- دعوة الرسول (ﷺ) كيف كانت ؟

فما بال أقوام من المتقدمين والمتأخرين من المغضوب عليهم والضالين الذين أفرطوا فى العقلنة أو حتى الروحنة "اللاهوت" أساءوا الظن بهذا النبي الكريم فى شخصه وفى رسالته السمحة وشككوا فى طريقة تبليغه الدعوة ونشر دين الله فى العالمين ، فما جاء بشىء جديد

---

[1] آية ٧٣.

[2] آية ١٠.

[3] آية ٢٣.

[4] الرعد ٢٤.

[5] مريم ٦٢.

[6] الفرقان ٧٥.

[7] سورة الجاثية آية ١٨.

وما نشر عقيدته إلا بالقوة واستخدام السيف. ترهات نسمع بها بين الفينة والآخرى منذ بعثته (ﷺ)حتى الآن ، ولكن ما يهم موضوعنا الآن كجزء للرد على هذه التخريفات هو تبيان كيفية تبليغ الرسول الكريم (ﷺ)دعوته ورسالته للعالمين حتى تتبين الأمور لمن يريد فهم ومعرفة الحقيقة، لا دفاعاً عن محمد (ﷺ)الذي لا يحتاج إلى مثل هذا منا، بل هو رسول رب العالمين حقاً وصدقاً وعدلاً بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة التي كلف بها ونصح للعالمين فكان الناصح الآمين فاهتدى به من أراد الله هدايته، وشقى من خالفه وكذبه لما أراد الله به من الشقاء فى الدنيا والآخرة.

بداية ما بلغ رسالة ربه ونشر دعوته فى العالمين إلا بالسلام فما استعمل القوة ولا السيف فى إرهاب العالمين لا تباعه، بل سار فى دعوته كما أمره ربه بذلك قائلاً له جل فى علاه[1] كما أرسله ربه تبارك وتعالى بشيراً ونذيراً " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[2] يبشر(ﷺ)من اهتدى بهديه بالجنة دار السلام وينذر الذين خالفوا أمره وتنكبوا الصراط بجهنم وساءت مصيراً ، وكما كان(ﷺ)يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الله مبشراً ومنذراً ويحاور الناس فى دعوته بالتي هي أحسن من وسائل التحاور أو حتى الجدال المثار من جانب القاسية قلوبهم والمنغلقة أفئدتهم واتبعوا أهواءهم. كان (ﷺ)رحمة للعالمين " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "[3]

وجاء فى التفسير[4] أن الله أرسل محمدا(ﷺ) رحمة للعالمين فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد فى الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها حشر فى الدنيا والآخرة وقال الله تعالى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ "[5] ربما يقول متفلسف إن هذه آيات قرآنية نظرية لم تتحقق على أرض الواقع وأنها

---

[1] سورة النحل آية ١٢٥ "ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ""

[2] سورة سبأ آية ٢٨.

[3] سورة الأنبياء ١٠٧.

[4] -أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى : تفسير القرآن العظيم ، حـ٥، تحقيق سامى محمد سلامة ، دار طيبة ١٩٩٩ ، صـ٣٨٤.

[5] سورة إبراهيم ٢٨-٢٩.

خولفت فى تاريخ محمد نفسه، نقول لهم إخسئوا ولا تكلمون فقد أنبأنا الله بحقيقتكم وحذر رسوله من أمثالكم فإنكم تسيرون وراء أهوائكم ولا تعلمون شيئاً " قائلاً جل في علاه " ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون"[1]، فما كان لرسول(ﷺ)أن يخالف أمر ربه الذي قال له " فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ "[2]

وأقول لكم تعالوا بنا نغوص فى سيرته(ﷺ)وتاريخه لنثبت أنه (ﷺ) رحمه مهداه ونعمة مسداه ليس للعرب فقط ولكن للعالمين كافة وما دعى إلا بالحكمة والموعظة الحسنة وما نشر رسالته إلا برحمة ومودة وإقناع أيضاً، وحتى لا تختلط عليكم الأحداث وتغرقون فى وسط مواقفه وحياته المليئة بالرأفة والرحمة والحكمة والموعظة الحسنة، تعالوا ندرس كيفية الدعوة فى نقطتين رئيسيتين :

أ- دعوته (ﷺ)لقومه . ب- دعوته (ﷺ) للناس كافة.

أ- دعوته (ﷺ)لقومه:-

أرسله الله سبحانه وتعالى على رأس الأربعين بعد أن أعده(ﷺ)لحمل الرسالة وتبليغ الدعوة إلى الله ما أرسله طاغياً جباراً ولامتسلط ولا إرهابياً يجبر الناس على الدخول فى دينه ولا حاملاً لسيف يرعب به الناس ليدخلوا خوفاً فى دعوته، وإنما دعا(ﷺ) الناس بلسانه وبلغهم بما أنزل عليه من ربه وبشرهم بالجنة إن اتبعوه وصدقوه ونبذوا الشرك وما هم عليه من باطل وأنذرهم النار وعذابها إن ظلوا فى طغيانهم يعمهون فانظروا ماذا حدث له(ﷺ) أوذي وعذب من أهله وعشيرته ، ولما اتبعه ضعفاؤهم لم يتقو بهم(ﷺ) ليرفع راية القوة فى وجه أولئك الكافرين المشركين بل ناله ونالتهم أيدي الأذىوالتعذيب بما هومشهور فى كتب السيرة والتاريخ، وفى كل هذا ما زاد(ﷺ) على أن قال "اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون"[3] ، وفى نفس الوقت لم يقبل منهم إغراءاتهم المادية ولامحاولاتهم النبيلة أوالخسيسة لإثنائه عن

---

[1] سورة الجاثية ١٨.

[2] جزء من الآية ١٥ الشورى.

[3] – البغوى: معالم التنزيل ، جـ٧، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة سنة ١٩٩٧م صـ١٥ ، القاضي أبوالفضل عياض اليحصبي :الشفا بتعريف حقوق المصطفى،حـ١،دار الفكر،بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م،صـ١٠٥،الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ،جـ١ ،تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، على محمد ، بيروت سنة ١٩٩٣م ، جـ٧ ،صـ٢١ ،٢٢.

دعوته وفى هذه الفترة الطويلة من الدعوة تعددت المواقف الدالة على محبته للسلام وعلو رحمته بقومه رغم شركهم وعنادهم فتأملوا معي وهو ينظر إلى اتباعه الكرام وهم يعذبون بمكة وعيناه تفيضان بالدموع ولا يملك سوى أن يدعوا الله لهم ويقول لهم (ﷺ) ما يعينهم على ما هم فيه ويساعدهم على مواصلة الصبر[1] وكان بإمكانه(ﷺ) لو أراد أن يستعين بقوة خارجية كانت تطمع فى الجزيرة العربية حتى يركع هؤلاء وينتقم منهم كما آذوه هووصحبه ويصير ملكاً على مكة والجزيرة كلها كما حاول عثمان بن الحويرث قبل بعثته(ﷺ)[2] ولكن ما جاء(ﷺ) ليكون ملكاً له الحكم والسلطان وإنما بعث(ﷺ) رحمة لهؤلاء فصبرعليهم كما صبر أولو العزم من الرسل لأنه(ﷺ) لاقى ألواناً من الإذاية بالذات من عتاة قريش وأشقيائها وطواغيتها فمنهم من بصق على وجهة ومنهم من سبه ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من طرح عليه القاذورات والنجاسات وكل رديء،وفيهم من وضع الأشواك أمام داره ولم يتركوه

---

[1] راجع فى ذلك أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري : السيرة النبوية ، حـ١، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دارإحياء الكتب العربية القاهرة ، بدون تاريخ صـ٢٣٦:٢٣٨، الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى: الدرر فى اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة بدون طبعة الثالثة صـ٤١ وما بعدها، برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون، حـ١، دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٠هـ صـ٤٨٣ ،شيخ الإسلام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: البداية والنهاية، جـ٣ ،تحقيق على الشيرى ،دار إحياء التراث ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م صـ٧٦ ، شمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء ،حـ١، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، حسين الأسد بيروت ١٩٩٣ صـ٤٠٩، أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني: الإصابة فى تمييز الصحابة ، حـ٤، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٢م، ١٤١٢هـ صـ٢٠٢ ، ٤٣٤ ،أبوالحجاج يوسف بن الذكى عبد الرحمن المزى : تهذيب الكمال ،حـ٢١، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠ م/١٤٠٠هـ صـ١٠٥ ، الصالحى: سبل الهدى ،حـ٢ ،صـ٣٦٠ ،أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير: الكامل فى التاريخ، حـ١ ، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ،صـ ٥٨٨:٥٩١، ابن قيم الجوزية :زاد المعاد فى هدى خير العباد ، حـ٣ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة ، ومكتبة المنار، القاهرة سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص ٢٢،٢٣... وغيرها من المصادر .

[2] الذي راسل قيصر الروم ويقال أنه ذهب إليه لكي يتوجه ملكاً على مكة فوافقه قيصر على أن يحملهم على النصرانية ولكن أهل مكة أبوا عليه ذلك إباء شديداً راجع فى ذلك كتابنا : نظرات فى تاريخ عرب الجزيرة قبل البعثة المحمدية ، القاهرة ، المنيا سنة ٢٠٠١ ص ٥٦.

حتى وهو يتعبد لربه فمنهم من وضع قدمه على عنقه حتى ظن الرسول أن عينيه ستندران أي تسقطان وهذا العتل نفسه هو الذي جاء بسلي جزورفألقاه على رأسه وهوساجد حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها وأزالتها[1]وربما اجتمعوا عليه وضربوه وهو قائم يصلى وهو في كل هذا صابر محتسب لايواجههم إلا بالقول الحسن والعتاب الرقيق راجياً من الله هدايتهم ولكن الله في هذه المرحلة كفاه الرد عليهم ويسر له ما يذب عنه رحمة منه وفضلا.[2] ولما أحب (ﷺ) أن يبلغ دعوته بالطائف قوبل بمثل ما قوبل به في مكة وأذاه أهلها وردوه رداً قبيحاً مستهزئين ساخرين[3] حتى أنه رجع وما راعى نفسه إلا وهو فى قرن الثعالب قريباً من

---

[1] وهو الملعون عقبة بن أبي معيط .

[2] من الملائكة والبشر على حد سواء فضلاً عن ما كان يظهر لمن تعرض له بالأذى من نيران وحيوانات مفترسة مخيفة بما هو ثابت فى سيرته (ﷺ).

[3] عن ذهابه (ﷺ)إلى الطائف ومالقاه من أهلها راجع : - ابن هشام :السيرة ،صـ٤٦ ، محمد بن سعد بن منيع الزهري : كتاب الطبقات الكبرى، حـ١ ،تحقيق إحسان عباس ،بيروت ١٩٦٨ ،ط ١ صـ٢١٠ ،ابن كثير : السيرة النبوية ، حـ٢ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة، بيروت ، لبنان ١٣٣٦ هـ / ١٩٧١ صـ١٥٠ وما بعدها ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، حـ٢ ،تحقيق نخبة من العلماء، طبعة ليدن سنة ١٨٧٩ صـ٨٠ – ٨١ ،محمد بن عبد الله بن يحيى ابن سيد الناس:السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والسير،مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،بيروت١٤٠٦هـ/١٩٨٦م،حـ١،صـ١٧٥وما بعدها، الصالحى : سبل الهدى ، صـ ٤٣٩ : ٤٤٢ ،أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، م٤ ،تحقيق عمرعبد السلام السلامي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ،صـ٢٣ و ما بعدها ، الحلبى : السيرة الحلبية ،حـ٢ ، صـ٥١ وما بعدها ، ابن عبد البر : الدرر صـ ٦٢ :٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ٣ ،صـ ١٦٦:١٦٨ ، ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ،حـ١ صـ ٦٠٧ – ٦٠٨

مكة لشدة ما حدث له من سفهاء الطائف وصبيانهم وقبيح رد سادتهم على دعوته وقد ظللته سحابة فنظر فإذا هو جبريل عليه السلام منادياً إياه قائلاً له "إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه ثم قال : يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت. فرد نبي الرحمة ورسول السلام (ﷺ)، أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً[1].

ولنفترض أن أحداً من العالمين مكانه وحدث له ما حدث من الأذى بأنواعه ، ثم عرض عليه هذا العرض وتهيأت له فرصة الانتقام والتشفي ممن آذوه وطردوه نجزم أنه لن يتردد لحظة فى اغتنام هذه الفرصة ليأخذ بثأره وينتقم لنفسه وأصحابه ولكن نبي الرحمة ورسول السلام صبر صبراً جميلاً. مريداً لهم الهداية ، متناسياً ما كن منهم ، حابساً عنهم عذاب الله وانتقامه سادلاً عليهم أمان الله فى الأرض متمنياً لهم ولذريتهم الهداية والتوحيد .

ويلاحظ خلال هذه الفترة المكية من الدعوة إلى الله أن أحدا لم يحاول التخلص من الرسول (ﷺ) بالقتل مثلاً وما كان ذلك إلا لأن سلوك الرسول(ﷺ) رسول السلام لم يدفع أحداً على تنفيذها وإنما سلوكه وعظمته وكريم أخلاقه كانت حائلاً دون ذلك .

زد على ذلك أنه(ﷺ) لم يحرص على الانتقام لنفسه وذلك ترفعاً منه(ﷺ) عن أولئك المعتدين وعلو قدرة على أولئك السفهاء الذين آذوه ، فهو المشهور بينهم بالصادق الأمين لا كما تخرج ألسنتهم من معايب مخترعة وأسماء مفتراه كأن يقولوا ، الشاعر، المجنون، الكذاب ...الخ وما يفعلونه هذا كان تجبراً واستعلاءً وتكبراً وهي أمراض نفسية تحط من أصحابهم

١راجع البخارى : الجامع الصحيح تحقيق د/ مصطفى ديب ، بيروت سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م رقم ٣٠٥٩ ، مسلم : صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، بيروت رقم ١٧٩٥ النسائى : سنن النسائى الكبرى حـ٤ تحقيق د/ عبد الغفار سليمان البندارى ، سيد كسروى ، بيروت سنة ١٩٩١ ، رقم ٧٧٠٦ .ابن حبان : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط بيروت سنة ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م رقم ٦٥٦١ ، الطبرانى : المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن ابراهيم الحسين القاهرة ١٤١٥ رقم ٨٩٠٢ .

كثيراً حتى ولو كانوا من سادة قومهم ، وشيء ثالث يجب إثباته هنا هو أن أغلبهم يعرفون قدر محمد(ﷺ) وعندما يختلون بأنفسهم لا يذكرونه إلا بالخير[1] ويعلمون أنه على الحق المبين ولذا لم يفكر أحدهم إلا في المعارضة والأذاية دون قتله وسفك دمه. أما أصحابه الكرام الذين يمكن أن ينالهم هذا الأمر وخاصة أن أغلبهم كانوا من المستضعفين فقد خشى عليهم رسول الله وألجأته شدة الإيذاء لهم أن يأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم وحفاظاً على أرواحهم ورحمة بإنسانيتهم وهناك في الحبشة دارت حرب سلمية فيها المكر والخديعة استعملتها قريش على هؤلاء المهاجرين ولاستمالة نجاشي الحبشة لأبعادهم عن بلاده سيراً في خطة تضييق الخناق ومناطحة الحق ولكن الحق أبلج واضح، أظهره الله على لسان جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي بما يوضح صدق العقيدة ومصداقية الرسالة ورحمة حاملها بقومه ، الذي أراد أن يخرجهم من ظلمات الشرك والتعدي على بعضهم البعض والتظالم فيما بينهم إلى نور التوحيد وإشاعة الأمن والسلام في هذا المجتمع وذلك عن طريق ما أتى به الإسلام للقضاء على رذائل هذا المجتمع والأمر بإتيان أحسن الأخلاق[2] لما فيها من رحمة حملها نبي الرحمة ورسول السلام لتكون أسلوباً للحياة والتعايش بين الناس، وهو ما رفضته كفار قريش وأرسلوا من يمكر بهم عند النجاشي ويتقول عليهم وعلى رسولهم بما ليس فيهم وهو ما لم ينخدع به النجاشي، ويتحقق له بعد ما واجه الطرفين وحاور أمير المهاجرين جعفر بن أبي طالب، فلم تفلح مكائدهم في الحبشة وعاش أولئك المهاجرون في أمن عند النجاشي مما زاد

---

[1] -راجع البخارى صحيح رقم ٣٤٣٣ ، الإمام أحمد بن حنبل : مسندَ أحمد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، بدون ، تحقيق شعيب الأرنؤوط رقم ٣٧٩٤ ، الحاكم النيسابورى : المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٠ رقم ٣٢٣٠،القاضي عياض: الشفا،جـ١،صـ٣٥٦.

[2] والتي عدد بعضها جعفر رضى الله عنه عند ما سأله النجاشي عماجاء به محمد (ﷺ) فقال له إنهم بعد أن كانوا قوم جاهلية يعبدون الأصنام ويأكلون الميتة ويأتون الفواحش ويقطعون الأرحام ويسيئون الجوار ويأكل القوي الضعيف ، جاءهم الرسول (ﷺ)الصادق الأمين العفيف بالوحدانية ونبذ الأوثان والأصنام وصدق الحديث وآداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهى عن الفواحش وقول الزور ... إلخ راجع نص الحوار صـ٣٤-٣٥ من البحث.

من غضب قريش وحنقها واشتداد أذاها للرسول وصحبه الذين لم يستطيعوا الهجرة ويزداد مع ذلك صبر الرسول على دعوته.

ما نود قوله أن الرسول(ﷺ) فى هذه المرحلة كان على مستوى مسئولية الدعوة فجعل أخلاقياته وسلوكياته نبراساً يهتدى به فى ظلمات الفتن وحوالك التعدي والاعتداء، فهو رسول السلام برسالة إنسانية تسلح بأسلحة السلام لتنجح دعوته ويكون هو نفسه مثالاً فى تطابق أقواله ودعوته للخير أفعاله وتصرفاته، فعلا على قومه وأعدائه بهدوئه واتزانه ورزانته وصفحه الكريم وعفوه الصادق وحلمه الواسع وأسلوبه الرحيم وعتابه الرقيق، ولم لا وقد وصفه ربه قائلاً عز وجل " وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ "[١] ثم أنه أتبع أمر ربه فى سبيل تبليغ الدعوة الذي خاطبه "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[٢] وقال له(ﷺ)" خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ "[٣] وقال له عز وجل " فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ "[٤] فعلت نفس الرسول(ﷺ) بحقيقتها التي هي حقيقة رسالته عن كل أذى وإيذاء وارتفعت فوق الصعاب وما وضعته قريش من عقبات تعيق به توصيل الرسالة لتؤدي ما عليها بالحكمة والموعظة الحسنة وصابر الرسول الكريم على دعوته وتحمل هو أصحابه حتى يفرج الله عليه وعليهم فكان يخرج(ﷺ) لدعوة القبائل حول مكة للإسلام وتلك التي تأت وفودها للحج، فما استجابت له قبيلة ، بل أن البعض رد ردوداً قبيحة واشترط اشتراطات معينه فيها حب الدنيا وبغية التملك والسلطان، ومع ذلك لم يقبح لهم الرسول ولم يقابل الإساءة بأختها ، بل كانت ردوده(ﷺ) فيها المحبة والرغبة الصادقة فى أن يرقق الله قلوب هؤلاء لتلبية داعي الله مبيناً لهم أن الأمر كله بيد الله تبارك وتعالى فلما دعا بني عامر بن صعصعة قال له رئيس وفدهم : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون الأمر لنا بعدك ؟ فلم يقل الرسول سحقاً لكم أو قال لا ، إنما قال الرحمة المهداه(ﷺ) : الأمر لله يضعه حيث يشاء وتقول الرواية أن هؤلاء القوم ندموا على عدم الاستجابة له(ﷺ) إذ لما رجعوا إلى ديارهم سألوا كبيرهم ولم يواف معهم الموسم،

---

[١] القلم آية ٤.

[٢] هود ١١٢.

[٣] الأعراف ١٩٩.

[٤] الشورى ١٥.

فوضع يديه على رأسه وقال لهم "والذي نفسي بيده ما تقولها إسماعيلي قط ، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟[1]

ولكن الله سبحانه وتعالى فرج عليه وعلى المسلمين بأن تفتحت قلوب أهل يثرب لدعوته قال تعالى " أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ "[2] واستجابوا للإسلام ، متمنين السلام الذي افتقدوه على مر الأيام والدهور وعانوا من الفرقة الاجتماعية وملمات الحروب والوقائع والأيام فيما بين حبيبهم من الأوس والخزرج، وبينهم وبين اليهود قبل ذلك ،ولذا ساد مجتمعهم القلق الاجتماعي والاضطراب السياسي والتخبط العقدي، فلما استجابوا لله ورسوله عقد معهم(ﷺ) بيعتي العقبة الأولى المعروفة ببيعة النساء[3] والثانية تلك التي بايعوه فيها على الحماية والنصرة والحرب ضد الأحمر والأسود[4] ولما علمت قريش بذلك جن جنونها وأرادت الفتك بهم لأن محمداً بذلك قد وحد الأنصار ومن يشتد ظهره به ، ولكن الأنصار كانوا على أتم استعداد لحرب قريش إذ قال أحدهم "والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى باسيافنا" فقال رسول الله(ﷺ) نبي الرحمة ورسول السلام "لن نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم فرجعوا"[5]

---

[1] أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، حـ ٢ ، صـ٨٤ ، أبو الفدا إسماعيل بن كثير: السيرة النبوية ، جـ٣ ، صـ ١٥٨، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ٣، صـ ١٧١، الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ، جـ٢ ، صـ ٤٥٦، السهيلي :الروض الأنف، م٤،صـ ٣٣.

[2] الأنعام آية ٨٩.

[3] عن هذه البيعة راجع : ابن هشام : السيرة ، حـ٢ صـ ٥٤- ٥٨ الطبرى : تاريخ حـ٢ صـ٨٥ وما بعدها، ابن كثير : البداية والنهاية حـ٣ صـ١٧٠ وما بعدها. ابن سيد الناس :عيون الأثر،جـ١ ،صـ٢٠٥،الصالحى : سبل الهدى حـ٣ صـ ١٩٤، السهيلي :الروض الأنف ، م٤،صـ٤٤وما بعدها،

[4] الطبري : المصدر السابق صـ ٩٦ وما بعدها، ابن كثير : البداية ، حـ٣ صـ ١٩٤ وما بعدها ، ابن سيد الناس :عيون الأثر،حـ١ ،صـ٢٠٧وبعدها،الصالحي : المصدر السابق، صـ ١٩٧ وما بعدها، السهيلي: الروض الأنف،م٤ صـ ٧٠ وما بعدها .

[5] ابن هشام : السيرة ، حـ ٢ ، صـ ٦٥ ، ابن جرير الطبري : تاريخة ،حـ ٢ صـ ٩٤، ابن كثير : البداية ، حـ ٣ ، صـ ٢٠٠ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ١ صـ ٦١٤، الصالحي : سبل الهدى ، حـ ٣ ، صـ٢٠٦ ،السهيل : الروض الأنف ، م٤،صـ٧٨-٧٩.

بعدها فرج الله على مسلمي مكة بأن أمرهم رسول الله(ﷺ) بالهجرة إلى يثرب بعد أن صار لهم بها أخواناً وفشا الإسلام فيها بجهود المقرئ مصعب بن عمير وأخوته من أصحاب البيعة ، ثم تبعهم(ﷺ) بهجرته الميمونة بعد أن ازداد حنق قريش واجتمعوا فى دار ندوتهم مصممين على التخلص من محمد(ﷺ) بكيد الشيطان[1] ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فإذن الله لرسوله بالهجرة إلى يثرب ، فتمت بفضل الله وعنايته وصار الأنصار أهل المدينة من الأوس والخزرج والمهاجرون من أهل مكة بنعمة الله إخواناً وصاروا جميعاً جنداً لدعوة السلام فى الجزيرة العربية ، ولم لا وقد جمعهم رسول السلام حول أول كلمات قالها فى المدينة وهي "يا أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام"[2]

وعلمهم كذلك أن "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[3] وأن المؤمنين كرجل واحد" إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله"[4] ، "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"[5] وقال لهم أيضاً معلماً "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً

---

[1] حتى دلهم الشيطان على قتل محمد رسول الله (ﷺ)على يد مجموعة مختارة من شباب القبائل حتى يتفرق دمه ولا يستطيع أحد لمطالبة به ابن هشام : المصدر السابق ، صـ ٨٧، ابن كثير : السيرة ، صـ ٢٠٤ ،الحلبي : السيرة الحلبية ، حـ١ ،صـ ٢٣١ ، حـ٢ ، صـ ١٨٩ - ١٩٠ ، ابن الأثير :الكامل ،حـ٢ ، صـ ٣- ٤ ، ابن كثير : البداية ،حـ٣ ،صـ ٢١٥ ،السهيلي: الروض الأنف ، م٤، صـ١٢٢وبعدها.

[2] الطبراني : المعجم الأوسط ٥٤١٠ ، الترمذى : سنن الترمذى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون ٢٤٨٥ ، مسند أحمد رقم٢٣٨٣٥.

[3] المستدرك ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٢٠٠، البيهقى : شعب الإيمان . تحقيق محمد السعيد بسيونى ، بيروت سنة ١٤١٠ هـ طـ١ ، رقم ١١١٢٣.

[4]مسلم ٢٥٨٦ ، مسند أحمد ١٨٤١٧ ، ١٨٤٥٧ ، شعب الإيمان ٧٦٠٧ ، أبو نعيم الاصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، حـ٤ ، بيروت سنة ١٤٠٥هـ، ط٤،صـ١٢٦.

[5] البخارى : صحيح البخارى ، رقم ٤٦٧ ، ٢٣١٤ ، ٥٦٨٠ ، مسلم ٢٥٨٥ ، النسائى : السنن الكبرى ٢٥٦٠ ، ٢٣٤١ ، الترمذى : ١٩٢٨.

ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[1] المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عليه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة[2]وغيرها من الأحاديث التي جعلتهم بالفعل إخواناً وأشاعت فى مجتمعهم الأمن والأمان والمحبة والسلام .

ولكن قريش عز عليها أن يكون أولئك المطرودين مجتمعاً يسوده السلام ويعمره الإيمان يقوده نبي الرحمة ورسول السلام فأبت إلا أن تنغص عليهم حياتهم الجديدة فلم تدعهم وشأنهم بل بدأت الدماء تغلي فى عروق رجالاتها واستعر حقدهم وتأجج حسدهم واشتد غيظهم ، فآلوا على أنفسهم إلا القضاء على دولة الإسلام بالمدينة فى مهدها حتى لا تضيع مكانتهم بين العرب أو يفقدوا حظوتهم بين العالمين أو تمس هيبتهم فى أعين الأمم المجاورة ، فابتغوا سبل الضلال وساروا فى طرق الحرب والقتال آخذين على أنفسهم العهود بعدم السكوت حتى ينالوا من محمد والمسلمين ، فى الوقت الذي أذن الله لنبيه بالقتال ما تعرضوا له من ظلم وما يتعرضوا له . ومن هنا خاض الرسول الكريم(ﷺ) ضد من ركبوا رءوسهم واشتد عنادهم وصمموا على السير فى كفرهم ، من أجل الدفاع ونشر العقيدة ولكن كان لهذه الحروب أخلاقيات ومبادئ سدتها الشرع ولحمتها الرحمة تلك التي أودعها الله قلب الرسول(ﷺ) ، فخاض تلك الحروب مع كفار قريش بقلب محب رحيم عزيز عليه موقف قومه من دعوة التوحيد ، حريص على إعادتهم إليها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ورغم أن الحروب استعرت بينه وبينهم وصارت سجالاً بين الطرفين لمدة طويلة حتى ظهر فيها رسول الله والمؤمنون ودخلوا مكة رافعين راية الحق مبطلين الضلال ومزهقين الباطل، إلا أنه خلال هذه الفترة التاريخية الطويلة أثبتت سيرته العطرة صدق محبته الهداية لأولئك المعاندين من قريش ومن لف حولهم من الأعراب وبدت مواقف الرحمة جلية، واتباع سبل السلام وكراهية الحرب وسفك الدماء واضحة مما لو تتبعناه لطال الحديث فيها ولكن سنأخذ بعضها لنضعها أمام

---

[1] البخارى : ٥٧١٨ ، ٥٧٢٦ ، مسلم ٢٥٥٨ ، أبو داود السجستانى : سن أبى داود ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بدون رقم ٤٩١٠ ، الترمذى : ١٩٣٥ ، ابن حيان : ٥٦٦٠ ،البخارى : الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، بيروت ١٩٨٩ رقم ٣٩٨.

[2] البخارى : صحيح ٢٣١٠ ، مسلم ٢٥٨٠ ، ٢٦٩٩ ، الطبرانى : المعجم الكبير ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، الموصل سنة ١٩٨٣ رقم ١٣١٣٧.

الحاقدين والمرجفين ولكنها شواهد ومواقف لتقطع أمام حتى من لا يعي ولا يفهم ولا يتدبر ولم يقرأ سيرته أنه ما جاء إلا بالسلام وما بعثه الله إلا رحمة للعالمين وأثناء هذا الطريق الطويل ما ترك دعوة غيرهم إلى الإسلام دعوة الخير والمحبة والسلام وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة دون إجبار أو إرهاب.

فيروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال "ما قاتل رسول الله(ﷺ) قوماً حتى دعاهم"[1] كما كان(ﷺ) يحب أن يأتيه أهل المدر والوبر مسلمين خير له من أن يأتوه هم ونسائهم وذراريهم أسارى حرب أو تقتل رجالهم "[2] فالدعوة إلى الله أساس حروبه ومحبته الخير للناس وهدايتهم كان همه الأول(ﷺ) ، لا الحروب وما ورائها من مغنم ونصر ، تخيل معي وهو مهاجر مطارد بين مكة ويثرب يدعو من يقابله إلى الإسلام وكان الأولى بمثله(ﷺ) أن يتخفى أو يتنكر ويتوارى حتى يصل سالماً، فيروى عنه(ﷺ) أنه لما أراد اختصار الطريق من مكة إلى يثرب قال له سعد داله على هذا الطريق (طريق ركوبه) أن به لصان من أسلم يقال لهما المهانان فإن شئت أخذت عليهما فقال له رسول الرحمة والسلام "خذ بنا عليهما" فلما أقبل عليهما دعاهما وعرض عليهما الإسلام أسلما ولما سألهما عن أسميهما قالا: المهانان" فقال(ﷺ): بل أنتما المكرمان" ثم دعاهما أن يلحقاه بالمدينة[3]، وفى الطريق أيضاً لقى أبا بريده وكان رئيساً فى قومه خرج فى طلب الرسول علّه يفوز بالجائزة المرصودة من قبل قريش ولما واجه الرسول(ﷺ) أسلم مع سبعين رجلاً من قومه ، فنزع عمامته وعقدها برمحه متخذاً إياها راية يعلن بها أن ملك الأمن والسلام قد جاء ليملأ الدنيا عدلاً وقسطاً[4] .

وفي سفر آخر كما يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما " أقبل عليه أعرابي فلما دنا قال له رسول الله(ﷺ) أين تريد؟ قال إلى أهلي ، قال(ﷺ) هل لك إلى خير ؟ قال ما هو ؟ قال " تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله" قال الرجل هل من شاهد

---

[1] -أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدرامى : سنن الدارمى تحقيق فواز أحمد ، خالد السبع،بيروت ، رقم ٢٤٤٤ ، المستدرك ٣٧.

[2] - فانظر إلى مافعله(ﷺ) مع هوازن عندما جاءه رجالاتها مسلمين وسألوا الرسول أن يرد عليهم نساءهم فردها عليهم بعد أن طيب نفوس الصحابة الكرام.راجع ما سيأتى صـ١٩١ من البحث .

[3] -السيرة لابن كثير ،حـ٢، صـ٢٦٦ ، البداية والنهاية، حـ٣، صـ٢٣٩.

[4] -ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة، حـ٣ ،صـ٧٢ ، صـ١٥٨ .

على ما تقول قال هذه الشجرة فدعاها رسول الله(ﷺ) وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ثم إنها رجعت إلى منبتها، فرجع الرجل بهذا الخبر إلى قومه يدعوهم إليه[1].

وكان(ﷺ) يرسل الرسل إلى الأعراب يدعوهم إلى الإسلام متسلحين بقول الله تعالى "لا إكراه فى الدين" رغم ما عانوه من هؤلاء الأقوام فأرسل(ﷺ) الصدي بن عجلان المعروف بأبى أمامة إلى قومه باهلة يدعوهم إلى الإسلام فلقي منهم غلظة وشدة وجفاء حتى منعوه الماء، فصبر واحتسب ، فلم يأتهم الرسول(ﷺ) بجيش ومقاتلة ليدخلنهم فى الإسلام عنوة[2]، كما أرسل(ﷺ) رجلاً إلى بني سعد فاستجاب له البعض ولم يستجب آخرون ولم يجبرهم الرسول (ﷺ) على شيء ولكن دعى لمن أسلم بالخير وبالذات الأحنف بن قيس الذي قال لداعي الرسول(ﷺ) "إنكَ لتدعوَ إلى خير وتأمر به" فقال(ﷺ) "اللهم اغفر للأحنف"[3] فما استجاب هؤلاء لدعوته إلا لما فيها من خيرلهم ولما وجدوا من رحمة صاحبها وحسن شرائعها .

أما من لم يستجب لدعوته من القبائل والأعراب حول المدينة فقد سالمهم رسول الله (ﷺ) ولم يكرههم على شيء فقبل أن يقوم بنشاطه العسكري ضد المشركين عقد معاهدة حلف وعدم اعتداء وسلام مع جهينة التي كانت ساكنها على ثلاثة مراحل من المدينة[4] ، وعقد فى العام الثاني من هجرته الشريفة معاهدة سلام مع بني ضمرة ورئيسهم عمرو بن مخشى الضمري ونص المعاهدة " هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله ما بل بحر صوفة وإن النبي إذا دعاهم لنصرة أجابوه"[5] ، وفي نفس العام عقد معاهدة سلام مع بني مدلج وحلفائهم من

---

1 -سنن الدرامى ١٦ ، ابن حيان ٦٥٠٥ ، المعجم الكبير ١٣٥٨٢ ، القاضي عياض :الشفا ،جـ١،٢٩٨-٢٩٩، البداية والنهاية ،حـ٦، صـ٣٠٦.

2 -ابن حجر : الإصابة،حـ٣ ،صـ٣١٨.

3 -مسند أحمد ٢٣٢٠٩ ، المستدرك ٦٥٧٣ ، الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٢ رقم ١٦١٩١.

4 -سبل الهدى ٦ /١١.

5 – ابن سعد : الطبقات ١ /٢٧٥ ، الروض الأنف ٣ /٣٨ ، سبل الهدى ٤ /١٤ .

بني ضمرة[1]، كل ذلك فى سبيل إشاعة السلام فى الجزيرة العربية وتوفير الأمـن والأمـان للمسلمين فى المدينة ومن ناحية أخرى ضمان عدم موالاة هذه القبائل لقريش .

وانظر إلى رحمته فى عمير بن وهب الجمحي الذي جاء من مكة خصيصاً ليقتله وكان قـد جلس مع أبي صفوان بن أمية فى حجر الكعبة يتذكران أصحاب القليب من قريش بعد وقعـة بدر وتمني الاثنان الخلاص من النبي(ﷺ) فتآمرا على قتله وقال عمير لولا دين علي وعيـال عندي لخرجت أقتل محمداً فاغتنمها صفوان فرصة وقال "على دينك أنا أقضيه لك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، فقام عمير وجهز سيفه وشحذه وسمه ثم انطلق إلى المدينة ، فعلـم الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب الذي قال لرسول الله : ما أتى إلا لشر ،ولمـا دخـل على النبي احترز الصحابة على رسـول الله وعلموا أنه غيـر مأمـون فحـى النبـي(ﷺ) والصحابة وقال أنعموا صباحاً فقال له رسول الله(ﷺ) "قد أكرمنا الله بتحية غير تحيتـك يـا عمير بالسلام تحية أهل الجنة ثم سأله عن مجيئه وما وراءه فكذبه عمير قائلاً : جئت لهـذا الأسير الذي عندكم وكان ابنه وهب ضمن الأسرى ، فكذبه النبي وذكر له ما أوحى إليه ربـه من أمره هو وصفوان بن أمية قائلاً له "الله حائل بيني وبينك" ولو كان قائد غيره(ﷺ) وهـو فى وقت حرب لأمر بعدم دخوله ثم أمر بقتله وكان يستحق هذا ، ولكن رحمته وكراهيته سفك الدماء غلبت الموقف ، والنتيجة كانت إسلام عمير بن وهب فقال الرسول الكـريم الـرءوف الرحيم "فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له أسيره"[2] فرجع عمير إلى مكة يدعو للإسلام فأسلم على يديه ناس كثيرون.

وتفحص مواقفه فى وقعة أحد التي تجلت فيها الرحمة وحرصه على هداية قومه من قريش وهو في معمعة القتال، وقد شج رأسه وكسرت رباعيته ودخل المغفر فـى وجنتـه وسـال

---

[1] البداية والنهاية ٣ /٣٠٢،٣٠٣ ، ابن حزم : جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، دار المعارف مصر سنة ١٩٠٠م صـ١٠٣ ، ابن سعد ، الطبقات ٢ /١٠ ، سبل الهدى ٤ /١٧ ، الطبرى :تاريخه ٢ /١٢٢.

[2] – مجمع الزوائد ١٤٠٦٣ ، على بن حسام الدين المتقى الهندى : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعـال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٩٨٩ رقم ٣٧٤٥٦ ، ابن سيد الناس :عيـون الأثر،جـ١،صـ٣٥٢-٣٥٣،البداية والنهاية ٣ /٢٨٢ ، ابن سعد ، الطبقات ٤ /٢٠٠ ، الطبرى : تاريخه ٢ /١٦٨ ، ابن حجـر : الإصابة ٤ /٦٠.

دمــه(ﷺ) ، ولا شك أن غيره فى مثل هذا الموقف لا يفكر سوى فى الانتقام والثأر لما هــو فيه ولكن نبي الرحمة نسى نفسه وما تذكر سوى أنه رسول الله إلى قومه خاصة فدعي لهــم طالباً الهداية قائلاً(ﷺ) " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[1] وفى هــذه المعركــة حاميــة الوطيس قيل له يا رسول الله أدعو عليهم فقال(ﷺ) نبي الرحمة بأبي هو وأمي "إنى لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة للعالمين"[2]

ولما منعته قريش من أداء العمرة رغم علمهم أنه ما جاء إلا لها وساق أمامه الهدى علامــة ذلك ، فاوضهم رجاء هدايتهم وأرسل إليهم سيدنا عثمان قائلاً له "أخبرهم إنا لم نــأت لقتــال وإنما جئنا عماراً وأدعهم إلى الإسلام"[3]

وانظر وهم على هذه الحال من العداوة والبغضاء للنبي محمد(ﷺ) ، لما أسلم ثمامــة بــن أثال الحنفي، ثم خرج معتمراً ، فلما قدم مكة قالوا له : أصبوت يا ثمام أفقال لا ولكنني اتبعت خير الدين دين محمد ولا والله لا تصل إليكم حبه من اليمامة. وكانت اليمامة ممول مكة القمح والحنطة والشعيرحتى يأذن فيها رسول الله(ﷺ) ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم من أن يحملــوا إلى مكة شيئاً ، عندئذ كتبت قريش وهم على حالتهم هذه من العداوة تــسترحم الرســول(ﷺ) وتستعطفه بصلة الرحم عدم تجويع الأبناء وليأمر ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل ، فسارع الرسول الكريم والرءوف الرحيم فكتب إلى ثمامة بذلك ، فوصلتهم الحبوب[4] .

أما الأعراب الذين كانوا أشد كفراً ونفاقاً عاملهم الرسول(ﷺ) بالعفو والــصفح والمحبــة والسلام . ونذكر فى ذلك موقفاً لأحد الأعراب تحين الفرصة فى غزوة ذات الرقاع فى الــسنة السابعة من الهجرة وأخذ سيف الرسول(ﷺ) ثم وضعه على رأسه الشريف وقال أتخاف؟ قال الرسول(ﷺ): لا قال الرجل: فمن يمنعك مني قال الرسول الكريم : الله ولمــا تمكــن منــــه الرسول(ﷺ) قام ووضع السيف على رأسه وقال له : من يمنعك مني فى الوقت الذي تجمــع فيه الصحابة حوله فشهدوا الموقف، فقال الرجل : كن خير أخذ، فلم يعاتبه الرسول(ﷺ) بــل

---

[1] – صحيح البخارى ٣٢٩٠ ، ٦٥٣٠ ، مسلم ١٧٩٢ ، المعجم الكبير ٥٨٦٢.

[2] – مسلم ٢٥٩٩ ، الأدب المفرد ٣٢١.

[3] – النسائى ٣٦٨٣٩ ، كنز العمال ٣٠١٥٢ ، سبل الهدى ٥ /٤٦.

[4] مسلم ١٧٦٤ ، البيهقى : سنن البيهقى الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة مكة المكرمة ١٩٩٤م رقم ١٢٦١٤ ، ١٧٨٠٩ ، ١٧٨١٠.

قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فلم يسلم الرجل ، وتعاهد مع الرسول (ﷺ) ألا يقاتل المسلمين ولا يكون مع أحد فى قتالهم ، فخلى(ﷺ) سبيله فأتى الرجل قومه وقال لهم : جئتكم من عند خير الناس[1]

وأنهى مواقف الرحمة ومحبته(ﷺ) للسلام بموقفه من قومه المعاندين يوم فتح مكة وقد وقف الجميع ينتظر الحكم ، الحكم على من طاردوه وآذوه فى نفسه وماله وأهله وأصحابه ، وفى صدقة وأمانته وأخلاقه جميعاً فقال لهم : يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم : قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال أني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم . أذهبوا فأنتم الطلقاء[2].

هل يتأتى لذى عقل أن يحكم على محمد(ﷺ) بأنه رجل عنيف ما استخدم إلا السيف لفرض دينه على العرب ؟!!!!!

ب- دعوته (ﷺ) للناس كافة :-

إن دعوة الرسول (ﷺ) فى قومه ومن حولهم من الأعراب فى الجزيرة كلها كانت بالحكمة والموعظة الحسنة ولم يكن هذا الأسلوب خاصاً بمشركي الجزيرة فقط بل كان أسلوباً عاماً وأمر من رب العالمين لنبيه(ﷺ) للدعوة به فى الناس عامة لأنه وببساطة شديدة ما أرسل للعرب فقط وإنما أرسل للناس كافة والآيات القرآنية بفضل الله متوافرة فى هذا الصدد وهي : يقول الله تعالى " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ"[3] ،قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ "[4]، " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ "[5]، " وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ

---

[1] -مسند أحمد ١٤٩٧١ ، المستدرك ٤٣٢٢ ،أبو محمدعبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ:أخلاق النبي وآدابه ، تحقيق عصام الدين سيد الصبابطي ،القاهرة١٤١١هـ/١٩٩١م ،صـ٤١،القاضي عياض:الشفا،جـ١،صـ١٣٤-١٣٥.

[2] راجع سنن البيهقى ١٨٠٥٥ ، البداية والنهاية ٤ /٣٤٤ ، سير أعلام النبلاء : ٤ /٤٩٥ ،القاضي عياض: الشفا،جـ١،صـ١١٠، ابن سيد الناس: عيون الأثر،جـ١،صـ١٩٩، سبل الهدى٥ /٢٤٢ ، تاريخ الطبرى ٢ /٣٣٧ ، الروض الأنف ٧ /٢٣٢.

[3] سورة الأنعام الآية ٩٠.

[4] سورة الأعراف من الآية ١٥٨.

[5] سورة يونس آية ١٠٨.

مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ "[1] ، " الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ "[2] ، " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "[3] ، " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا "[4] ، " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[5] ، " إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ"[6] " مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" [7] ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ[8]

ونحن لسنا بصدد الحديث عن عالمية دعوته(ﷺ) الآن ولكن المهم كيف أوصل الرسول الكريم(ﷺ) هذه الدعوة إلى العالمين أو الناس كافة؟ ما نشك ولا يشك أحد إلا مغرضاً أو مجحفاً أو كافراً – فى أن الرسول (ﷺ) جاء رحمة للعالمين بنص القرآن الكريم[9] ، وقد وعى(ﷺ) هذه الحقيقة جيداً فقال (ﷺ) عن نفسه "إنما أنا رحمة مهداه "[10] فما هو الأسلوب المتوقع فى سبيل توصيل الدعوة من رحمة الله للعالمين محمد بن عبد الله(ﷺ)؟ فهل يتخذ العنف وسيلة والإرهاب طريقاً والإجبار سبيلاً مستخدماً فى كل ذلك سيفاً مسلطاً على رقاب الناس ؟ وذلك كما قال وروج وقال المغضوب عليهم والضالين من الشرقيين والغربيين وأقروا هذا الأسلوب وتلك الطريقة فى نشره(ﷺ) لدعوته . أم كان(ﷺ) كما قال عنه ربه رحيماً فاتخذ الرحمة أسلوباً وما أنزل إليه من ربه منهاجاً وطريقة ؟

---

[1] سورة يوسف آية ١٠٤.

[2] سورة إبراهيم رقم ١.

[3] سورة الأنبياء آية ١٠٧.

[4] سورة الفرقان آية ١ .

[5] سورة سبأ آية ٢٨.

[6] سورة ص آية ٨٧.

[7] سورة القلم آية ٥٢.

[8] سورة التكوير الآيتين ٢٦- ٢٧.

[9] راجع الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

[10] سنن الدرامى ١٥ ، المستدرك ١٠٠ ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبه الكوفى : المصنف فى الأحاديث والآثار ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، الرياض سنة ١٤٠٩ اطـ رقم٣١٧٨٢ ، شعب الإيمان ١٤٠٢ ، ١٤٠٤.

والإجابة إن شاء الله تعالى ستكون من خلال سيرته(ﷺ) وحياته العملية ، لنتعرف سـوياً كيف دعا الرسول(ﷺ) الناس جميعاً إلى الإسلام وأوصل إليهم الدعوة ، ونقرر فى النهاية أي الأسلوبين اتبع فى سبيل توصيل الدعوة .

بداية يجب أن نذكر أن الإشعار بفاعلية دعوته بدأت مبكرة حتى قبل بعثته(ﷺ)، فـالجميع كان ينتظر مبعثه وخاصة من اليهود والنصارى الذين عرفوا صفاته واسمه من كتبهم ،وكـان كل منهما يأمل فى أن يكون منهم وبالذات من اليهود ، إلا أنه بعث من العرب فـصار خـاتم الأنبياء وأمته آخر الأمم والشاهد على ذلك من سيرته(ﷺ) فيما حدث له فى رحلته إلى الشام مع عمه أبي طالب وتحذير بحيرا الراهب له من فعل يهود به وأنبأه بأنه سـيكون الرسـول المنتظر لما عرف من صفاته في التوراة والإنجيل[1] ، وبعث محمد رسولاً للناس كافة وأشعر أهل مكة عامة وبني عبد المطلب خاصة بعالمية دعوته لما قال له ربـه " وأنـذر عـشيرتك الأقربيين "[2] إذ جمعهم(ﷺ) وخطب فيهم " وقال إن الرائد لا يكذب أهله ... والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة "[3] .

وكان على أهل الكتاب وجوب التصديق به وبرسالته قبل غيرهم لما علموه عنه مـن كتـبهم ولكنهم نكثوا على أعقابهم وما آمن منهم إلا قليل ومن أراد الله هدايته وبالـذات مـن يهـود الملعونيين الذين أذلوا عرب المدينة من الأوس والخرزج بأن هناك رسول قد أظلهـم زمانـه سوف يظهر منهم وسوف يتبعونه ويسودون به، وكانوا يستفتحون بذلك عليهم ولكـن لمـا بعث محمد من العرب كفروا به يقول رب العزة فى تصوير حالتهم هذه " وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَـابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّـا جَـاءهُم مَّـا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ "[4]

ولما سرت دعوته(ﷺ) وبدأت فى الانتشار خارج مكة بدأ إقبال بعض العرب وأهل الكتـاب عليها ، لما عرفوا من الحق ، فها هو عداس النصراني مولى عتبة وشيبة ابني ربيعة يـدخل

---

[1] ابن هشام: السيرة ١ /١٤٠-١٤١ ، القاضي عياض: الشفا١/٣٢٧-٣٢٨،الطبرى : تـاريخ ٢ /٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ابن سعد: طبقات ١/ ١٢١، ١٥٣ :١٥٥ ، ابن كثير:البداية ٢/٢٨٩ ، ٣١١ .

[2] الشورى ٢١٤.

[3] -مجمع الزوائد ١٤١٠٩ ، كنز العمال ٣٦٥٢٠.

[4] البقرة ٨٩.

فى الإسلام لما عرف الصدق فى حديثة[1] ، فمن أكره عداس على إتباعه ولم يكن مع الرسول(ﷺ) قوة أو حتى كان فى حالة شخصية تجبر من أمامه من الضعفاء مثل عداس بالانجذاب إليه خوفاً وطمعاً ، بل كان(ﷺ) خارجاً للتو من براثن سفهاء الطائف منهكاً مدمى العقبين ومع ذلك صدقه عداس لما علم من الحق ولما وجد من صدقه وعذوبة كلامه(ﷺ).

ولما وصل(ﷺ) إلى المدينة مهاجراً دخل فى دعوته(ﷺ) من يهود عدداً لا بأس به إلا أن الغالبية العظمى أرتدوا على أدبارهم خاسرين وظلوا على معتقداتهم فى المدينة مع رسول الله(ﷺ) فى أمن وأمان وقد أعلنها(ﷺ) "أنه لا إكراه فى الدين" ولم يتبع معهم أسلوب المتغلبين مع المقهورين بالإبعاد أو النفي أو حتى الخصام اللدود، ولم يضع السيف على رقابهم حتى يدخلوا فى دعوته ، بل ترك لهم مطلق الحرية فى الاعتقاد، فعاشوا مع الرسول(ﷺ) فى سلام ، ولكنهم قابلوا حسن المعاملة بسوء الأدب وأربكوا حالة السلام والأمن التي أسدلها الله بالإسلام ورسوله على المدينة بالدسائس والمؤامرات والكيد للإسلام ورسوله والنظر إليه بعين البغض والكراهية ، فخطتهم لإفناء الحيين الأوس والخزرج دمرها رسول الله(ﷺ) بمجيئه بل جعل الحيين إخواناً متحابين وهو لم يكن من جنسهم ليرضيهم فيها وهي عصبية استولت على نفسياتهم وعقلياتهم كما يقول المباركفوري[2] ، ثم إن دعوة الإسلام دعوة صالحة دعوة خير وسلام تؤلف بين أشتات القلوب وتطفئ نار البغضاء والكراهية وتدعو إلى الإلتزام فى كل شيء وأكل المال الحلال الطيب وهو ما يعني ضياع حياة أولئك اليهود الاقتصادية المعتمدة على عكس ما تدعو به شريعة الإسلام وضياع مكانتهم الاجتماعية بل وسينسف قوتهم العسكرية التي كانت ميزان القوة فى المدينة فى الصراع بين الأوس والخزرج والتي كان يخطط لها أن تكون القوة المسيطرة بعد إفناء هذين الحيين . لكل هذا اضمروا أشد العداوة لرسول الإسلام ولكن خشوا أن يظهروها وإن كان الله قد أبداها لرسوله، ولكن المبعوث رحمة للعالمين مد لهم يد السلام وشيد بينه وبينهم جسور الإخلاص ،وأرخى لهم حبال التواصل والمعاملة الطيبة وعقد معهم المعاهدة التي تحكم العلاقة بينهم وبين أهل المدينة من المسلمين

---

[1] -راجع ابن هشام : السيرة ٢ /٤٧-٤٨ ، تاريخ الطبرى ٢ /٨١ ، البداية والنهاية ٣ /٢١ ، ١٦٧ ،عيون الأثر،١/١٧٨-١٧٩،سبل الهدى ٢ /٤٣٩ ، الروض الأنف ٤ /٢٩-٣٠.

[2] -الرحيق المختوم : بحث فى السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلاة ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، سنة ١٤١٣ / سنة ١٩٩٣، ط-١ ، ص-١٧٢.

وتوضح مالهم وما عليهم[1] من أجل إشاعة الأمن وتوفير السلام والسعادة لهذا المجتمع. ولكن اليهود لأنهم قوم بهت وأهل غدر وخيانة ونكث للعهود استكثروا على المدينة العيش فى سلام ولم يعجبهم حقداً وحسداً ما آل إليه أمر المسلمين فى المدينة من عزة وسؤدد ووئام اجتماعي ، فلجأو إلى الدس والمؤامرة وإثارة القلاقل والاضطراب فى صفوف المسلمين فهذا شيخ كبير فهم يدعى شاس بن قيس كان شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، مر يوما على جماعة من الأوس والخزرج فى مجلس جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم فى الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء فى الجاهلية فقال "اجتمع ملأ بني قيله بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذاً اجتمع ملأهم بها من قرار فأمر فتى شاباً من يهود كان معه بالذهاب إليهم والعهود معهم وقال له: أذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما تقاولوا فيه من أشعار ، ففعل فهيج الحضور وبدأ التنازع والتفاخر فكثر بينهما التقاول حتى قال أحدهما لصاحبه" إن شئتم رددناها جذعة – يعني استعادة الحروب بينهما كما كانت ملتهبة. وغضب الفريقان وتواعدوا على الحرب والسلاح فى الحرة وقت الظهيرة وكادت الحرب تنشب بين الفريقين ، فبلغ ذلك رسول الله(ﷺ) فجاءهم وقال يا معشر المسلمين الله الله ،بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم؟ عندئذ ثاب القوم إلى رشدهم وعلموا أنه كيد مدبر من شياطين الإنس والجن فبكوا وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله مطيعين[2] ومع ذلك صبر الرسول وأصحابه على كيدهم ودسائسهم حرصاً على الأمن والسلام فى المدينة وحفظاً للعهود، ولكن يهود استمروا فيما هم فيه من غي وفساد حتى نقضوا العهد والميثاق وأظهروا العداوة والبغضاء، وأعلنوا الحرب السافرة ضد الإسلام ورسوله ووصل بهم الأمر إلى أن تآمر بعضهم على قتله[3]، والرسول يلتمس لهم الأعذار ويكظم غيظه وكذلك أصحابه وهم فى غيهم سادرون حتى جاء أمر الله بإجلائهم من

---

[1] راجع ابن هشام : السيرة٢ /١٠١ – ١٠٤ ، البداية ٣ /٢٧٢ وما بعدها ، سبل الهدى ١ /١٤ وما بعدها.

[2] سبل الهدى ٣ /٣٩٨ – ٣٩٩.

[3] راجع: ابن هشام : السيرة ٢ /١٤٦ ، ابن الأثير :الكامل ١ /٦٤–٦٥.

المدينة على فترات متتابعة[1] ونفذ فى بعضهم حكم الله بالقتل لظروف خاصة[2] ، ومع ذلك لم يفرض على الذين نجوا منهم وخرجوا من المدينة الإسلام ولا أكره أحداً على اعتناقه فظلوا على معتقدهم وتفرقوا فى الجزيرة وخارجها .

أما دعوته(ﷺ) بين العرب فى غير مكة والمدينة فقد علمنا أن الرسول دعا بعضهم إلى الإسلام والمعاهدة فاستجابوا للصلح والمعاهدة دون الإسلام فعاهدهم تجنباً للعداوة ووقوفهم ضد المسلمين مع قريش[3] إلا أن منهم من رفضوا الموادعة والسلام ونقضوا المعاهدات واستغلوا كسرة المسلمين فى أحد وحاول بعضهم الإغارة على المدينة، فنقضوا المعاهدات وخرج الرسول وصحبه دفاعاً وتأديباً لهؤلاء وهو ما سنأتي على تفصيله فيما بعد[4] ، وبقيت قبائل أخرى من العرب محايدة لا مع المسلمين ولا مع أعدائهم ، فأولئك تفرغ الرسول(ﷺ) لدعوتهم إلى الإسلام بعد صلح الحديبية فى العام السادس من الهجرة الشريفة . فبعد الصلح مباشرة أرسل(ﷺ) كتاباً إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين يدعوه فيه إلى الإسلام وأرسل الكتاب مع العلاء بن مغيث الحضرمي ، فرد عليه المنذر بكتاب أما بعد " يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضى مجوس ويهود فأحدث إلى فى ذلك أمرك[5] فكتب إليه الرسول(ﷺ) بكتاب آخر يدلنا على أن المنذر قد أسلم وحسن إسلامه وأن رسل رسول الله(ﷺ) أثنوا عليه خيراً وذكره بالله عز وجل وشفعه(ﷺ) فى قومه وأمره أن يبقى كل إنسان على حريته فى الاعتقاد ولم يأمره نبي الرحمة ورسول السلام بفرض الإسلام وتقييد المعتقد عليه أو أن يضع السيف على رقاب اليهود والمجوس فقال له(ﷺ): فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب

---

[1] راجع: ابن هشام: السيرة ٣ /٥ ، ١١٠-١١١ ، ١٤١ وما بعدها ،ابن سيد الناس :عيون الأثر ٣٨٥/١ومابعدها،٢٣/٢ومابعدها،٤٩ومابعدها، ابن الأثير: الكامل١ /٣٣ وما بعدها ،٦٤-٦٥ ، ٧٥ -٧٧

[2] مثل بنى قريظة على رأى سعد بن معاذ ذلك الحكم الذى قال عنه رسول الله (ﷺ) " حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة " اى السموات " ابن هشام السيرة ٣ / ١٤٦، ١٤٧ .

[3] راجع ما سبق صـ١٧-١٨ من البحث.

[4] راجع ما سيأتي ١٥٨وما بعدها من البحث .

[5] الطبقات ١ / ٢٦٣ ، سبل الهدى ١١ / ٣٦٤.

فأقبل منهم وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية[1]".

وأرسل(ﷺ) كتاباً إلى هوذة بن على صاحب اليمامة قبل مسليمة الكذاب ونبوأته قائلاً "سلام على من اتبع الهدى وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والخافر فأسلم تسلم واجعل لـك ما تحت يديك" فكتب إلى النبي ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل لـي بعض الأمر أتبعك" فبشر الرسول(ﷺ) بزوال ملكه بموته فى القريب العاجل[2]، فلما انـصرف الرسول(ﷺ) من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة مات وأخبر الرسول(ﷺ) بخـروج مسليمة وقتله على يد المسلمين[3] ، فلم يكد له الرسول ولم يحاربه رغم تعديه على الرسـول بالسب وادعائه النبوة[4].

وكتب الرسول(ﷺ) إلى مثيل هوذة ومسليمة فى الطمع والكفر الحارث بن الشمر الغـساني صاحب دمشق يدعوه للإسلام فلم يسلم بل هدد بالمسير إلى الرسول(ﷺ)[5] ، فصبر عليه(ﷺ) منتظراً أمر الله فيه وفى بلاد الشام فلم يكد له ولم يحاربه(ﷺ).

وكتب(ﷺ) إلى ابني الجلندي في عمان يدعوهما إلى الإسلام ، فأسلما وتبعا رسول الله[6]، كما أرسل(ﷺ) إلى بكر بن وائل وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام دون اللجوء إلى القوة والعنف. وما كان(ﷺ) يرسل إلى العرب فى الجزيرة من رسول إلا ويوصيه بالـدعوة بالحـسنى إلـى الإسلام والصبر على ذلك أرسل مثلا خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن قال له "من لقيت من العرب فسمعت فيهم الآذان فلا تعرض لهم ومن لم تسمع فيهم الآذان فادعهم إلى الإسـلام"[7]

---

[1] الطبقات ١ /٢٦٣ ، تاريخ الطبرى : ٢ /٣١٢، ٣١٣ .

[2] الطبقات ٢ /٢٦٢ ، سبل الهدى ١١ /٣٥٧.

[3] سبل الهدى ١ /٣٥٧.

[4] ابن هشام : السيرة ٤ /١٦١-١٦٢ ، ابن عبد البر ، الدرر صـ٢٥٤ ، سبل الهدى ١١ /٣٥٧.

[5] الطبقات ١ /٢٦١ ، سبل الهدى ١١ /٣٥٩.

[6] – الطبرى ٢ /٣٦٢ ، سبل الهدى ١١ /٣٦٥ ، الروض الأنف ٧ /٥١٦.

[7] –راجع مجمع الزوائد ٩٥٩ ، كنز العمال ١١٤٤١.

ولما أرسل عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وهي قرب جبل طيئ ما بين الشام والمدينة أمره بدعوة أهلها إلى الإسلام فدعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام حتى أسلموا[1].

كما أرسل خالد بن الوليد إلى همدان باليمن يدعوهم إلى الإسلام فمكث فيهم ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ثم بعث(ﷺ) على بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً ومن معه إلا رجلاً أحب أن يبقى معه، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه مكنت فيمن عقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، ثم تقدم فصلي بنا علي ثم صفنا صفاً واحد ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله(ﷺ) فأسلمت همدان ، فكتب علي بذلك إلى رسول الله ، فلما قرأ الرسول(ﷺ) كتابه وعلم بإسلامهم خر ساجدا ثم رفع رأسه قائلاً "السلام على همدان السلام على همدان"[2]

وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وقومه نرى أسس الدعوة وهدى النبي فيها وأنه لم يأمر بقتال ولا غارة ولا حرب مبيدة وإنما كان يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ويحاورهم حتى يقتنعوا ويدعو لهم بالهداية ويرجوها لهم رغم العداوة والبغضاء التي يظهرونها ولدعاته المرسلين ، فهذا الرجل دخل مكة وحذره القرشيون من محمد قائلين "إنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه ... ولكن الرجل كان لكونه شاعراً شريفاً لبيباً لا يخفى عليه الحسن من القبيح سمع الرسول فسمع قولاً حسناً ولما تلا الرسول القرآن عليه قال : والله ما سمعت قولاً قط أحسن ولا أمر أعدل منه" فأسلم الرجل ونطق شهادة الحق وقال : يا نبي الله إني أمروٴ مطاع فى قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فأسلم أبوه وصاحبته ولكن قومه أبطأوا عليه فرجع إلى مكة يشكو لرسول الله(ﷺ) قائلاً "يا نبي الله قد غلبتني دوس فادع عليهم ، ولكن نبي الرحمة ورسول السلام وداعية الخير قال "اللهم أهد دوساً وأمره بالرجوع إلى قومه وليدعهم وليرفق بهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر الرسول(ﷺ) إلى المدينة وقضى بدراً وأحداً والخندق ، ولاحظ طول المدة – ثم قدمت على

---

[1] –وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم المسماة تماضر بنت الأصبغ راجع كنز ٢٠٢٨٠ ، تاريخ الطبرى ٢/٢٨٦ ، طبقات ابن سعد ٢/٨٩ ، البداية ٤/٢٠٤ ، سيرة ابن كثير ٣/٣٤٠ ، سبل الهدى ٦/٩٤.

[2] –الطبرى ٢ /٣٩٠ ، البداية ٥ /١٢١ ، سبل الهدى ٦ /٢٣٥ ، سيرة ابن كثير ٤/٢٠٣.

رسول الله(ﷺ) بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس[1]، وما ذلك إلا بدعوة الرءوف الرحيم الذي لم يأمره بقتالهم ولم يرسل مع الطفيل جنداً ولم يأمره بإعمال السيف ولا الضرب بالسوط حتى يسلموا بل أمره بالصبر عليهم والترفق بهم والتودد إليهم داعياً الله لهدايتهم والنتيجة كانت إسلامهم ووفادتهم على رسول الله مؤمنين موحدين .

وتأمل أخيراً فضله وعدله ورحمته وحسن تعليمه أصول دعوته لصحبه الكرام وقواده المجاهدين فى سبيلها عندما بعث إلى اللات والعزة بعثاً فأغاروا على حي من العرب فسبوا مقاتلتهم وذريتهم، فلم أتى بهم قالوا لرسول الله(ﷺ) : يا رسول الله أغاروا علينا بغير دعاء فسأل النبي(ﷺ) أهل السرية فصدقوهم فقال النبي(ﷺ) : ردوهم إلى مأمنهم ثم أدعوهم"[2] وقيل أنهم أتوه بأسارى من اللات والعزى فقال لهم رسول الله(ﷺ) هل دعوتموهم إلى الإسلام فقالوا : لا فقال لهم : هل دعوكم إلى الإسلام فقالوا : لا قال(ﷺ) : خلوا سبيلهم حتى يبلغوا مأمنهم[3] ثم قرأ رسول الله الآية "وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا[4]"قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"[5].

ومما سبق من شواهد ومواقف فى الدعوة إلى الله من جانب الرسول الكريم لابد وأن يسكت المتقولون ويستيقن من لا يؤمن بالإسلام دنياً ولا بمحمد نبياً ورسولاً أنه رسول الحق والعدل والسلام ، فهذه الشواهد إن أردتم الحقيقة تقطع بأن محمداً(ﷺ) استعمل الموعظة الحسنة والحكمة فى القول والمعاملة والمحاورة والاقناع ، كما كان دأبه الرأفة والرحمة لمن يدعوهم ، وتسلح بمحبة الناس ورغبته الصادقة فى هدايتهم إلى الإسلام حتى يسلموا من عذاب الله ويدخلوا جناته. وفى دعوته هذه لم يجبر أحداً على الإيمان بالله وبرسالته ولم يكره أحداً على الدخول فى دينه. بل كان مبشراً أو نذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، يأتمر بأمر الله ويتبع

---

[1] راجع ابن هشام: السيرة ٢ /٢٢-٢٤ ، البداية والنهاية ٣ /١٢٤ ، الذهبي : سير ١ /٢٤٦ ،عيون الأثر١/١٨٤-١٨٥، الطبقات ٤ /٢٣٩ ، سبل الهدى ٣ / ٤١٨ ،حـ١٠ /٤٣٥ ، الروض الأنف ٣ /٢٢٩-٢٣٠.

[2] راجع كنز العمال ١١٤٢٦.

[3] سنن البيهقى ، ١٨٠١٢.

[4] سورة الأحزاب الآيتين ٤٦-٤٧.

[5] سورة الأنعام الآية ١١.

سبل الهدى ويبين طرق الضلال والفساد ، فكان سراجاً منيراً ونوراً مبيناً لأهل مكة والمدينة والأعراب والعرب قاطبة فى الجزيرة حتى أخرجهم بإذن ربه من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الجاهلية ومدلهمات الأوثان والأصنام وعشواء المعتقدات ، إلى التوحيد الخالص والنور المبين والتسليم لرب العالمين .

ولكن الرسول(ﷺ) لم يرسل إلى العرب ومن ساكنهم فى الجزيرة فقط بل أرسل إلى الناس كافة وأمر بتبليغ الدعوة إليهم فكيف دعا إليها الناس خارج الجزيرة ؟

واقع الأمر أن الرسول(ﷺ) أرسل إليهم داعياً إلى الله وإلى الإسلام عن طريق ملوكهم وذوى السلطان فيهم. لم يتهدد أو يتوعد أحداً بالويل والثبور وعظائم الأمور ، ولم يرسل مع رسله وفوداً من الفرسان ليكونوا علامة القوة والاستعداد للحرب إن لم يرضوا بالإسلام بل أرسل(ﷺ) رسولاً إلى كل ملك من ملوك العالم آنذاك كانوا من أعقل رجالات الإسلام وأحكمهم وأعرفهم بدينه وأفقههم لشئونه، كما كان لهم خبرة ومعرفة جيدة بما سيقومون به من عمل وعلى استعداد تام للمناقشة والحوار والإجابة على ما يلزم من استفسارات.

ولو طالعنا كتبه المرسلة إلى أولئك الملوك لوجدنا فيها الدعوة الحسنة الرقيقة إلى الإسلام وتحكيم العقل ومحاورة الذات لمعرفة الحق دون التهديد بالسيف أو إثارة الحروب أو إظهار القوة والاستظهار بها لإعلان العلو والتسلط والطغيان وقهر من لا يستجيب ، وفوق كل هذا المواجهة بأفكار توجب التفكير فى المعتقد الذي كان عليه هؤلاء الملوك وشعوبهم ومدى صحته وما يجب عليهم تجاه شعوبهم ، كل ذلك كان بأسلوب رقيق وأدب جم واختصار غاية فى الدلالة والإبلاغ.

أما عن استجابة الملوك واستقبالهم للرسل وتقبلهم للدعوة فقد كانت جد مختلفة فمنهم من رد رداً سيئاً ومزق كتاب رسول الله(ﷺ) مثل كسرى فارس رغم مخاطبة الرسول(ﷺ) له بلقب كسرى كلقب لملوكهم ونعته بعظيم الفرس دلالة على مكانته الرفيعة فى قومه وهو تقدير من الرسول(ﷺ) ومعرفة بأقدار الرجال وحكمة منه(ﷺ) فى البلاغ ثم دعاه إلى الهداية والإسلام وأعلمه بعالمية الدعوة[1] ، فلما قرأ كسرى الكتاب أخذته العزة بالإثم فمزقه واستكبر على الدعوة واستصغر شأن الرسول(ﷺ) وقال "عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبل اسمي ،

---

[1] سبل الهدى ١١ /٣٦٢ ، ابن الأثير ٢ /٩٢ ، ابن القيم : زاد ٣ /٦٨٨.

بل أكثر من هذا أرسل إلى عامله على اليمن باذان يأمره أن يرسل رجلين جلدين ليأتياه بالرسول (ﷺ) غطرسة منه وكبراً ، فأرسل باذان بالفعل رجلين ومعهما كتاب منه إلى رسول الله(ﷺ) يأمره بالتوجه مع الرجلين إلى كسرى فارس[1]، هذا فى الوقت الذي وصلت فيه الأخبار إلى رسول الله(ﷺ) بتمزيق الكتاب والإساءة إلى الرسول، فدعى عليه الرسول دعوة فى ظاهرها على شخصه ولكن فى باطنها ومن يتأملها كانت على السلطان والملك الذي جعله متغطرساً مستكبراً قائلاً(ﷺ): "مزق الله ملكه[2]" ولم يعامل الرسول الكريم رسل باذان معاملة سيئة ولا رد عليهم رداً جافياً رغم مخاطبتهم إياه باستعلاء وسوء أدب، بل استمهلهما يوماً ، فلما جاءا إليه فى الغد أخبرهما بضياع ملك كسرى بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله، مرجعاً إلى باذان فأخبراه بما قال الرسول(ﷺ) وبعد قليل جاءه كتاب من شيرويه يقول له "انظر الرجل الذي كتب فيه أبي إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمري[3]"فكان ذلك سبباً فى إسلام باذان والأبناء فى اليمن ودخولهم فى دين الله أفواجاً"

ومن الملوك من رد على رسول الله(ﷺ) رداً حسناً سياسة منه دون الدخول فى دينه(ﷺ) واتباعه كالمقوقس حاكم مصر وقيصر إمبراطور بيزنطة وملك الروم. فقد كتب[4] إليهما رسول الله(ﷺ) يدعوهما إلى الإسلام محاوزاً إياهما من خلال القرآن بما يتقابلان عنده بصفته جل وعلا من وجوب التوحيد وعدم الإشراك واتخاذ الأرباب من دون الله مثبتاً قول الله تعالى فى سورة آل عمران " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "[5]

وهنا فى مخاطبة المقوقس ملك مصر والإسكندرية وهرقل قيصر الروم تتجلى لنا أصول الدعوة إلى الله التي اتبعها النبي محمد(ﷺ) مأموراً بها من ربه ووائم(ﷺ) بينهما جميعاً من حكمة وموعظة حسنة ومجادلة بالتي هي أحسن واستخدمها بعظمة وذكاء فى عملية التبليغ

---

[1] سبل الهدى ١١ /٣٦٢ ، ابن الأثير المصدر السابق

[2] ابن كثير : السيرة ٣ /٥٠٨، سبل الهدى ١١ /٣٦٢ ، ابن القيم :زاد ٣ /٦٨٩.

[3] البداية ٤ /٣٠٤.

[4] راجع الكتابين والرد عليهما ، ابن الاثير : الكامل ٢ /٩٥-٩٦ ، زاد المعاد ٣ /٦٨٨، ٦٩١ .

[5] ال عمران آية ٦٤.

وذلك حتى يظهر الدعوة فى ثوبها الطبيعي ويبرز أهدافها السامية دون تزيين أو انحراف عن جادتها، فتتجلى حكمته(ﷺ) فيما كتبه إليهما مخاطباً لهما مخاطبة حسنة وبأحسن الألقاب لهما وأحبهما إلى نفسيهما فقال للمقوقس : عظيم القبط وقال لهرقل عظيم الروم ثم دعاهما بالإسلام لا عن طريق نفسه فقال(ﷺ) لكل منهما: "أدعوك بدعاية الإسلام" وبين لهما(ﷺ) أجر الإسلام وعظيمه إن أسلم هو وأسلم من ورائه بإسلامه وقال : "يؤتك الله أجرك مرتين" وتبرز لنا الموعظة الحسنة فى الكلمات التي تلمس شغاف القلوب وتصل إلى المخاطب برفق وأناة وهدوء ، وتدفعه إلى تقبل ما يعرض عليه أو الرد الحسن الجميل إن لم يستجب وهذه عادته(ﷺ) فى استخدام الأسلوب المحبب إلى مخاطبة أو محاورة وتقريب المخاطب إليه بما طبع عليه(ﷺ) من حب الخير للبشر حتى الأعداء ألم يقل له ربه عز وجل " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[1] وموعظته(ﷺ) إلى هرقل والمقوقس باستخدام كلمات قربت بينه وبينهما فلم يقل لهما يا كفار ، يا مشركين، بل قال(ﷺ) ما أنزل إليه من ربه من كلمات طيبات "يا أهل الكتاب" ولم يأمر ويفرض ويلزم بقوله آمنوا ، أدخلوا فى الإسلام ...الخ ولكن قال " تعالوا إلى كلمة سوء بيننا وبينكم" فى دعوة إلى التوحيد وعدم الإشراك لذا نجد رد هذين الملكين رداً جميلاً بل دفعهما هذا الكلام الطيب والموعظة الحسنة إلى السؤال والاستفهام والاستفسار عن الإسلام وحقيقته ورسول الإسلام نفسه، هنا يتألق الأصل الثالث من أصول الدعوة وهو المجادلة بالتي هي أحسن ، وتبرز أيضاً مدرسة الرسول الكريم التي تعلم فيها الصحابة أصول الدعوة جيداً حيث قام الرسول لهذا الأمر على أفضل ما يرام له فلا تحامل على المخاطب ولا تقبيح لفكره لأن الغاية كما تعلمها من حبيبه المصطفى(ﷺ) ليست الغلبة أو الشهرة ولا الخصومة بل توصيل الدعوة وإشعار المجادل بأن ذاته مصونة وقيمته محفوظة وكرامته موقرة وتتجلى لنا هذه المعاني فى الجدال الحسن الذي دار بين حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه والمقوقس فى مصر فلما دخل عليه قال : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك فقال له المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه فقال حاطب : ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، أن

---

[1] سورة فصلت آية ٣٤ .

هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقــربهم منـــه النــصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القــرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحق عليه أن يطيعوه وأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال المقوقس: إنـــي نظرت فى أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولـــم أجـــده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الحب – الغيب الذي أطلعـــه عليه الله – والإخبار بالنجوى وسانظر "[1] وأخذ كتاب النبي الكريم (ﷺ) فجعله فى حق عاج وختم عليه وحفظه عنده ، ثم كتب لرسول الله بالرد الحسن الجميل وأرسل بهدايا للنبـــي(ﷺ) ولم يزد عن هذا ولم يسلم[2].

أما هرقل فلما وصله كتاب الرسول(ﷺ) مع دحية الكلبي لم يرد مباشــرة علـــى الـــدعوة المباركة ولكن يروى فى خبره أنه رأى فى منامه أن ملك الختان قد ظهــر وأنـــه تأكـــد مـــن خروجه فى العرب بعد أن دفع إليه صاحب بصرى رجل من قريش مختتناً[3]، ثم دعا صـــاحب شرطته فقال له قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من قريش أسأله[4]، فظفــر بقـــوم كانوا فى غزة وكان رأسهم أبو سفيان بن حرب ولما أتى بهم سألهم من أمس به رحماً فقـــال أبو سفيان أنا قال فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابى فأجلسهم خلفى وقـــال إن كـــذب فـــردوا عليه، فسأله هرقل عن الرسول(ﷺ) وشأنه كله وما قال شيئ عن النبي إلا صدقه ثم قال له : فلئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت إني عنده فأغسل عند قدميـــه[5] وكاد أن يسلم لولا عظماء الروم الذين هموا بقتله[6]، ثم بعدها أرسل برســـالة شـــفهية إلـــى

---

1 –زاد المعاد ٣ /٦٩١ –٦٩٢

2 –زاد المعاد ٣ /٦٩٢

3 –الطبرى:تاريخ ٢ /٢٩٠ ابن كثير : البداية ٤ /٢٩٩

4 –الطبرى:تاريخ ٤ /٢٩٩ ابن كثير : البداية ٤ /٢٩٩

5 –الطبرى :تاريخ٤ /٣٠٠ ابن كثير : البداية ٤ /٣٠٠

6 –الطبرى:تاريخ ٤ /٣٠١ ابن كثير : البداية ٤ /٣٠٠

الرسول الكريم(ﷺ) فقال لدحية بن خليفة الكلبي: والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتبنا ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لا تبعته"[1]

ومن أولئك الملوك الذين كتب إليهم رسول الله(ﷺ) من استقبل رسول الله(ﷺ) استقبالاً حسناً وقبل دعوته وهداه الله إلى الإسلام ومن هؤلاء نجاشي الحبشة والذي يرجح أنه غير النجاشي الذي أكرم أصحاب النبي عند هجرتهم إلى الحبشة ثم آمن به[2]، ومن المفيد هنا أن نذكر قصته(أى النجاشى الذى عليه صلى(ﷺ)مع صحبه الكرام من المهاجرين ووفد قريش الذي لحق بهم ليعيدهم إلى مكة لأن فيها ما يؤكد انتشار الإسلام بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب ، ثم تصديق بعض أهل الكتاب بالذي جاء به(ﷺ) عن عيسى نبي الله وأمه مريم الصديقة العفيفة الشريفة مريم البتول وما دخل دين عيسى أى الإسلام من تبديل وتحريف وكيف حافظ البعض على ما جاء به عيسى وهؤلاء الذين هداهم الله إلى الإسلام بعد بعثة النبي محمد(ﷺ) وهو ما لو دان به القدامى والمعاصرين ممن يدعون أنهم اتباع موسى وعيسى ما عابوا وسبوا النبي وآذوه فى شخصه ورسالته وغمزوا عليه واستهزأوا بما أنزل عليه من ربه، ونقول لهم هاكم قصه أحد أسلافكم مع النبي محمد(ﷺ) تضرب ما أنتم عليه من معتقد وتريكم أنفسكم على حقيقتها فى الغي والضلال والكفر والطغيان وسريان دماء الكراهية والشنآن فى عروقكم وأنتم ترون الإسلام يسمو ويعلو وأهله رغم ما يحدث لهم به مستمسكون ،ومن أجله يعيشون وموقفكم هذا أنتم وغيركم من الكفار قد أنبأنا الله به في كتابه العزيز في أكثر من موضع " وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا "[3] وقال " إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ"[4]

نقول لكم إن نجاشي الحبشة ذلك الرجل المؤمن حقا الذي كان يدين بديانة سيدنا عيسى عليه السلام وهى الإسلام بدليل ما شهر به من عدل وإحسان وأنه لا يظلم عنده أحد ثم

---

[1] – الطبرى:تاريخ ٤ /٢٩٢ ابن كثير : البداية ٤ /٣٠٤

[2] زاد المعاد ٣ /٦٩٠

[3] النساء ٨٩

[4] الممتحنة ٢

تصديقه بما قاله الصحب الكرام وأن ما أتى به محمد وعيسي عليهما الصلاة والسلام ما خرج إلا من مشكاة واحدة ، أين أنتم من هذا الرجل الذي استقبل أصحاب الرسول(ﷺ) الفارين بدينهم على أمر من رسولهم إليه-استقبالا حسنا طيبا فآواهم ورحب بهم وعاشوا معه رغم اختلاف المعتقد ،ولكن قريش أبت إلا أن تطارد المسلمين حتى النهاية ويفسدوا عليهم دينهم ويؤلبوا عليهم من عاشوا في كنفه ويوقعوا بينه وبينهم حتى يخرجهم من أرضه فلا يجدوا إلا الجزيرة وبالتالى يمكنهم منهم ويضيقوا عليهم حتى لا ينتشر دين محمد(ﷺ) فأرسلوا من قبلهم عمرو بن العاص بن وائل السهمي وعبد الله بن ربيعة -قبل أن يسلما-وأرسلوا معهم الهدايا والتحف للنجاشي وللبطارقة من حوله ،وبدأوا بالبطارقة فأتحفوهم وطلبوا مساعدتهما عند النجاشى لطرد أولئك الفارين من مكه بدين يخالف دين آبائهم ودين الملك نفسه ،وقبل البطارقة أن يشاركوا في هذه المؤامرة وقرروا أن يشيروا علي النجاشى بإقصائهم، ثم دخل سفيرا قريش علي النجاشى وقدما له الهدايا وخاطبوه قائلين (أيها الملك إنه قد ضوي إلى بلدك غلمان سفهاء ،فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم عشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلي بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه عندئذ وقفت بطانه السوء من البطارقة لتؤازر هذا البهتان والافتراء قائلين "صدقا أيها الملك فأرسلهم إليهما ،فليردوا إلى قومهم وبلادهم " ولكن الرجل لصفاء قلبه و نور بصيرته رأى أنه لابد من سماعهم واستجلاء الأمر حتى يحكم بين الفريقين فاستدعى المسلمين الذين كانوا قد أجمعوا علي قول الصدق دون خشيه من أحد لأنهم على الحق به مستمسكون ومن أجله مهاجرون وعلموا علم اليقين أن الله ناصرهم واضعين فى أذهانهم ما أخبرهم به رسولهم من أن هذا الملك لا يظلم عنده أحد ، واختاروا من بينهم جعفر ابن أبي طالب ليكون المتحدث عنهم أمام الملك. ولما حضروا وجه إليهم نجاشي سؤالاً ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟ انظر الرد واسمع ما غيره الإسلام فى أولئك الناس وجعلهم فى أي مكان دعاة هادة بصدق نواياهم وإخلاصهم لله الذي انجلى فى الكلمات والعبارات التي تأخذ بالألباب وتهديها إلى طريق الحق والرشاد دون الحاجة إلى العراك والنزال.

قال جعفر "أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا

رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم ! فقال له النجاشي : فأقرأه علي، فقرأ عليه صدر "كهيعص" فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحد، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون – يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه – فخرجا، وقال عمر ابن العاص لعبد الله بن ربيعه: والله لآتينهم غداً بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن ربيعة: لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا ولكن أصرّ عمرو على رأيه.

فلما كان الغد قال للنجاشي : أيها الملك ! إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح، ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق ، كائنا ما كان، فلما دخلوا عليه وسألهم قال له جعفر : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا(ﷺ) : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عودا من الأرض ، ثم قال : والله ماعدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته، فقال : وإن نخرتم والله . ثم قال للمسلمين: أذهبوا فأنتم شيوم بأرضي – والشيوم : الآمنون بلسان الحبشة – من سبكم غرم ،من سبكم غرم من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرا من ذهب وأني آذيت رجلا منكم – والدبر الجبل بلسان الحبشة ، ثم قال لحاشيته: ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.

قالت أم سلمة التي تروى هذه القصة : فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جـاءوا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار[1]

وهل تسمعوا باباوات اليوم ومن ورائكم من قسيسين ورهبان ما يقال لكم وما يبعث إلـيكم من كلمات أو ما يدار فى حوارات بينكم وبين مسلمين ،أو ما يكتب إليكم خصيـصاً لتعرفـوا الحق من الباطل أم أن الله ختم على قلوبكم وعلى سمعكم وأبصاركم بشأن نبيناً محمد(ﷺ) وما أنزل عليه من قرآن ، متخذين من سلفكم نجاشي الحبشة مثلاً وقدوة فى معرفة الحـق قبـل إصدار الحكم ، ما أظنكم فاعلين ، فقد طالت بكم عهود الكفر والضلال والكراهيـة والـشنآن للإسلام ونبي الإسلام ، والله المستعان.

على أيه حال فإن دعوة رسولنا السلمية استمرت حتى بعد أن تولى الحبشة نجاشي آخر لم يؤمن برسالته(ﷺ) ولم يتبع سلفه فى الإيمان والتصديق ولهذا نجد الرسول(ﷺ) يرسل إليـه كتاباً مع أمية بن عمرو الضمري ونص الكتاب :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة علـى طاعته، وأن تتبعني ، وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلـى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من أتبع الهدي"[2].

كما حاوره عمر بن أمية الضمري وأقام عليه الحجة بسيرته وسمعته فى ملوك العالم وكـذلك بما يدينه من إنجيل صحيح وما ناله المهاجرين من صحابة رسول الله عنده من خير جدير بأن يتوج بإسلامه حتى يؤجر فى الدنيا والآخرة.

فانظروا ذوي القلوب الحاقدة والأفئدة القاصرة فإذا كان رد سلفكم بشأن نبوته فى كتبكم قال "أشهد بالله إنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى راكب الحمار كبـشارة عيسى راكب الجمل وأن العيان ليس بأشفى من الخبر ثم كتب بجواب رداً على كتاب رسـول

---

[1] راجع نص الحوار : البداية ٣ /٩٠ وما بعدها

[2] زاد المعاد ٣ /٦٨٩ ، ابن كثير : السيرة ٢ /٤٢

الله (ﷺ) إليه قال فيه "بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي أصحمة ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض، إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً إنه كما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعث به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً ، وقد بايعتك ، وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين"[1]

إذا لو تأملنا فى ما سردناه من أخبار فى دعوته(ﷺ) نرى أنه(ﷺ) لم يفرض الإسلام على أحد أو جماعة ولم يجبر أحداً على الدخول فيه ولم يسلط سيفه على الرقاب إرهاباً حتى يدخل أهل مكة بالذات أو الجزيرة خاصة أو الناس عامة بل جاء(ﷺ) كما ثبت فى كتاب الله العظيم وسيرته العطرة رحمة للعالمين بها دعا الناس واتبع أمر ربه فى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والحوار بالتي هي أحسن فدخلوا فى دين الله أفواجاً عن قناعة بنبوته واقتناع برسالته ومحبة فى النجاة من النار ودخول الجنة .

٣- شبهة السيف والعنف لماذا؟

والسؤال المطروح الآن لماذا تثار من آن لآخر منذ بعثته إلى الآن من جانب البعض أنه(ﷺ)ما نشر الإسلام إلا بالسيف؟ أي فرضه فرضاً على العربِ خاصة والناس عامة وأمر أصحابه من بعده بفعل هذا بل تجرأ هؤلاء على التعرض لشخص الرسول(ﷺ) والإساءة إليه لم كل هذا؟

والواقع أن ذلك يرجع إلى الأسباب التالية :

أ-الحقد والحسد والكراهية لرسول الإسلام من جانب المغضوب عليهم من اليهود والضالين من النصارى وهذا الأمر واضح جَلى لكفرهم البين الذي أنبأنا الله به فى كتابه العزيز فى أكثر من موضع وهؤلاء لو أتاهم أنبياء كما أتوا أو مهما أوتوا من آيات فلن يؤمنوا بالإسلام ونبيه ، ولو أنهم كانوا مؤمنين بموسى وعيسى ابن مريم لآمنوا بمحمد(ﷺ)ولهذا كتب الله عليهم الضلال وغضب عليهم في الدنيا والآخرة وسلط الله بعضهم علي بعض وجعلهم فرقاً كثيرة وأحزابا وأغرى بينهم العداوة والبغضاء إلي يوم القيامة،ولذا فتاريخهم مع الإسلام -إلا من

---

[1] زاد المعاد ٣/٦٩٠ ، سيرة ابن كثير ٢/٤٣

رحم الله -تاريخ اسودت صفحاته نتيجة لغدرهم وخيانتهم لله ورسوله و المؤمنين منذ فجر البعثة حتى الآن مما لو فصلنا فيه لاحتاج إلي صفحات طوال ، وقد أعلم الله نبيه وأخبر المسلمين بالتالي إنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن وسيظل الحقد والحسد في قلوب هؤلاء حتى يفصل الله بين الجميع يوم القيامة يقول الله تعالي " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ "[1] ،، " وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ "[2] ، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ"[3] ، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ "[4]

بد عدم المعرفة والجهالة عن قصد أو غير قصد بالقرآن وسنته الشريفة وسيرته العطرة (ﷺ) وهم في هذا الأمر علي فريقين ،فريق جاهل بهما تماماً ولا يستمع إلهما أبداً ولا يقرأ فيهما البتة وإنما اكتفى في معرفتهما علي رؤوسهم من الباباوات و القسيسين والرهبان وأغلبهم رءوس جهال منكبون علي دراسة اللاهوت مهتمون بالمناقشات الخلافية بين فرقهم المتعددة حول طبيعة السيد المسيح والتأليف لإقناع اتباعهم بعقيدة التثليث وهؤلاء لا يقبلون عن الكفر بديلا" لأنهم منساقون لم يستعملوا عقولهم للتدبر والتفكير فيما هم فيه من معتقد وهناك فريق آخر عرفوا من الحق الكثير لأنهم قرءوا الكتاب والسنة الشريفة ولكنهم لكفرهم وضلالهم وعدم حيدتهم-إلا من رحم ربي- ضلوا وأضلوا من ورائهم بخبثهم وتسخيرهم أنفسهم لأغراض دنيوية وعلمية مأجورة لصالح ما يعرف في التاريخ باسم الصهيونية العالمية ،وهؤلاء كانوا أخطر علي الإسلام ونبي الإسلام من غيرهم لأنهم عرفوا الحق وأنكروه فسخروا كل إمكانياتهم ومعرفتهم بالقرآن والسنة لتحقيق أغراضهم الدنيئة وذلك عن طريق اجتزاء الآيات القرآنية التي تخدم إغراضهم وتؤيد وجهه نظرهم في الإسلام ونبيه وتجاهلوا تماماً"أسباب النزول والمقصود بهذه الآية، وتجاهلوا عن قصد أيضاً المنسوخ من آيات الله البينات فنحوا هذا العلم

---

[1] سورة البقرة ٦،٧

[2] سورة البقرة ١٢٠

[3] آل عمران ١٠٠

[4] آل عمران ١٤٩

جانباً لينفذوا إلي تحقيق مخططاتهم وأهدافهم ،فإنهم لم يأخذوا منه إلا ما يخدم هذه الأغراض وفسروا فيه وأولوا ووصفوه في كتاباتهم على أنه تاريخ حقيقي وما ذلك إلا لترسيخ الكراهية للإسلام ونبيه ومحاولاتهم الدائمة للنيل منهما عن طريق التزوير والتأويل الباطل للكتاب والسنة أو حتى التخليط علي أهل الإسلام أنفسهم وتجهيلهم بسيرة نبيهم وتاريخهم وهم يعلمون ما يتبع ذلك من نتائج خطيرة علي الأمة الإسلامية وبالذات لشباب هذه الأمة .

أما عن رفعهم شعارات تحط من هذا الدين وتصفه ونبيه (ﷺ)بالعنف والإرهاب فلا يخفى علي كل ذي لب وعقل ما يريد من وراء هذه الشعارات الخاوية من نذر الحقيقة فهؤلاء الكتاب ومن ورائهم الساسة والكتاب صليبيون من رءوسهم إلي أخمص أقدامهم فكرهم منصب على عدائية مقيتة للإسلام ونبيه ، وهم علي مر الأزمان والعصور قد ترجمت كلماتهم التي خرجت من أفواههم إلى عنف شديد ضد المسلمين فإذا وجدوا من يتحدث ويفضح مثل هذه المنحى تزداد نبرتهم مما يقولون ويخرجون ما في مكنون نفوسهم من سموم وأحقاد في صورة وصم الإسلام ونبيه بالعنف وانه ما انتشر إلا بالسيف علي يد نبي الإسلام واتباعه وبالتالي يجب رد ما أخذ بالسيف بالعنف كمبرر لأفعالهم المخلوطة وعدوانهم المستمر على المسلمين منذ الحروب الصليبية حتى الآن وهو سنبين بعضه خلال البحث

إن ما يخفي هؤلاء من أحقاد وأضغان للإسلام ونبيه كثيرة ولهذا وضعوا خططاً وأعدوا عدتهم للقضاء علي هذا الدين وأتباعه ،بالكتابات ضد الإسلام وتخليطه علي أصحابه ولتوسيع الهوة بين تعاليمه واتباعه والمجاملة بالباطل ليدحضوا به الحق وتجهيل أولئك الأتباع بتاريخ هذا الدين ونبيه وأسلافهم الذين سادوا الدنيا حتى يفقدوا القدوة في ذلك ولا يتأتى لهم ذلك كما يظنون هم –إلا بالقدح في نبي الإسلام وهدم أسس هذا الدين وثوابته بأي وسيلة تعمل بحسم في هذا الاتجاه بداية من ردم منابع هذا الدين التي تغذي المسلمين وتبصرهم بتعاليمه من قرآن وسنه وفقه وتاريخ ....الخ وذلك بتهوين شأن هذه المنابع والنيل منها وترسيخ عدم أهميتها في الحياة المعاصرة واعتبارها رجعية بالية وأن البعد عنها يؤدى إلي التقدم والرقي ومروراً بنشر الرذائل والفحشاء في المجتمعات الإسلامية لتخريج أجيال متفسخة لاهية قلوبهم خدم لشهواتهم الدنيوية وبالتالي تسهيل قيادتهم وتسخيرهم لتدمير أنفسهم ومجتمعاتهم ،وهم لا يعلمون أن قدحهم لا يزيد المسلمين إلا محبة لنبيهم الذي كفاه الله سبحانه وتعالى المستهزئين بأن قيد الله أناسا للرد علي هؤلاء المستهزئين وأراجيفهم ليس من بين أبناء

الإسلام فقط بل من بني جلدتهم من يهود ونصارى أيضاً وبالذات للرد على شبهة انتشار الإسلام بحد السيف .

ج-تبرير هؤلاء لما يقومون به من أعمال شريرة واستخدام للعنف ضد المسلمين على مر العصور إن الدفع بين الخلق سنة كونية ليصلح الله الأرض ويساعد الإنسان على عمرانها قال تعالى" وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ "[1] ،وقال جل في علاه " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ "[2] ولهذا شرعت الحرب فى حالات الإفساد للكون، أي أن الحرب وسيلة لا غاية ، وسيلة للإصلاح لا للفساد والتعدي وقد رعى المسلمون هذه الحقيقة الإلهية وانساحوا فى أرجاء المعمورة لا هم لهم سوى هداية الناس إلى عبادة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكما سنرى طبقوا شرع الله فى كل الخطوات للحرب وكانت لهم أخلاقيات ومبادئ ساروا عليها فبها سادوا وتملكوا عالم العصور الوسطى وكونوا حضارة من أعظم الحضارات الإنسانية كان لها الفضل كل الفضل على العالم آنذاك حتى العصور الحديثة لأنها وببساطة حضارة كل زمان ومكان بفضل عقيدة التوحيد، وقاموا خلال ذلك بأداء الأمانة التي حملها الإنسان وإعمار الأرض كذلك لأنهم تفاعلوا مع غيرهم من الأمم دون حقد أو كراهية ، حتى إذا فرضت عليهم الحرب كانوا كما ذكرنا يخوضونها بأخلاقيات حسنة بناءة وذلك بعكس من صار يقدح فيهم من أعدائهم الغربيين والشرقيين أولئك الذين عندما أتتهم فرصة السيطرة، جعلوها للانتقام وبالذات من أبناء الإسلام، فصارت صفحات تاريخهم حقيقة حالكة السواد من كثرة ما ارتكبوه من جرائم فى حق الإنسان وبالذات المسلم، بداية من الحروب الصليبية وحتى الآن بما كان من أيديولوجيات معادية للسلام[3]، محبة للحرب وسفك الدماء واتخاذها وسيلة للتسلط وانتهاب ثروات الآخرين، ولم يعتبروها حالة عارضة ينبغي تجنبها ما وسع الإنسان ذلك كما فعل المسلمون فقد كانت آخر الوسائل فى حل أزماتهم مع الآخرين، ومن هنا وجدنا مسلسلا من العذاب على الشعوب المستضعفة وخاصة المسلمة منها عانوا خلاله معاناة شديدة على كافة المستويات

---

[1] سورة البقرة ٢٥١.

[2] سورة الحج ٤٠ .

[3] مثل الشيوعية، والصهيونية والعلمانية .

من قبل الغرب بالذات الذي ابتدأه بالحروب الصليبية ومازال مستمراً حتى الآن. وهؤلاء المتسلطون كانوا يجدون مقاومة ومواجهات شديدة من قبل هذه الشعوب بالقوة تارة وبالمواجهات الفكرية والدبلوماسية تارة أخرى ، فلا يجدون أمامهم ما يبرر مواقفهم العدائية تجاه الشعوب ويجدون الحرج الشديد فيما يواجهون به من انتقادات لاذعة لاستعمالهم القوى الغاشمة لقهر هذه الشعوب وبالذات من مفكريها وعلمائها. ومن هنا استخدموا طريقة الحرب المشهورة "الهجوم خير وسيلة للدفاع" من الناحية الفكرية، فلم يعجزوا عن إيجاد طرق وأساليب دعائية تنشر بين هذه الشعوب الشعارات الرنانة والكلمات الجوفاء التي تحمل فى ظاهرها أنهم ما جاءوا إلا لإصلاح هذه الشعوب وتقدمها وإخراجها من وهدتها الفكرية والحياتية بصفة عامة والتي غالباً ما كانت الشعوب تأبى قبولها، لأن واقع الأمر يخالف هذه الإدعاءات. ومن ثم كان لابد من البحث عن طريق أو وسيلة للخروج من هذا المأزق فكان المستعمر الغالب والمتسلط الفاجر يحيط نفسه ببعض المفكرين من العلمانيين أو حتى رجال الدين من اليهود والنصارى للبحث فى تاريخ هذه الشعوب ودراسته لتشويهه أولاً ثم لاستخدامه بصورته المشوهة كي يتوفر لهم مبررات ما يقولون ويفعلون، ولم ينج من ذلك خاص ولا عام ولا حتى الرسل وبالذات نبي الإسلام ، ومن هنا وجدنا أغلب المستشرقين فى هذا الدرب سائرون لخدمة سادتهم من الساسة وسفاكي الدماء ومدمري الحضارات ونهابى الثروات ، ومن ضمن حلقات مسلسل الافتراءات على الشعوب الإسلامية وتاريخها وحضارتها كانت مقولة أن الإسلام انتشر بحد السيف وأن هذا الدين ما أتى بجديد تفيد منه البشرية. تلك المقولة الجديدة القديمة التي لا يمكن أن تنال من الإسلام كدين ومن محمد بن عبد الله كنبي ورسول وما ذلك إلا لأنهما الحقيقتين الناصعتين أمام من لا يستطيع إنكارهما أو المساس بهما، حتى ولو كتبوا من أساطير الأولين والآخرين واخترعوا من أساليب وسلكوا من ملتوى الطرق. ولتكن ورقات هذا البحث رداً على هذه المقولة لا دفاعاً عن الإسلام ونبي الإسلام لأنهما لا يحتاجان ذلك منا فالله متكفل بهما وإنما لنضع الحقائق في نصابها ، ولتكن مشاركة منا فى إيقاظ الأمة للانتفاع بماضيها وسيرة نبيها بالذات ومعرفة ما يحاك حولها من مؤمرات ودسائس ولتستمر فى خيريتها إلى يوم الدين ، ولتكن هذه الورقات أخيراً رداً هادفاً بناء هادئاً ، حتى لا نقع فى مزالق الردود المتسرعة والمقارنات غير الموضوعية التي توقعنا فيما يريدونه لنا من شر كأن نصم الرسل وبالذات موسى وعيسى- رداً على اليهود والنصارى-

بالعنف واستخدام السيف بكثرة كمبرر لاستخدام محمد له، وهؤلاء أنبياء الله ورسله لا يجب بحال من الأحوال المساس بقدسيتهم وعصمتهم ويزيد الطين بلة فى هذا الأمر أننا نعتمد فى هذا السبيل على كتبهم التي كتبوها بأيديهم ليقولوا هذه من عند الله، مما يوقعنا حتماً فى شراك الكفر والعياذ بالله من حيث لا ندري وصدق الله العظيم إذ يقول " وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا "[1] ، وقال تعالى " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[2]

ولذا أعجبني جداً عنوان البحث "أخلاقيات الحرب" وزاد إعجابي به لما قرأت "فى السيرة النبوية" لأننا سنرد بواقع محسوس وممارسات أثبتتها المصادر التاريخية الموثوق بها، وفوق كل ذلك كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن العظيم ،لنضع سيرته العطرة وما ذخرت به من أخلاقيات فى أوقات الحرب الدفاعية والمفروضة رداً عملياً علمياً على هذا الافتراء الجديد القديم وغيره من الإفتراءات.

د- إستمرارية الترويج لمثل هذا المقولات ومحاولات ترسيخها فى أذهان الناس عامة والمسلمين خاصة ، وذلك لأنها ضمن مخططات متعددة لإيقاف المد الإسلامي المتزايد وسرعة انتشار الإسلام بين العالمين والالتزام بهذا المخطط واتباع السلف فيه للخلف وذلك منذ ظهور الإسلام فى الجزيرة وحتى الأن لناخذ بعض الأمثلة من التاريخ الأسود لهؤلاء لنشير بها ونذلل على ما نقول فيهود الذين حقدوا على العرب لخروج محمد(ﷺ) فيهم وصيرورته آخر الأنبياء الذي ظنوا أنه سيكون منهم ، كانوا أهم أكثر الأعداء مهارة فى استخدام الدعاية الكاذبة ضد الإسلام ونبي الإسلام، ضمن مخطط لوأد الدعوة الإسلامية فى مهدها. فلم يقروا السلام مع المسلمين بالمدينة ونقضوا عهود الصلح والمواثيق وشككوا فى نبوته ،ولما رأوا تمكن الإسلام بها حاولوا التخلص من النبي الكريم(ﷺ)وحينما فشلوا فى ذلك لجأوا إلى أسلوب الدس والوقيعة واتخذوا من القوة الظاهرة بمنظورهم وسيلة للقضاء على الإسلام ورسوله وهم قريش والعرب مصطحبين معهم دعاياتهم الكاذبة ومروجين لشائعات مغرضة عنه (ﷺ)ولما فشلوا فى

---

[1] النساء ٨٩ .

[2] البقرة ١٠٩.

النيل من الإسلام ورسوله وتفرقوا فى الجزيرة، بدأوا من جديد مؤمراتهم ودسائسهم ولم يكن بدا من محاربتهم فى خيبر وفدك وتيماء وغيرها فانكسرت شوكتهم ولكن حتى حين بعد أن وجدوا انتشار الإسلام بقوة ولا يستطيعون القضاء عليه، سلكوا طريق الفتنة والوقيعة بين المسلمين والمثل فى ذلك واضح فى عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء وما أثاره هذا الرجل حول نبوة محمد(ﷺ)وتأليه الإمام على كرم الله وجهه ... الخ . وساروا فى هذا الاتجاه خلال العصور الوسطى رغم أنهم عاشوا أفضل الفترات فى تاريخهم تحت الحكم الإسلامي ، ولكن الحقد والحسد والضغينة للإسلام ونبيه ظلت كامنة فى نفوسهم حتى جاء العصر الحديث وضعف العالم الإسلامي سياسياً فظهرت سياسة اليهود وهي التحالف مع القوى الظاهرة المتغلبة لينالوا من الإسلام والمسلمين ثم برزت على الساحة الصهيونية العالمية لتعمل فى السر والعلن للنيل من الإسلام ونبي الإسلام، والتي نجحت فى النهاية أن تقيم كياناً خبيثاً على أرض إسلامية يغذى اتجاه العداء للإسلام ونبيه على كافة المستويات سياسياً وفكرياً واقتصادياً من أجل القضاء عليه وأنى لهم ذلك؟!

وإذا كنا قد ضربنا المثل باليهود على استخدام الدعاية الكاذبة والإفتراء على الإسلام ونبي الإسلام وساروا يكيدون لهم على كافة المستويات، واضعين الخطط مثابرين على تنفيذها مهما طال الزمن، فإن لنا مثلاً آخر فعل مثلما فعل اليهود وخاصة بعد أن صارت لهم سلطة سياسية وكيان ديني متفرد ممثلاً فى رجال الدين ورؤسهم من الباباوات فالبابوية منذ نشأتها تعمل وتخطط للكيد للإسلام ونبيه، فوضعوا الخطط وعملوا على تنفيذها مهما طالت الأيام والسنون وتعاهدها الباباوات بالعناية والتنفيذ على قدر المستطاع ، ويتبع فى ذلك خلفهم سلفهم وساروا فى هذا على كل الاتجاهات الفكرية فيها والسياسية ، وكانوا أهم محرك للقوى السياسية وهجماتها على عالم الإسلام فى العصور الوسطى والحديثة بداية من الحروب الصليبية التي دعا إليها البابا أوربان الثاني ونهاية بحروب أمريكا على العالم العربي وبالذات العراق بمباركة رجال الدين وعلى رأسهم البابا بندكت السادس عشر الحالي الذي صدق بمقولته عن محمد ورسالته ما قاله بوش بعد هجمات سبتمبر الآن قد بدأت الحروب الصليبية.

أما على مستوى السياسيين والعسكريين فإنهم قد ربوا على كراهية الإسلام وأهله من قبل رجال الدين يهوداً كانوا أو نصارى وتولوا بهذه العقدة السلطات التي استخدموها موجهة ضد الإسلام ونبي الإسلام تبرز ما تخفى صدورهم، فكانت تلك النكبات التي تعرض لها المسلمون

خلال العصور الوسطى ممثلة فى حروب هؤلاء الساسة والعسكريين فى الشرق وهجماتهم الشرسة وهو ما عرف باسم الحروب الصليبية وكذلك الحروب الصليبية فى الأندلس ومروراً باستعمار شعوب الإسلام فى أوائل العصور الحديثة ونهاية بحروب أمريكا وطغيانها على هذا العالم حتى الآن.

هـ-تقصير المسلمين فى حق نبيهم ودينهم والدعوة إليه،فبرغم ما يقوم به الدعاة والمتخصصون فى العلوم الشرعية من مجهودات فى الدعوة والتعريف بالاسلام والرد على الشبهات التى يثيرها المتشككون والتى تحتاج إلى المزيد فى عصر ازدادت فيه شراسة الهجمة على الاسلام ونبيه ، فأن المسلمين عامة فى عالمنا المعاصر مقصرون رغم ما أتيح لهم الآن من وسائل دعوية، يمكنهم إذا استغلوها استغلالاً جيداً من تعريف العالم أجمع بالرسول (ﷺ)ودعوته كما أن المسلمين مقصرون تجاه دينهم ونبيهم فى بعدهم عن تطبيق شرائع الله وسنة نبيه فى حياتهم، فلم يعطوا حق هو أسهل بالنسبة لهم فما بالك بحق يحتاج إلى مجهود كبير إذا كان هذا بالنسبة لعامة الأمة فإن العلماء بكافة طوائفهم مسئولون وبدرجة كبيرة فى هذا الصدد، فمن الواجب استخدام تخصصاتهم المختلفة فى خدمة الدين والتعريف بحقوقه وحقوق المصطفى (ﷺ)على المسلمين وتوجههم لهذا الأمر، كما أنهم يعتبرون حائط الصد عن هذه الأمة والرد على ما يثار من شبهات حول الإسلام ونبيه وتبيين ما يحاك حول الأمة من مؤمرات ودسائس من خلال ما أتيح لهم من وسائل فى تخصصاتهم .

وأخيراً رجال السياسة والحكومات الواجب عليهم تسخير الطاقات الفكرية والمادية كما يفعل أعداؤهم لخدمة الدين والتصدي لهذه التحديات الخطيرة للإسلام وأهله ومحاولات استلاب شعوبه فكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وليس هذا بالطبع دعوة للعداء بل دفاعاً عن الدين والمعتقد والشعوب التي صارت فى مرمى الأعداء المتكالبين عليهم من القوى الشرقية والغربية منذ القديم وحتى الآن ونلمح لهم بما قاله علماء الاستراتيجية الأمريكية مثل صموئيل هنتجتون وفوكوياما بالنسبة لصدام الحضارات وخلاصته أن الصدام الحقيقي سيكون بين الإسلام والغرب رغم تعدادهم لسبع حضارات فى العالم الآن. أو ما تعده الآن مراكز الأبحاث من دراسات تغذي هذه النظرة ورفعهم راية الخطر ووجوب التصدي للإسلام ذلك الذي أسموه التهديد الأخضر، بعد أن دمروا الاتحاد السوفيتي وانتهى التهديد الأحمر، أضف إلى كل ذلك ما يثبت على لسان قادة الغرب وسياستهم من عبارات تؤكد كل هذا بل تترجمه إلى واقع

مر وأليم نتجرع نحن غصصه وآلامه الأن أمثال جورج بوش وتوني بلير وتاتشر، مادلين أولبرايت ، وأشكروفت وزير العدل الأمريكي وبيرلسكوني الإيطالي وخوسيه ماريا أثنار الأسباني ... وغيرهم كثير.

على كل حال إن ما أوردناه فى الصفحات السابقة عن محمد نبىالرحمة ورسول السلام يؤكد أنه (ﷺ)ما استخدم السيف أبداً لنشر الإسلام ولا حمل على أحد لاعتناقه وإنما كما أثبتنا كان (ﷺ)رحمة للعالمين .

وحتى لا يبقى لكم ما تظنون به أننا نخفيه عليكم أو أنكم عرفتموه وفهمتموه على غير علته نورد لكم ذالكم الحديث الذي يذكر فيه الرسول (ﷺ)أنه أمر أن يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ونص الحديث قال رسول الله (ﷺ)" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"[1].

لقد أخذتم هذا الحديث وسقتموه لتقولوا أن الرسول رجل عنيف يحب الدماء والقتل واستعمل السيف فى فرض الإسلام على الناس جميعاً نقول لكم أنتم بعيدون عن اللغة العربية وفقهها أنتم أبعد عن فهم الدين الحق ، وأنتم أكثر بعداً من أن تتعمقوا فى دراسة هذا الدين لانكم لا تريدون أو خوفاً من أن تصدموا بما لا يتوافق مع هواكم وأحقادكم وأطماعكم. وعليه فإنكم أخذتم الحديث بظاهره وكلماته ومعانيها العامة ولم تفهموا مراد الألفاظ ودلالاتها ولا خصوصية هذا الحديث. فالمراد بالناس فى الحديث ليس الناس الكافة ولكن عبدة الأوثان من عرب الجزيرة خاصة وذلك من قبيل استعمال العام فى الخاص كقوله تعالى " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "[2]. فكلمة الناس الأولى تعني بعض المنافقين من أهل المدينة والثانية تعني مشركي مكة وذلك كما أجمع العلماء. أما بقية الناس كما رأينا من أهل الكتاب وغيرهم فقد عوملوا من منطلق الحرية وعدم الإكراه فى الدين وكما سنرى عن حروب الرحمة التي خاضها الرسول (ﷺ)وأصحابه الكرام. والسبب فى هذا الاستثناء بلا شك لأن أولئك الوثنيين أغلقوا عقولهم وقصروا تفكيرهم

---

[1] صحيح البخارى ٢٥.

[2] آل عمران ١٧٣.

على عبادة الأوثان والأصناف بل أكثر من هذا وجدناهم يصدون من آمن بالله يبغونها عوجاً وأرادوا إبطال الحق وإحقاق الباطل بالقوة ولكن ما ينبغي للإسلام ونبي الإسلام أن يترك أولئك أحراراً يفعلوا ما يشاءون للقضاء على الدعوة فى مهدها وإلا كيف تكون عالميتها ونشرها فى العالمين بعد ذلك وبالتالي أمر الرسول (ﷺ)باستخدام القوة بعد ما نفدت كل الوسائل والسبل السلمية والطرق الدعوية التي أتينا عليها فيما سبق وذلك من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل " لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ"[1] وفوق كل هذا أيضاً لم يجبر أحداً بمفرده على اعتناق الإسلام وما ثبت ذلك فى عهد الرسول (ﷺ) وما تلاه عهده من قرون ، ولكن الإسلام ترك الحرية للمشركين فى البقاء على الوثنية ما طابت لذلك نفوسهم ألم يقل لهم الرسول (ﷺ) فى مكة " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ "[2].

ولكن الوثنى الكافر لو تعدى ذلك إلى أن يفتن المؤمن ويضطهده من أجل أن يهجر الإيمان إلى الكفر والوثينة عندئذ تحق مدافعته واستخدام القوة معه وتحقيق أمر الله تعالى إلى نبيه بقتالهم حتى يشهدوا بالوحدانية ويجب أن نشير هنا أن الرسول الكريم (ﷺ)قال ذلك لم يكن قاصد بالمرة تسلط على العباد وإرهابهم اطلاقا ودليلنا على ذلك أنه (ﷺ)كما يروى كل من الترمذى وأحمد[3] من أن الرسول (ﷺ)قرأ بعد هذا الحديث قول الله تعالى "إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر".

أما الحديث الثاني الذي رواه البخاري[4] ونصه "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ..." فهذا حديث صحيح ولكن الرعب المقصود فى هذا الحديث ليس المقصود منه أن الرسول (ﷺ) يرعب الناس بالقوة العسكرية والعتاد الكثير والعدة الكبيرة والأعداد الكثيرة إرهاباً وعدواناً، إنما المقصود بالرعب هنا أن الله ناصره بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائه ودليلنا على ذلك ما ورد في القرآن الكريم[5] إذا جاءت الكلمة بمعنى

---

[1] الأنفال ٨.

[2] سورة الكافرون.

[3] الترمذى رقم ٣٣٤١ ، أحمد ١٤٢٤٧.

[4] رقم ٣٢٨.

[5] راجع الآيات فى سورة آل عمران ١٥١ ،الأنفال ١٢ ،الأحزاب ٢٠ ،الحشر ٢ .

الخوف لا بمعنى الإرهاب وبث الخوف والهلع فى قلوب الناس وإنما كان الله تعالى نصرة لجنده يلقى الرعب فى قلوب أعدائهم، وقد فسر ابن كثير وغيره[1] الرعب فى قولة تعالى " هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ "[2] بأنه الخوف والهلع والجزع، أي أن الله ملأ قلوب يهود بالخوف والهلع والخوف من المسلمين بعد أن نقضوا عهدهم مع الرسول وأعلن عليهم الحرب، ولننظر إلى موضع آخر وردت فيه هذه الكلمة فى القرآن قد تستغربون أنها جاءت فى آية نزلت بعد هزيمة المسلمين فى أحد " سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ[3] فكيف يكون المهزوم مرعباً بنفس منطقكم ؟ مما يدلنا قطعاً أن الرعب المقصود هنا رعب ينزله الله فى قلوب أعداء الإسلام فيما أراد الله أن يواسي به المسلمين المظلومين المعتدى عليم ويشعرهم أن الله معهم فى المرحلة القادمة والتي ستكون لهم وسينتصرون وذلك من خلال ما يلقيه فى قلوب هؤلاء المشركين الذين كثروا واستأسدوا عليكم.

وما يروى عن رسوله فى هذا الموضوع يؤكد ما نقول إذ مر (ﷺ) على بعض أصحابه قبل أن يصلوا إلى بنى قريظة بعد غزوة الأحزاب مباشرة فقال لهم (ﷺ)هل مر بكم أحد ؟ قالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء وعليها قطيفة فقال (ﷺ) ذاك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم "[4] وأخيرا ما يقطع هذا الكلام عندكم شهادة أجد أعداء المسلمين يوم بدر فيروى عن نوفل بن معاوية الديلى قال " إنهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوت كوقع الحصى فى الطاس فى أفئدتنا ومن خلفنا وكان ذلك من أشد الرعب علينا[5]" .

---

[1] تفسيره ٢/١٣٠ وما بعدها ،١٦٧ ومابعدها ، الطبرى ٢٠ / ٢٤٣ وما بعدها ، القرطبى ٣ /٢٦،البغوى ٢ /١١٨ وغيرها .

[2] سورة الحشر ٢ .

[3] سورة آل عمران ١٥١.

[4] تفسير الطبرى: ٢٠/٢٤٥.

[5] البداية ٣/٣٤٧

فهل يأتي قائلكم بعد ذلك ليقول أن محمداً قال بصريح العبارة: "نصرت بالرعب" فى إشارة إلى استخدامه العنف؟ نقول لكم قيلت وتقال وستقال ليسهل عليكم -كما يدلنا واقع الحال- استخدام ألفاظ أخرى كأن تقولون إرهابياً أو سفاكا للدماء، لتحرفوا الكلمات عن مواضعها وتجرون وراء هواكم وتفكيركم القاصر .

وربما يرد متفلسفهم أتريد أن تقول لنا أن دعوة محمد (ﷺ)وصلت إلى العرب والعالمين عامة دون أن تراق نقطة دم واحدة؟ أتريد أن تعلمنا بأن محمدا (ﷺ)لم يستخدم السيف قط ولا دخل معركة ولا حارب من أجل نشر دعوته؟ مع أن الواقع وتاريخ الرسول وصحابته فيه من المعارك الكثير وما شهر ونعلمه استخدم فيه محمد (ﷺ)السيف وقاتل حتى تغلب على العرب وأبلغ الدعوة خارج الجزيرة ، نقول لكم إن أساس الدعوة كما قلنا واثبتنا لكم كان بالحكمة والموعظة الحسنة لأن الرسول (ﷺ)ما أتى إلا رحمة للعالمين ونعمة أسداها الله سبحانه وتعالى إلى خلقه ليخرجهم بإذن ربه من ظلمات الجهل والإشراك إلى نور العلم وتوحيد الله واليقين به وما أوردناه سابقاً خير دليل على ذلك ، إلا أنه لما طال العهد بالمشركين ولم يؤمنوا بل أرادوا فتنة المؤمنين واستمروا فى طغيانهم يعمهون وظلموا المؤمنين كثيراً بل وأخرجوهم من ديارهم وأخذوا أموالهم وديارهم ، عندئذ فرض القتال على المؤمنين وهو كره لهم، فكانت الحروب بينه وبين المشركين والكفار حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ولكن يجب أن نبين لكم إن أردتم أن تستوضحوا وتستيقنوا أن حروبه (ﷺ)لم تكن مثل حروب الجاهلية قبل بعثته ولا الحروب فى وقتنا هذا ولكنها كانت حروب من نوع خاص لم ولن تعرفه البشرية وصدق شاعرنا أحمد شوقى فى همزيته النبوية واصفا حروب الرسول (ﷺ) ومشروعيتها جامعا لأهدافها وأخلاقياتها قائلا:

الحرب فى حق لديك شريعة	ومن السموم الناقعات دواء
والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا	فالمجد مما يدعون براء
والحرب يبعثها القوى تجبرا	وينوء تحت بلائها الضعفاء
كم من غزاة لرسول كريمة	فيها رضى للحق أو إعلاء

اذا حروبه (ﷺ) كانت مشروعة ولها أسس ربانية وفيوضات إيمانية ألهمها الله وأوحى بها إلى نبيه (ﷺ) لحمتها الرحمة وسدتها عدم التعدي على أحد وهو ما يمكن أن نسميه أخلاق الحرب فى سيرته (ﷺ)ما هو سنأتي عليه بالتفصيل إن شاء الله،ونؤكد لكم أن الحروب التي خاضها رسول الله (ﷺ)لم تكن عبثية أو تغذي الأطماع الشخصية أو ترجو تكوين

امبراطورية دنيوية، أو إبادة مجموعات بشرية من أجل ما تملكه ثروات بترولية أو غير ذلك من أغراض دنيئة وأهداف شريرة ، ولكنها كانت حروب نقية فرضها الله على محمد وصحبه وأمته لأسباب منطقية وشاء الله أن يخوضها رسول (ﷺ)وأصحابه بأخلاق نبيلة ووفقهم أن يستهدفوا من ورائها هداية البشرية وهو ما شرع باسم الجهاد فى الإسلام ، وبما أنه شرع من الله تبارك وتعالى كتب على أمة الإسلام فلا نشك ولا يشك كل ذي عقل ولب وسلوك قويم وديانة صادقة وإيمان خالص فى أنه فى أسبابه منطقيا وفى أحداثه ومعاركه قويماً وفى أهدافه سموا وهداية ورحمة للعالمين . وخلاصته -أي الجهاد-هو منهج عملي لحياة المسلم الحق متكاملاً فرضه الله عليه وبين له وسائله وبين له أيضاً أسبابه ومبرراته وحدود ممارسته وآفاقه التي يجب الوصول إليها ثم بشر هذا المسلم بنتائج جهاده الدنيوية وكذلك الأخروية.

أي أن المسلم خاض هذه الحروب الجهادية بأوامر إلهية وتوجهات نبوية شريفة فعرف مشروعية القتال وأخلاقيات الأسباب، وتمثل وصايا رسوله الكريم المتضمنة لأخلاق تسير أحداث الحروب والمعارك ، ووضع فى ذهنه سمو الأهداف ونبالة الأغراض وهو ما سنأتي بتفصيله.

الفصل الثانى
أخلاقيات الأسباب والاستعداد

١- مشروعية القتال

٢- أخلاقيات الأسباب

٣- أخلاقيات الاستعداد المادى

٤- أخلاقيات الاستعداد النفسى والمعنوى للجند.

٥- نتيجة الاستعداد

٦- تقوى الله أساس أخلاقيات المسلم فى الحروب.

الفصل الثانى
أخلاقيات الاسباب والاستعداد

١- مشروعية القتال :

ظل الرسول (ﷺ) فى مكة يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجاهدهم بالحجة والبرهان من خلال ما يوحى إليه ربه يقول تعالى " فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا "[١]

ولكن أبى الظالمون إلا كفوراً ، فكان هذا شأنهم وما كان على الرسول إلا التبليغ فى هذه المرحلة وسار معه فى هذه المرحلة قول الله تعالى "لكم دينكم ولي دين" ، فالقضاء على معتقداتهم الباطلة بالقوة وفرض الإسلام فرضا على مشركى مكة ومن حولها لم يكن واردا فى هذه المرحلة كما علمنا سابقاً ، ولكن المشركين تعدوا الكفر والإصرار على الإشراك إلى إذاية الرسول والصحابة وصارت محاولاتهم مستميتة لصد الرسول وأصحابه عن الإيمان وفتنتهم عن التوحيد وتعددت سبلهم فى ذلك وهو ما دعا الرسول أن يأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة آخراً، ثم هاجر (ﷺ)نفسه إلى المدينة بعد أن أوحى إليه بأن قريش تأتمر على قتله ، ولما استقر(ﷺ)فى المدينة وكثر أهل التوحيد ، لم تتركه قريش وعز عليها أن أفلت منها المسلمون وأن وجدوا لهم مأمناً ومقرا فى المدينة ، بل ظلت ورائه وأصحابه بالكيد والعدوان يرجون ألا تقوم لهم قائمة ولا ترتفع راية الإيمان والتوحيد، وراموا حصار الإسلام فى المدينة وألا يعرف به العرب أو ينتشر بينهم ولكن الله سبحانه وتعالى أيد رسوله بنصره الموعود وبعباده المؤمنين من الأنصار ، وقد ألف الله سبحانه وتعالى بين قلوبهم وأذهب الله عنهم عصبية الجاهلية فلم يعد هناك أوس أو خزرج ،بل صاروا عباد الله إخواناً ونزع الله ما فى قلوبهم من العدواة والبغضاء ،وقضى على ما بينهم من إحن ومشاحنات وصاروا على قلب رجل واحد فصاروا أنصار الله يقول ابن القيم[٢] "وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج وكان أولى بهم من أنفسهم" كما من الله عليهم وقذف فى

---

[١] سورة الفرقان آية ٥٢.

[٢] زاد المعاد ٣ / ٧٠.

قلوبهم محبة إخوانهم من المهاجرين فصاريضرب بهم المثل فى المحبة والإيثـار يقـول الله تعالى " وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[1] كما آخى الرسول (ﷺ)بين الفريقين فأصبحوا بنعمة الله إخواناً . بل أكثر من هذا أراد الرسول للجميع العيش فى أمن واستقرار وأمان إذ كان معهم بالمدينة يهود ، لذا سعى إليهم وعقد معهم المعاهدات ووادعهم وكتب بينه وبينهم كتاباً فيه شروط وبنود تبين ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه المسلمين والمدينة والدفاع عنها، فعاش المسلمون فى ظل هذه السياسة الشرعية فى أمان ، وسرى الإسلام بين أهل المدينة وكثرت أعداد المسلمين ، وهو ما غاظ أعدائه من المنافقين واليهود وظهر ذلك جليا عند تحويل القبلة " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ "[2] فبعد أن قلب الرسول (ﷺ)وجهه فى السماء من الله عليه بالقبلة التي رضيها وهي المسجد الحرام " قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ "[3] فأصحابه الكرام قالوا سمعنا وأطعنا وقالوا " هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ "[4] ، وأما المنافقون فقد قال هؤلاء السفهاء كثيراً فقالوا ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حقاً فقط تركها وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل كما ظهرت عداوة يهود وقالوا عندئذ "خالف قبلة الأنبياء قبله ولو كان نبياً لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء ، مع إن أولئك اليهود يعلمون أن ذلك الحق قال تعالى " وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

---

[1] الحشر ٩.

[2] سورة البقرة الآية ١٤٣.

[3] سورة البقرة الآية ١٤٤.

[4] آل عمران ٧.

يَعْمَلُونَ"[1] ولكن لأنهم قوم ضغن وحقد وكراهية وعداوة للإسلام ونبيه ،أخبر الله رسوله (ﷺ) بتفرقهم وضلال أهوائهم ولو أتاهم بكل آية لظلوا على موقفهم من تحويل القبلة قال تعالى"وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ "[2] .

أما المشركون فى مكة الذين هالهم تمكن الإسلام فى المدينة وانتشاره بين أهلها ونصرة أهلها لمحمد وأصحابه فقد أبوا إلا مضايقة محمد وأتباعه فى المدينة واشتد عذابهم للمستضعفين الذين بقوا فى مكة . ولم يستطيعوا الهجرة ، وتحينوا الفرصة للنيل من محمد وأصحابه ولما علموا بتحويل القبلة حدثتهم أنفسهم و تمسكوا بأهداب الأمل بأن محمدا وأصحابه سيعودون إليهم والي دينهم صاغرين فقالوا كما رجع إلي قبلتنا يوشك أن يرجع إلي ديننا وما رجع اليها إلا لأنه الحق[3] ومع مرور الأيام والشهور لم يعد الرسول ولم يفكر فيما داخلهم من أفكار وولى وجهه شطر المسجد الحرام ولم يأبه بهم وبأقاويلهم ولا بغيرهم من منافقين ويهود متبعا في ذلك أوامر ربه وعدم خشية الظالمين من الناس قال تعالي " وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "[4] كما أخبر الله أصحابه الكرام بقيمة الرسول (ﷺ) حيث أرسله الله ليتلوا عليهم الآيات ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة تثبيتا لهم فيجب عليهم ذكره وشكره والاستعانة بالصبر والصلاة في مواجهة هذه الحرب النفسية قال تعالي" كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ "[5] هكذا أظهر تحويل القبلة الأعداء الجدد للرسول وصحبه فضلا عن مشركي مكة ،وهؤلاء هم الذين يقول

---

[1] سورة البقرة الآية ١٤٤.

[2] سورة البقرة ١٤٥.

[3] زاد المعاد ٣ / ٦٧.

[4] سورة البقرة الآية ١٥٠.

[5] سورة البقرة الآية ١٥١-١٥٣.

عنهم ابن القيم[1] رحمه الله "رمتهم -الرسول و صحبه بالمدينة -العرب واليهود عن قوس واحد وشمروا لهم ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبروالعفووالصفح حتى قويت الشوكة وأشتد الجناح فأذن لهم حينئذ في القتال"

وذلك لأن هؤلاء الأعداء أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وذلك عن طريق مدافعة هؤلاء الكفرة أعداء الله تبعاً لسنته في خلقه من أجل إصلاحهم وإعمار الأرض وعدم الإفساد فيها [2] لهذا أذن للرسول وصحبه الكرام بمدافعة أولئك الكفار والمشركين من أهل المدينة وخارجها يقول الله تعالى " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ"[3].

ثم فرض القتال عليهم بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم قال تعالى " وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ "[4] ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة " وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "[5] وذلك فى رحلته الطويلة (ﷺ)وجهاده من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، إذ فرض القتال على رسول الله وأمره ربه بمدافعة المشركين حتى دينه وذلك لأسباب منطقية ودوافع مقبولة عند كل ذي عقل ولب وإيمان فما بالك برسوله الكريم وصحابته الكرام وهم فى ساحة الأحداث وهم المعتدي عليهم بكافة أنواع الأعتداءات وهم المظلمون حتى تلكم اللحظة فكان الإذن بالقتال فرصة طيبة لإطاعة أمر ربهم وتصحيح ما تأبى أخلاقهم من قبوله ، واستعداداتهم الإيمانية والنفسية من تقبله، فخاضوا المعارك وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده لا حباً فى استعمال العنف واستخدام السيف ورؤية الأشلاء والدماء كما يحاول البعض تصوير جهاد أولئك وعلى رأسهم رسولهم الكريم بأنه وحشية ومحبة للعنف وشغفاً برؤية الدماء وذلك للوصول إلى الطعن فى الإسلام ونبي الإسلام بقولهم ما نشر محمد وأصحابه دينهم إلا بحد السيف.

---

[1] زاد المعاد ٣ / ٧٠ .

[2] راجع :سورة البقرة٢٥١،سورة الحج٤٠

[3] سورة الحج آية ٣٩

[4] سورة البقرة الآية ١٩٠

[5] التوبة ٣٦

٢- أخلاقيات الأسباب

وما بقى إلا أن نبين دوافع الحرب فى الإسلام وأسبابها المنطقية وبروز الأخلاق الإسلامية الرفيعة الآخذة بهذه الأسباب دون الاعتداء والظلم والتجبر أو الاستعلاء وفرض المعتقد وتتمثل هذه الأسباب فى:-

أ-الدفاع عن الإسلام و عن حريتهم في التفكير والمعتقد:-

فإن الرسول وصحبه كانت جريمتهم الكبرى في نظر مشركي مكة هي أنهم أسلموا وجوههم لله تعالي واعترفوا بوحدانيته واعترفوا بنبوة محمد (ﷺ)و نبذوا الأصنام و الأوثان و الشرك بأنواعه يقول الله تعالي " الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ "[١] ،ومن هنا سعت قريش جاهدة محافظة علي معتقداتهم الفاسدة رد أولئك المسلمين إلي دينهم و في ذلك يقول الله تعالي " وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "[٢] ولذا وجب قتالهم حتى لا يتمكنوا من ذلك و شئ آخر وجب المحافظة عليه و هو الاسلام و سيادته في الجزيرة دون غيره كما كان لابد من الوقوف ضد محاولات قريش فتنة المسلمين و كذلك إيقاع الشقاق بين المسلمين و العرب أو حتى بينهم و بين أنفسهم حتى تتزعزع العقيدة و تتحطم وحدة المسلمين و تهدم كيانهم الذي قام في المدينة و بالتالي فقدانهم أنفسهم و من يدخلون في هذا الدين و من وجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله قال تعالي " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ"[٣] ، "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[٤]و لما تحزبت الأحزاب ضده في مكة و المدينة و الأعراب أنزل الله سبحانه و تعالي إلي نبيه يأمره بمقاتله المشركين كافة في قوله عز و جل " وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "[٥]و ذلك حتى يكون الدين لله وتنشر عقيدة

---

[١] سورة الحج٤٠.

[٢] سورة البقرة ٢١٧.

[٣] سورة البقرة ١٩٣.

[٤] سورة الانفال ٣٩.

[٥] سورة التوبة ٣٦.

التوحيد بجزيرة العرب كما يريد الله ويشاء لا كما يريد المشركون أن تعلو عقيدة الإشراك فسبحان من أقر هذا وبشر نبيه قائلا " فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[١]

ب- الدفاع عن النفس :-

توحي آية الإذن بالقتال للرسول وصحبه الكريم بأنهم في حالة حرب مع قريش خاصة وإلا لم أذن لهم بالقتال والواقع أن الحرب كانت معلنة منذ أن خرج رسول الله (ﷺ)من مكة مهاجراً ألم تصب جام قريش غضبها على ضعفاء المسلمين بمكة بالتعذيب والاضطهاد ألم تعلن أنها أهدرت دم محمد (ﷺ)عند الهجرة ولمن أتى به حياً أو ميتاً مائة بعير، فأوجدت بذلك ظروف حربية ضد المسلمين بالمدينة ، وتصديقاً لحالة الحرب هذه وأن قريش مستمرة فى عدوانها وعدوانها ، اتصلوا برأس المنافقين فى المدينة عبد الله بن أبى بن سلول وكتبوا إليه وإلى من معه من المنافقين وذلك بصفته زعيم المدينة والذي كاد أن يتوج ملكاً عليها قبيل هجرة الرسول (ﷺ)يقولون لهم "إنكم آويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتله أو لنخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتليكم ونستبيح نساءكم "[٢] ، وما إن وصل الكتاب إلى عبد الله بن أبي حتى قام يمتثل أمر إخوانه من المشركين بمكة وكان حقده معروفا على الرسول لكونه استلبه ملكه، وجمع من معه عبده الأوثان والمشركين بالمدينة لقتال رسول الله ، فلما بلغ ذلك رسول الله(ﷺ) ذهب إليهم فقال لهم "لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما ترون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم"[٣] فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا ، ثم إن كفار مكة أعلنوا عزيمة صد المسلمين عن المسجد الحرام وخير دليل على ذلك قصة سعد بن معاذ مع أبي جهل فقد انطلق إلى بيت الله الحرام معتمراً ونزل على أمية بن خلف بمكة وطاف بالبيت فلقيه أبو جهل قائلاً : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصبأة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى

---

[١] التوبة ٤٠.

[٢] أبو داود رقم ٣٠٠٤ ، مصنف عبد الرازق رقم ٩٧٣٣.

[٣] أبو داود رقم ٣٠٠٤ ، مصنف عبد الرازق ٩٧٣٣.

أهلك سالماً فقال له سعد ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على أهل المدينة.[1]

وبلغت بهم الوقاحة مبلغاً والتهديد والوعيد حداً كان يجب على المسلمين فيه أن يوطنوا أنفسهم على القتال ومجابهة قريش إذا أرسلوا إلى المسلمين يقولون لهم: لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب وسنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم[2] ، ولم يكن هذا التهديد مجرد كلام انطلقت به ألسنة رجالات قريش، بل وطنت قريش نفسها للكيد لرسول الله والشر بالمسلمين حتى أنه (ﷺ)أدرك هذا فكان لا يبيت إلا ساهراً وأحس الصحابة بهذا التهديد والوعيد فخافوا عليه (ﷺ)، لذا كانوا يحرسونه ، فيروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: سهر رسول الله (ﷺ)مقدمه المدينة ليلة فقال : ليت رجلاً من أصحابي يحرسني الليلة قالت فبينما نحن كذلك سمعنا صوت سلاح فقال من هذا ؟ قال سعد بن أبي وقاص ، فقال له رسول الله (ﷺ) ما جاء بك؟ فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله (ﷺ)فجئت أحرسه ، فدعا له رسول الله (ﷺ)ثم نام[3] وظل كذلك (ﷺ)محروساً حتى نزل عليه قول الله تبارك وتعالى " وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ "[4].

ولم يقتصر تهديد قريش ووعيدها علي الرسول (ﷺ)فقط بل طال كذلك الصحابة ولذلك كانوا على أتم الاستعداد فيروى عن أبي بن كعب قال قدم رسول الله(ﷺ)وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار ورمتهم العرب عن قوس واحدة ،وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه ،وهم في ذلك يمتثلون قول الله تعالي" الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[5]، " وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ[6]

---

[1] البخاري ٣٧٣٤.

[2] المباركفوري: الرحيق المختوم صـــ١٨٥.

[3] البخارى : ٢٧ / ٢٩ وذكر مسلم رقم ٢٤١٠ خشخشة سلاح بدل من صوت سلاح ، راجع: سيرأعلام النبلاء ١٠٢/١، سبل الهدى ٣٧٥/٩ ، ٣٩٨/١١ الإصابة ٥٩/٣ .

[4] سورة المائدة / ٦٧.

[5] سورة البقرة ١٩٤.

[6] سورة البقرة ١٩٠.

ج -رد الظالمين و المعتدين :-

و يفهم ذلك من قول الله تعالي " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّـهَ عَلَـى نَـصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ"[1] ،نعم ظلموا في أموالهم ودورهم بل بعضهم غلب علي امرأته وابنه مثل أبي سلمة[2] عبد الله ورغم هذا لم يعتدوا بمثل هذه الأشياء وجعلوها لله خالصة وضـحوا بهـا وأهـدروا مصالحهم وتركوا أوطانهم رغبة في الحفاظ علي دينهم وخشية الفتنة ،لكل هـذا وعـدهم الله بالنصر علي أولئك الظالمين ومن هنا وطنوا أنفسهم علي القتال لردع أولئك الظالمين و كسر جبروتهم و تجبرهم و طغيانهم ، فهنا لا تهاون مع الظالم حتـى يرتـدع ويـذعن لمطالـب المظلومين و لا سيما بالعودة إلي مكة معززين مكرمين

د -الدفاع عن المستضعفين والمظلومين والمضطهدين :-

من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض ولا فرارا ،فإن الله سبحانه قد أمر جماعة المسلمين فى المدينة أن يهبوا لنجدة إخوانهم المستضعفين فى مكـة والـذين ظلموا طويلاً واضطهدوا كثيراً بل ويحضهم على الإسراع بذلك فى أسلوب استنكاري يـستثير به مرءوة النفوس المؤمنة وحساسية القلوب المطمئنة وعاطفة الأخوة فى الله تجـاه أولئـك المستضعفين الذين يعانون محناً أقواها وأشدها محنة فى العقيدة والفتنة فى الدين ويقاسـون ألواناً من الاضطهاد والظلم وتمنوا الخلاص مما هم فيه ودعوا ربهم أن يخرجهم مـن هـذه المدينة الظالم أهلها، فهلموا يارجال الإسلام للقتال لنصره الله وجاهدوا أولياء الشيطان الـذين أوقفوا أنفسهم وأموالهم على إذاية هؤلاء ومحاولة فتنتهم ووقفوا صفاً واحداً يقـاتلون فـى سبيل الطاغوت وفى ذلك يقول الله تعالى "وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ،الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"[3]

هـ- الرد على من نكثوا أيمانهم ونقضوا العهود والمواثيـق بينـعم وبيـن المسـلمين

---

[1] سورة الحج٣٩.

[2] سيرة ابن هشام٢ /٧٧ -٧٨.

[3] سورة النساء ٧٥- ٧٦.

وإعلانهم الحرب ضد جماعة الإسلام وطعنوا فى دين الله قال تعالى " وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ، أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ"[1] ولم يقتصر أمر القتال على مشركي مكة والأعراب فى ذلك بل شمل ذلك سابقيهم فى نقض العهود والمواثيق اليهود الذين امتلأ تاريخهم بالغدر والخيانة ونكث العهود فمنذ أن عقد الرسول (ﷺ)معهم المعاهدة بالمدينة لم يأت أحد من المسلمين بما يخالف بنودها وكان الرسول (ﷺ)حريصاً كل الحرص على تنفيذها ، ولكن يهود عادوا إلى طبائعهم فى النكث والخيانة وأخذوا طريق الدس والمؤامرة والتحرش وإثارة القلاقل والاضطراب فى صفوف المسلمين، خاصة بعدما رأوا الدعوة تسير فى طريقها ويزداد المسلمون عدداً وعدة، والإسلام ينتشر فى أرجاء الجزيرة والانتصارات تتوالى عندئذ نقضوا عهودهم حقداً وحسداً بل وظاهروا بالشر والعداوة وجاهروا بالبغي والأذى ، وازدادت شرورهم وعلت غطرستهم مع حلم النبي عليهم وحفظه للمواثيق والعهود حتى أنهم تآمروا على قتل الرسول (ﷺ)نفسه ثم مالئوا أعدائهم عليهم وأعلنوا العداوة صريحة لجماعة المسلمين فما كان بداً من محاربتهم وقتالهم رداً على نقضهم العهود والمواثيق وغدرهم وصريح عداوتهم.

هذه هي الدوافع والأسباب الرئيسية للحرب فى سيرته (ﷺ)، وهي أسباب مشروعة ووحي من الله لنبيه بالقتال لرد ظلم أو لإصلاح مفسدة أو رد لحق وإبعاد ظلم ونصرة مضطهد ورفع شأن مستضعف وفوق كل ذلك إعزازاً لدينه ورفعة لنبيه (ﷺ)، ولم نجد فيها سبباً يشي بسوء سلوك أو استغلال الحرب لمصلحة شخصية أو بناء مجد فرد أو سبباً ينبأنا رغبة الرسول (ﷺ) فى القتال وشغفه بالحرب واستعمال السيف أو تلذذ برؤية الدماء أو رغبة فى الإهلاك والتدمير والإخراب ، ولكنها أسباب نراها فى الواقع أخلاقية نابعة من تعاليم إلهية إلهامات ربانية أتاها الله لرسوله (ﷺ)ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرين ، وترسخت فى نفوس مؤمنة راضية لا ترى إلا الحق وتسعى لنصرته وإذا رأت باطلاً تسعى لسحقه وإزهاقه حتى ولو بالقوة والحرب والمنازلات، طالما أن ذلك فى صالح الدين كمنهج للحياة وشريعة للناس وهداية للبشر، وهي نفوس رباها النبي محمد (ﷺ)ووطنها على أن تكون جنداً

---

[1] سورة التوبة ١٢– ١٣.

لله تسالم من سالمها وتحفظ العهود والمواثيق وتقاتل من بغى عليها أو وقف حائلاً أمامها لتكون كلمة الله هي العليا، إعزازاً للدين ونصرة للحق دون تعد منهم أو ظلم.

٣-أخلاقيات الاستعداد المادي :-

وجدت إذا المبررات والدوافع التي حملت المسلمين على الحرب والقتال وهو كره لهم قال الله تعالى " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ "[١] مما يؤكد لكم أيها المقترون أنه لا رغبة لرسوله ولا لأتباعه في القتال واستعمال السيف ولا فرض العقيدة بالقوة على غيرهم ، فاتبعوا أوامر الله في نشر هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة وبمنطق أدفع بالتي هي أحسن " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[٢] ، " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٣] ، " فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[٤] وقوله تعالى " وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا"[٥] وقوله تعالى " لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ"[٦]إلا أن هذا الأسلوب من الدعوة فهم خطأ من جانب المشركين كافة فتجمعوا وتحزبوا للقضاء على المسلمين بأساليب كثيرة وطرق متعددة والمسلمون متذرعون بالصبر متحلون بالأناة تنفيذا لأوامر ربهم حتى جاءهم أمر الله بإذن لهم بمجاهدة المشركين ، فكتب عليهم القتال وفرض عليهم الجهاد، لما سقناه سلفاً من أسباب متعددة وأنزل الله سبحانه وتعالى آيات بينات وألهمه (ﷺ)الفيوضات من أجل إعداد أصحابه والاستعداد للجهاد بما يمكن أن نسميه المنهج القرآني والنبوي للاستعداد للحرب والمجاهدة،

---

[١] سورةالبقرة ٢١٦.

[٢] فصلت ٣٤.

[٣] البقرة ١٠٩.

[٤]المائدة ١٣ .

[٥] المزمل ١٠.

[٦] الغاشية ٢٢.

وحتى لا نفهم خطأ ويقال أن الرسالة المحمدية ما جاءت إلا لإعداد متبعيها للحرب والقتال، نقول إن هذا الإعداد والتهيئة لأصحابه وزرع أخلاق نفسية لخوض الحروب ما كان إلا ضمن منظومة عامة فى تربية المسلم والسمو بأخلاقه بعد ما أصيبت فى الجاهلية بأمراض كثيرة وعلل متعددة وعقد متباينة منها العصبية المقيتة والتهور والطيش والغرور والاستعلاء والاستهانة بالدماء والأعراض والذاتية والأنانية ...ألخ . وبعث (ﷺ)ليربيهم على الأخلاق والفضائل ويعلمهم أنها هدفه الأول وهي غاية بعثته فقال لهم(ﷺ)"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1] ، ويبين لهم (ﷺ)بضرورة إلتزامها لكونها توجهات إلهية ولا يحق التقصير فيها مهما كانت الظروف والأحوال.

ويبين العلامة محمد الغزالي فى مقدمة كتابه "خلق المسلم"[2] أن أركان الإسلام كلها تلزم المسلم بمكارم الأخلاق فيقول ما نصه "والعبارات التي شرعت فى الإسلام وأعتبرت أركاناً فى الإيمان به ليست طقوساً مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة وحركات لا معنى لها، كلا كلا فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه، هي تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل مستمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف وجاء –رحمه الله –من القرآن والسنة ما يربط أركان الإسلام بالخلق برباط وثيق من صلاة وزكاة وصوم وحج ... الخ وأن جميعها تلتقي عند الغاية التي حددها(ﷺ) فى قوله "إنما بعثت لاتتم مكارم الأخلاق".

ولا شك أن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام وأجل عباداته والذي فرض لغايات نبيلة وأهداف سامية لا تنفصم عراه عن الإيمان الحق ومكارم الأخلاق ومن هنا كان إعداد الرسول (ﷺ)لصحبه الكرام إعداداً جيداً للجهاد فى سبيل الله ليستكمل منظومة الأخلاق الإسلامية فى كافة مناحي الحياة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية وفى السلم والحرب على حد سواء. ليكون المسلم منارة يستضاء بها ، وفى الجهاد بالذات نجد الرسول (ﷺ)كان قدوة لأصحابه الكرام فقد استولى (ﷺ) كما يقول ابن القيم[3] على أنواعه فجاهد فى الله حق جهاده بالقلب

---

[1] المستدرك ٤٢٢١ ، كنز العمال ٥٢١٧ وقد ذكر البخارى فى الأدب المفرد لفظ صالح بدلا من مكارم انظر رقم ٢٧٣ .

[2] صـ٧.

[3] زاد المعاد ٣ /٥.

والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويديه ومن ثم استعد هو وأعد أصحابه إعداداً إلهياً نبوياً مما أدى إلى تهيئة شخصيات سوية قادرة باستعدادتها هذه إلى تبليغ الرسالة ونشر العقيدة دون ظلم وتعدي أما عن الاستعداد المادي فإن الله سبحانة وتعالى أمر نبيه (ﷺ)أن يستعد لمجاهدة أولئك الأعداء فليس هناك جهاد بدون استعداد وذلك ليحقق النصر على أولئك الأعداء المتعددين والمتنوعين كذلك، ويجب أن يكون هذا الاستعداد شاملاً بإعداد كل ما يمكن من أسباب القوة من استعداد اقتصادي واستعداد عسكري وحربي يقول الله تعالى " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ "[١] ، أما عن الاستعداد الاقتصادي فمعلوم أن الجهاد لا يكون بالنفس فقط ولكن يكون بالأموال كذلك ،ومن لم يستطع الجهاد بالنفس فعليه أن يجاهد بماله ليكون ذلك من أسباب الدعم المادي للمجاهدين ، بل إن كل ما يستطيع المسلم تجهيزه للحرب يدخل فى باب الاستعداد المادي للجهاد ولكن التهيئة المالية هي الأساس فى كل تجهيز ولذلك وردت صريحة فى آيات الله البينات الحاضة على الجهاد فى سبيل الله نحو قوله تعالى " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[٢] ، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "[٣] ، " انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "[٤] كما ذكرهم رسول الله (ﷺ)بالإنفاق فى سبيل الله والجهاد قال(ﷺ)"ما من مسلم ينفق من كل مال له زوجين فى سبيل الله إلا استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعوه إلى ما عنده"[٥] وقال (ﷺ)"من أنفق نفقة فاضلة فى سبيل الله بسبعمائة"[٦] وقال (ﷺ)" من أرسل بنفقة

---

[١] سورة الأنفال ٦٠.

[٢] سورة الحجرات ١٥.

[٣] سورة الصف الآيتين ١٠ – ١١.

[٤] سورة التوبة ٤١.

[٥] كنز العمال ١٦٠٣٠ .

[٦] كنز العمال ١٠٥٥١.

في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غـــزا بنفســه في سبيل الله وأنفــق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم" ثم تلا قوله تعالى "وَاللَّهُ يُـضَاعِفُ لِمَن يَشَاء "[1] وقال[2] "من أعان مجاهداً في سبيل الله أو غارماً في عسرته أو مكاتباً في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" وقال[3] " لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل واحد".

ولهذا وجدنا المسلمين يجودون بأموالهم قليلة كانت أو كثيرة مساهمة في الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وهو ما يعطينا نجاح رسوله الكريم بفضل الله تعالى في الإعـداد والاسـتعداد المادي للجهاد وأمثله المنفقين كثيرة ومشهورة ويأتي على رأسها ساداتنا عثمان بـن عفـان وأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ... الخ، قدموا الأموال نقديـة وغيـر نقديـة كالجمـال والخيول والطعام والأسلحة وجهزت بهذه الأموال عدة الحرب وبالذات من الخيول التي نـص الله على إعدادها للجهاد ، وأقسم بها الله تعالى في كتابة العزيز " وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا "[4]، ولذلك قال الرسول (ﷺ)[5] الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة،الأجر والغنيمـة أو المغـنم كما توفرت لذلك عدة الحرب وأسلحتها من سيوف ورماح وقسى ونبـال وحـراب وعـصى وخناجر ومنجانيق وغيرها.

وإذا حدث – وكان هذا نادراً إن لم يكن تكفي الأسلحة فإن الإسلام أجازاستئجار السلاح أو استعارتها كما فعل الرسول (ﷺ)في غزوة حنين لما استعار أسلحة من صفوان بن أمية وكـان مشركاً، ولكن يلاحظ أن الرسول (ﷺ)كان في المركز الأقوى وهو مـا يعنـي أن الاسـتئجار والاستعارة من الأعداء لا يكون فيه خدش لكرامة المسلم ولا يحس بضعفه وحاجته وانكساره أمام من يستعير منه، وما فعل الرسول ذلك إلا للاستعداد للحرب على الوجه الأكمـل وأخـذاً بالأسباب .

---

[1] سورة البقرة الآية ٢٦١.

[2] مسند أحمد ١٦٥٢٩ ، أبى داود ٣٩٦٦ ، سنن البيهقى ٢١٤١٠ .

[3] الأدب المفرد ٢٨١ .

[4] سورة العاديات ١.

[5] صحيح مسلم ١٨٧٢ ، مسند أحمد ٥٢٠٠١ ، ٨٩٦٥ ، ١١٣٦٤ ، سنن الدارمى ٢٤٢٦ ، سنن البيهقى الكبرى ٧٠١٧ ، مجمع الزوائد ٩٣٢٤.

على كل حال فإن الاستعداد المادي للحرب له أهمية أخرى فإن غايـة الاسـتعداد بالمـال والخيل وبكافة أساليب القوة ألا وهي إرهاب أعداء الله وزرع الخوف فى قلوبهم قبل الـدخول فى القتال والحرب، ولا نفهم هنا أن الاستعداد لإرهاب أعـداء الله يعنـي التهديـد بـالحرب العدوانية ولكن هو أسلوب لرد العدوان ودفع الأخطار والتأثير النفسي على الأعداء ليتراجعوا عن الظلم والعدوان ويفكر مرات كثيرة قبل الدخول فى حرب مع المسلمين خاصة وأن هناك ما يعرف بالاستخبارات الحربية والجواسيس الذين يتطلعون جيوش المسلمين .

٤-أخلاقيات الاستعداد النفسي والمعنوي :-

ولأن الجهاد الإسلامي هو حرب نقية أخلاقية فمن الأهمية بمكان الاستعداد النفسي والتعبأة المعنوية لجند الله الذين سيخوضون المعارك ويكونون فى ساحات الـوغي إذ لا ينتظـر مـن جندي شحن بما يؤدي إلى الحقد والكراهية وحب الانتقام وغيرها من العقد النفسية أن يخوض حرب لنشر دين أو التبشير بعقيدة قد ارتضاها الله لعبادة وإنما كان لابد مـن تربيـة هـؤلاء الأجناد وإعدادهم إعداداً نفسياً قويماً وأخلاقياً سليماً، وهو ما فعله رسول الله (ﷺ)فى أصحابه وأعدهم ليكونوا دعاة رحمة وسلام وحملة أخلاق مبشرين بعقيدة التوحيد مبلغين دعوة الله إلى العالمين كافة ، فكيف تم ذلك؟

إن إعداد الرسول الكريم (ﷺ)لصحبه الكرام من أجل الجهاد لم يكن وليد الإذن بالقتال مـن الله تبارك وتعالى وإنما كان قبل ذلك ولهذا يمكننا تقسيم هذا الإعداد إلى مرحلتين الأولى مـا قبل الإذن بالقتال والثانية قبيل خوض المعارك.

الأولى :ـ متعلقة بالإعداد العام للمسلم الذي صار بالمدينة يملك أمر نفسه وصار له مجتمعـاً يعيش فيه وملتزم بواجبات تجاه هذا المجتمع بعكس ما كان فى مكة إذ كان أمره بيد أعدائـه ولذا كان بها يعمل بمفرده، ولذا نرى أن السور المكية التي تأتي بالمبادئ الإسـلامية والتـي يمكن للفرد أن يعمل بها بمفرده كالحث على البر والخير ومكارم الأخلاق واجتناب الفـواحش والرذائل ... الخ.

ففي المدينة قام الرسول الكريم وتتأليف قلوب المؤمنين عن طريق بنائه (ﷺ)المسجد الذي لم يكن موضعاً للصلوات فحسب بل كان مكاناً طاهراً يتلقى فيه المسلمون التعليمات الإسلامية والتوجيهات النبوية ، وتتألف فيه القبائل والعناصر المختلفة التي تنافرت فى الجاهلية ، كمـا كان برلمانا للمسلمين يعقدون فيه مجالس الشورى وتنفيذ أوامر الشرع فى الواقع فى الأمور

الحياتية . بل كان مأوى لعدد من فقراء المسلمين الذين لا دار لهم ولا مأوى ولا أهل ولا بنون وهم "أهل الصفة" ففي بنائه ونشاطه ظهرت تربية الرسول (ﷺ)وإعدادهم لتحمل مسئولية تبليغ الرسالة وإشعارهم بأنهم جند الله المسئولون عن نشر هذه الدعوة فى أرجاء الدنيا ولا يتـأتى لهم ذلك إلا أن يجتمعوا على محبة الله، وأن يكونوا متعاونين فى أمور دنياهم وأخراهم

وليزيد تماسك المجتمع المسلم ويربط بين أفراده بروابط متينة ، قام (ﷺ)بالمؤاخـاة بـين المهاجرين والأنصار وذلك من أجل تذويب عصبيات الجاهلية إسقاط فوارق النـسب واللـون والوطن فلا يتقدم أحد ولا يتأخر إلا بعلمه وورعه وتقواه وجعل بينهم ميثاقاً وجب السير على هداه وجعلهم فى هذا الميثاق أمة واحدة ، متعاونون فى السراء والضراء، يدهم واحدة علـى من بغى عليهم، ولا يقتلون مؤمناً فى كافر ولا ينصر كافر على مؤمن، سلمهم واحد علـى أن يكون على سواء وعدل حتى ولو قام به أحدهم ، لا يؤون محدثاً بينهم ، وأنهم إن اختلفوا فى شيء يردوه إلى الله عز وجل ورسوله (ﷺ)[1].

وبهذا الميثاق أرسى الرسول (ﷺ)قواعد المجتمع الجديد المتكامل المتراحم الذي لا مكان فيـه للفردية أو الأنانية أو محبة الذات بحال وإنما صار الجميع يداً واحدة فيما يخص هذا المجتمع.

أما على المستوى الفردي فقد كان الرسول (ﷺ)يتعهدهم بالتربية والتعليم والتزكية والحـث على مكارم الأخلاق والتأدب بآداب الإسلام الحاثة على الود والإخاء والتـراحم مثـل إفـشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام والحث على الأخوة والتوحد وعدم التظالم ... الخ.

وفى رأيى أن ذلك جعل من المسلم محباً لمجتمعه ووطنه ، فضلاً عن محبتـه واعتـزازه بدينه وعقيدته التي صارت له منهج حياة ، بحيث صار على أتم استعداد للدفاع عن هذه القيم ولو ضحى بحياته من أجلها ولم لا وقد كان المهاجرون منهم وعلى رأسهم الرسول (ﷺ)أمثلة حية أمام هذا المجتمع الجديد للتضحية بالمال والأهل والولد فى سبيل العقيدة والفرار بالدين ، كما ضرب الرسول (ﷺ)لهم المثل بنفسه فى التفاني لنشر الدين ، وإعلاء كلمة الله والمحافظة على الشرع أن يقام وبنوره أن يستقر فى القلوب ومقاصده أن تحقق فى واقع الحياة المدنيـة فى كونه (ﷺ)صاحب الكمالات والفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال بما جعلته تهـوى

---

[1] راجع النص ابن هشام : السيرة ٢ / ١٠٢ -١٠٣

إليه الأنفس فما يتكلم بكلمة إلا ويبادر صحابته – رضى الله عنهم – إلى امتثالها وما يأتي برشد أو توجيه إلا ويتسابقون إلى التحلي به.

أما المرحلة الثانية : والتي تأتي بعد الإذن بالقتال فإن الرسول (ﷺ)فوق إعداد أصحابه الكرام لمنفعة مجتمعهم والتحلي بمكارم الأخلاق فى المرحلة الأولى فإنه بعد أن نزل الإذن بالقتال نجده (ﷺ)يهيأهم لهذا الأمر نفسياً ومعنوياً بطريقة ترضى الله فى نشر دينه وإعلاء كلمته، إذ كان (ﷺ)يتعهدهم بقراءة القرآن وإقرائهم القرآن عليه وذلك من أجل ربطهم بالوحي ليشعروا بما عليهم من تبعات الرسالة وحقوق الدعوة – هذا فوق ضرورة فهم وتدبر القرآن – ومن خلال آى القرآن الكريم الخاصة بالجهاد فى سبيل الله فهموا كيفية الجهاد وكنهه ، وكذلك عرفوا جزاء المجاهدين ومآلهم.

وقد نزلت آيات بينات قبل وأثناء القتال بينت لهم ما عليهم فى الجهاد وما يجب فعله فيه وما سيجنونه من وراء الجهاد وذلك ليزدادوا إيماناً على إيمانهم ولا شك أن ذلك يجعل المؤمن ثابتاً لا يتراجع أو يتخاذل فى القتال والحرب وبالذات لأن تلك الآيات البينات أعطته دفعات معنوية قوية ومستمرة وحققت له آمال الدينوية والآخروية بالإضافة إلى تحقيق أهداف الشرع من وراء الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمته ونشر عقيدته وما يترتب على ذلك من جزاء كبير فى الدنيا والآخرة. وقد جاءت هذه الآيات متدرجة على فترات حسب ظروف الحرب والقتال ليثبته قبل المعركة أو أثناءها وفى النهاية كانت تبشره بمآله فى الدنيا والآخرة.

ولقد استجاب الصحب الكرام لهذه الآيات البينات وتشربوا معانيها واستجابوا لله تبارك وتعالى ووثقوا فى نصره الأكيد وإعلاء كلمته ونشر دينه فبايعوا الرسول (ﷺ)على الجهاد من أجل ذلك قال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[1] ، فصاروا جند الله لا يخشون إلا هو ولو اجتمع الناس لهم " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "[2] ، حتى ظن المنافقون بهم الظنون ووصفوهم لفرط توكلهم على الله واستجابتهم لأوامره بالغرور قال تعالى تصويراً لذلك " إِذْ يَقُولُ

---

[1] سورة الفتح ١٠.

[2] سورة آل عمران ١٧٣.

الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[1] وما سندرسه من أخلاقيات المسلم فى الحرب لهو الدلالة القاطعة على حسن الاستعداد والإعداد النفسى لهؤلاء المجاهدين.

والخلاصة أن معية الله لجنده المجاهدين ربتهم على الجهاد فى الله حق جهاده بعد أن اجتباهم على العالمين واصطفاهم من أجل أداء الرسالة وتوصيل الحق والهدى إلى خلق الله أجمعين فخاضوا معاركهم بأريحية كبيرة وإيمان عميق بنصرتهم وقلوب محبة للقاء الله آملين الشهادة فى سبيله متطلعين إلى الجنة الموعودة لا إلى الدنيا ونعيمها الزائل سالكين طريق الجهاد المنزه عن الطمع والعدوان والحقد والحسد والكراهية وسفك الدماء والتسلط والطغيان والتجبر وفرض الإيمان بقوة السيف كما يدعي البعض ، ويؤكد البعض الآخر ظلماً وزوراً وتعدياً وبهتاناً على رسول كريم أرسل رحمة للعالمين، وصحب كرام صدقوا ما عاهدوا الله عليه إيماناً وتصديقاً برسالته وعزماً أكيدا على نشرها فى العالمين بالطريقة التي أمرهم الله تبارك وتعالى بها وتنفيذاً لتعليمات رسولهم الذي لا ينطق عن الهوى والذي دعاهم إلى محبة الله تبارك وتعالى من خلال إقامة شرائعه " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[2] ، يقول ابن القيم[3] "فتأخر الخلق كلهم وثبت اتباع الرسول(ﷺ) فى أقواله وأفعاله وهدية وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة وقيل "لا تقبل العدالة إلا بتزكية " " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "[4] فتأخر أكثر المدعين للمحبة وقام المجاهدين ... فلمسوا ما وقع عليه العقد " مصدقاً لقوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) "[5] ، فالمؤمن المجاهد صار عاقداً مع ربه والله عز وجل هو المشتري والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته والذي جرى على يده هذا العقد أشرف

---

[1] سورة الأنفال ٤٩ .

[2] سورة آل عمران ٣١.

[3] زاد المعاد ٣ / ٧٣.

[4] سورة المائدة : ٥٤.

[5] سورة الصف آية ١٠.

رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر، فلما تم العقد وسلموا المبيع أنفسهم وأموالهم ردها عليهم ذو الكرم والمنة أضعافاً " وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ "[1] ، يقول ابن القيم[2] "فسبحان من عظم جوده وكرمه أن يحيط به علم الخلائق فقد أعطى السلعة وأعطى الثمن ووفق لتكمل العقد وقبل المبيع على عيبه، وأعاض عليه أجل الأثمان ، واشترى عبده من نفسه بماله، وجمع له بين الثمن والمثمن وأثنى عليه ومدحه بهذا العقد، وهو سبحانه الذي وفقه له وشاءه منه".

إذا الله سبحانه أفاء علىرسوله (ﷺ)وعلى صحبه الكرام بالجهاد فى سبيله ومحبة الاستشهاد فى سبيل جناته ورضوانه، والرسول (ﷺ)من جانبه دعاهم بما أنزل عليهم من قرآن إلى هذه النعمة مبيناً آثارها الحميدة وجزائها الأوفى وعظم مكانتهم عند الله تبارك وتعالى فقال (ﷺ)ما هزت له الأعطاف وتهيأت به القلوب واستجابت به الجوارح واقتنعت به العقول وتأججت به الهمم وازدادت به الإرادة وأغرورقت له عيون الغير قادرين على نفقته وما ذلك إلا لأنه (ﷺ)جعل لهم بما بين ساحات الوغي وأجواء المعارك رياضاً يتنسم فيها المجاهدون ريح الجنة وعبقها بل وتخيلوا بها الفردوس الأعلى ليروا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولينعموا بما لم ينعم به إنسان فى الدنيا من المترفين خاصة، فروى (ﷺ)[3] لهم عن ربه جل فى علاه "أيماً عبد من عبادي خرج مجاهداً فى سبيلي وابتغاء مرضاتي، ضمنت له أن أرجعه إن أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة وإن قبضة أن أغفر له وأرحمه وأدخله الجنة".

وقال (ﷺ)[4] "مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله ، وقال (ﷺ)[5] "غدوة فى سبيل الله أو

---

[1] سورة آل عمران ١٦٩.

[2] المصدر السابق ٧٤- ٧٥.

[3]سنن النسائى ٣١٢٦ ، مسند أحمد٥٩٧٧ ، سنن النسائى الكبرى ٤٣٣٤ .

[4] مسلم ١٨٧٨ ، موطأ مالك ٢٩٩ ، مسند أحمد ٩٤٧٧ ، صحيح ابن حبان ٤٦٢٧ ، سنن البيهقى ١٨٢٧٠.

[5] صحيح البخارى ٢٦٣٩ ، ٢٦٤٣ ، ٦٠٥٢ ، ٦١٩٩ ، صحيح مسلم ١٨٨٠ ، سنن الترمذى رقم ١٦٤٨، مسند أحمد ١٠٨٩٦ ، ١٠٩١٥.

روحه خير من الدنيا وما فيها" ، وقال(ﷺ) [1] "إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهـدين فى سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة"

وقال(ﷺ) [2] " جاهدوا فى سبيل الله ، فإن الجهاد فى سبيل الله باب من أبوابها الجنة ينجي الله به من الهم والغم".

وذكر ابن ماجة عنه(ﷺ) [3] "من أرسل بنفقة فى سبيل الله ، وأقام فى بيته فله بكل درهـم سبعمائة درهم، ومن غزا بنفسه فى سبيل الله، وأنفق فى وجهه ذلك ، فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم".

وصح عنه(ﷺ) أنه قال[4] "ما من عبد يموت ، له عند الله خير لا يسره أن يرجع إلى الدنيا ، وأن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة،فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل مرة أخرى " وفى لفظ "فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة"

فاستجاب له(ﷺ)صحبه الكرام ولبوا داعي الجهاد طمعاً فى الجنة ودار السلام ، واستجابوا له بقلوب مؤمنة ونفوس راضية تشربت تعاليم دينها ووعت قرآنها وما خاطبهم به الله فـى عقيدة الجهاد وعظمت رسولها معلمهم الأول الذي هداهم إلى ما فيه خيرهم وما يحيهم " يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ "[5] ، وأحبوا من لا ينطق عن الهوى حباً يسر لهم المعسر وفتح لهم أبواب الأمل والرخاء واستبشروا بنصره وإظهار دينه الحق تمنوا به جنات عرضها السموات والأرض.

ما أريد أن استطرد فى ذكر محبة أولئك الصحب الكرام للجنة وثواب الله إيمانـاً وتـصديقاً واعتقاداً سليماً ولكن قصصهم عبرة لنا ولمن افترى عليهم من الشرقيين والغربيين وكال لهم التهم جزافاً هم وحبيبنا وهادينا محمد (ﷺ)من محبة الدنيا والغنائم والتعطش للدماء والحـرب

---

[1] البخارى ٢٧٣٧ ، صحيح ابن حبان ٤٦١١ ، ٧٣٩٠ ، سنن البيهقى الكبرى ١٧٥٤٤.

[2] البخارى ٦٩٨٧ ، مسند أحمد ٢٢٧٣٢ ، ٢٢٧٧١ ، ٢٢٨٢٨ .

[3] سننه٢٧٦١.

[4] صحيح البخارى / ٢٦٦٢ ، صحيح مسلم /١٨٧٧ وغيرهما.

[5] الأنفال ٢٤ .

والقتال إلى غير ذلك. ولذا سأختصر وأذكر لهم قصصا ثلاثا لتدلل على حسن الإعداد النفسى والاعتقاد والإيمان الخالص بالله ورسوله والإقبال على الآخرة دون الدنيا فاشتروا هذه بتلك ولم يرضوا بالثمن البخس لأنفسهم بغنيمة زائلة أو سلطان مباد أو ملك داثر أو حتى بالدنيا كاملة بزخرفها وزينتها ولهوها وإنما اشتروا بأنفسهم جنة عرضها السموات والأرض عرفها لهم الله ورسوله الكريم.

الأولى :ـقصة الصحابي الشهيد الصائم عبد الله الأحمسي الذي حارب مع رسول الله (ﷺ)صائماً فيصيبه سهم فيقع على الأرض وقد اشتد ظمأه فيطلب الماء وهو فى نزعه الأخير وينسيه الشيطان أنه صائم فيعطوه الصحابة الماء ، فلما كان بيده وضعه على شفتيه تذكر أنه صائم رضوان الله عليه ، فأمسك وقال لإخوانه أأذن المغرب؟ فقيل له : لا ، فأبعد الماء وقال حتى يؤذن ، فلفظ أنفاسه وشاء الله تعالي أن تقبض روحه وهو ظمأن رحمه الله وسقاه من كوثر حبيبه (ﷺ)وأنهار الجنة[1] .

والثانية:لسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار يمثل قمة الحب لرسول الله (ﷺ)والمثل الأوفى فى تشرب الصحابة لعقيدة الجهاد واستعدادهم للشهادة فى الميدان وكان قد خرج عن الصف ورسول الله يسوي صفوفه، فضربه (ﷺ)وقال له استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل وطلب القصاص من رسول الله (ﷺ)، فكشف رسول الله (ﷺ)عن بطنه وقال له " استقد ، فاعتنقه سواد فقبل بطنه فقال رسول الله (ﷺ)ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حضر ما ترى (أي الاستعداد للحرب والنزال) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له (ﷺ) بخير[2]

والثالثة :للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري والتي تجسد نظرة المسلم المجاهد للقتال والحرب فهي لحصد الحسنات ومحو السيئات وغفران الذنوب وطمعاً فيما أعده الله للمجاهدين فى سبيله وإيماناً وتصديقاً بموعود الله ورسوله لهم واقتداء بحبيبهم محمد (ﷺ)قائد المجاهدين ورحمة الله للعالمين . فلما كانت غزوة العسرة وهي معلومة الظروف والأحوال لدي الكثيرين في الإعداد والخروج وأجواء السير وطول الطريق ..الخ وكان أشد شئ علي المجاهد المسلم

---

[1] توفيق السبع: المجاهدون فى الله سلسلة البحوث الإسلامية ، مجمع البحوث الإسلامية الكتاب ٢٦ القاهرة ١٩٧١ ، صـ٩٥.

[2]مجمع الزوائد ١٠٧٣٢ ابن هشام : السيرة ٢ /١٩١ الطبرى ٢ /١٤٩، ابن كثير : البداية ٣ /٣٣١ .

إلا يجد ما يحمل عليه أو نفقه الحرب والقتال ومع أنهم معذورون في ذلك ولا يعاقبون عليه ،إلا أنهم جهدوا أنفسهم صدقاً مع الله تبارك وتعالي في ألا تفوتهم غزوة ولا غدوة أو روحة في سبيل الله فلما كان الخروج لهذه الغزوة ركب أبو ذر الغفاري بعيرا مهزولاً وسار خلف رسول الله(ﷺ)فأبطا به البعير المهزول حتى تأخر عن الركب بل أوقفه من السير ،فلم ييأس ولم يكل ويضعف قلبا وقالبا ويؤثر العودة والراحه بل نزل عن البعير وحمل متاعه علي ظهره ومشى علي الرمال الملتهبة في شدة القيظ حتى لحق برسول الله نصف النهار وقد بلغ به النصب والظمأ مبلغهما ،فلقيه رسول الله (ﷺ)قائلا : مرحبا بأبي ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده "" ثم سأله عن سر تأخره فقص عليه أبو ذر قصته فقال له رسول الله(ﷺ)إنك لأعز أهلي علي وكنت حزينا" لتخلفك عني ،لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنبا"[1]

أيها المتقولون ،الحاسدون ،الحاقدون ،المفترون ،السادرون في الغي والطغيان شرقيون وغربيون من علماء وحكماء ولاهوتيين هذا هو محمد وصحبه الكرام ،نبي الله المرسل رحمة للعالمين الذي بعثه الله بالحق ليظهره علي الدين كله ،أعده الله ليكون النعمة المسداه و السراج المنير للناس كافة ،أودع الله سبحانه في قلبه الرحمة والرأفة فوسعت كل الناس مسلمهم وكافرهم وفي حياته ومواقفه ما ملأ صفحات الكتاب ووعته القلوب والأفئدة وتعرفونه أنتم وتنكروه ،فصدق من سماه الرءوف الرحيم .

هذا هو محمد ذو الأخلاق الحميدة والصفات المجيدة الذي تشرب أصحابه عقيدته ووعوا شريعته وتخلقوا بخلقه (ﷺ)وصاروا معه (ﷺ)كما قال أ. توفيق السبع [2] "نماذج عالمية تمنح الإنسانية معنى التضحية وتلهمها معنى البذل وترسم لها الطريق الأمثل لتحرير الأرض وتحقيق النصر" ونضيف وتحقيق دعوة الله فى الأرض وإظهار الهدى ودين الحق على الدين كله ولو كره الكافرون، وهي نماذج وعت بقلوبها وأفئدتها وعقولها مقصد الدين وهدف الشرع ودانوا أنفسهم فى حياتهم الدنيا وعملوا لما بعد الموت فصارت الجنة دار المقامة نصب أعينهم فى معاركهم مع رسولهم وهاديهم ومعلمهم الكتاب والحكمة ومزكيهم محمد بن عبد الله (ﷺ) من غير أن يرتكبوا حماقات ورذائل ، نظيفة قلوبهم من الغل والحسد وكل أمراض

---

[1] كنز العمال ٢٣٢٣٢ ،الطبرى: تاريخ ٣ /٣٥٤ ابن هشام : السيرة ٤ /١٢٠ .

[2] المجاهدون فى الله صـ٩٦ .

القلوب وسعت قلوبهم الرحيمة أعداءهم أثناء المعارك بما يستبين لنا إن شاء الله فى أخلاقياتهم وما كل ذلك إلا أنهم تشربوا عقيدة الجهاد وأعدوا إعدادا نفسيا سليما على يد المصطفى (ﷺ)

٥- نتيجة الاستعداد

والسؤال الآن ماذا تتوقع أيها العاقل اللبيب من تصرفات لهؤلاء فى حروبهم ومعاركهم؟ وماذا كانت أخلاق هذه الفئة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله؟ هل تراهم خاضوا الحروب من أجل الدنيا ولذا سعوا لكسب المعارك وتحصيل الغنائم؟ أم أنهم كانوا متعطشين للدماء مسلطين سيوفهم على مخاليفهم فى العقيدة؟ هل تراهم عصبة متعصبة لأفكارها وشرعها وقرآنها ولذلك لم يقبلوا الغير وشرعوا سيوفهم ووجهوا حرابهم وصوبوا سهامهم من أجل فرض شرعهم وقرآنهم على هذا الغير؟

أسئلة كثيرة فى واقعها استنكارية منا ولكن أتعجب كثيراً عندما أقرأ أو أسمع ترهات ما يسمون بالعلماء المستشرقين والمرجفين فى الغرب والشرق على حد سواء والقوالين على محمد (ﷺ)وأصحابه والكاذبين المروجين للشائعات المغرضة، عندما يجيبون أو يكتبون بما يثبت إجابات سلبية عن محمد (ﷺ)وأصحابه ويكيلون لهم التهم ويلصقون بهم أحط الأخلاق وأسوا التصرفات فى حياتهم العامة وفى حروبهم بما يسيء إلى هؤلاء جميعاً فى أشخاصهم خاصة ويشوه صورة الإسلام والمسلمين بعامة.

وأقول لكم إذا كنتم قرأتم عن الإسلام تاريخه وسيرة رسوله(ﷺ)وأصحابه وفروع الدين الأخرى ولم تفهموا أو فهمتم وأنكرتم وأخفيتم ذلك على من يقرأ لكم ويأخذ منكم عن جهل أو ثقة فيكم فإنا أهل الإسلام نضع أمامكم وأمام جهالكم وجميعكم متصفون بالحقد والحسد والكراهية للإسلام وأهله، نقول ونضع أمامكم حقائق تثبت عكس ما تقولون ونقولها متجردين معتمدين على مصادر قد اعتمدتم عليها زوراً أو إنقاصاً للحقائق أو بتراً لعبارات أو تفسيرات خاطئة لتقولوا زوراً وبهتاناً. وبالطبع لا رداً على كل ما تقولون ولكن رداً فقط على ما يخص موضوعنا وهو الخاص بأخلاقيات الحرب فى الإسلام وإذا كنا قد أوضحنا أخلاقيات الأهداف والأسباب للحرب الإسلامية وعرفنا نبلها، وعرفنا كذلك كيف أعد الجنود المجاهدون نفسياً ومادياً بطريقة تعينهم على خوض الحروب لا يظلمون ولا يظلمون فالآن نقف على أخلاق أولئك الجند فى ميدان المعارك حسبما وردت فى سيرته (ﷺ) تلك الأخلاق التي هي جزء من

أخلاق عامة ربى رسول الله (ﷺ)أصحابه عليها وطالبهم با(ﷺ)لتزامها لكونها توجيهات إلهية ولا يحق التقصير فيها مهما كانت الظروف والأحوال ومن جانبهم فإن الصحابة الكرام تشربوا هذه الأفكار الطيبة من رسول الله (ﷺ)قدوتهم العملية ومثلهم الأعلى فى هذا الأمر لذا صارت هذه الأخلاق العامة وفى مجال الحرب خاصة لهم طبعاً وسجية ورثوها لأبنائهم وأجيالهم اللاحقة ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء الصحب الكرام فهموا جيداً مسئولية المسلم نحو الآخرين فى العالم الذي يعيشون فيه فإذا كان علماء الاجتماع يقولون إن الإنسان كائن اجتماعي فى حاجة إلى مجتمعه ومجتمعه فى حاجة إليه فما بالك بإنسان ملتزم تجاه مجتمعه بالتزامات لا تخدمه بشخصه فقط بل مرتبطة بوجوده وإنسانيته ورسالته فى الحياة ، وأكثر من هذا مرتبطة بحياته الأخروية أي صار مسئولاً عنها أمام الله ومن هنا صار لزاماً عليه تبلغ رسالته إلى العالمين بأحسن الطرق وأرق الأساليب ملتزم خلال ذلك بأخلاق حسنة ومكارم ومعالي جمعت وشمائل وأخلاق لا فيها مقابح ولا دغمرة ولا دغوات كما يقول أهل اللغة[1]

وقد استوت هذه الأخلاقيات بالنسبة للمسلم فى كل الأوقات والأحوال فى أوقات السلم وأوقات الحرب فهو ملتزم بها على طول الخط لأنها كما بينا من قبل فى طبعه وعدت من شمائله لأنه التزم أوامر ربه ومارس عباداته وفروضه واتبع سنة رسوله (ﷺ)والتي طالما كانت له مقياساً ومعياراً لإيمانه ، وقد صارت الأخلاق المترتبة عليها مرآة المسلم يرى فيها صدق اتصاله بالله من عدمه ويرى فيها مسيرته فى أداء رسالته إلى العالمين بالطريقة التي يريدها الله ورسوله أم نجح الشيطان فى جذبه إلى طرق جانبية ملتوية تؤدي بها إلى زهرة الحياة الدنيا والارتباط بها دون عمل لدار السلام وجنات عرضها السموات والأرض؟ ومن هنا وجدنا المسلمين الأوائل ومن تبعهم وتابعيهم ذوي أخلاق بل مكارم أخلاق فى سلمهم وفى حربهم، كرماء الشمائل، منزهون عن القبيح يترفعون عن مذموم السلوك وسفاسف الأخلاق وزديئها وهو ما أوجب علينا فى النهاية أن نخط سطوراً نبرز فيها هذه الأخلاق ونبينها لأقوام عموا وصموا آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً عن سماع الحق والاقتناع بالحقائق ، وجروا وراء المدعين والمرجفين والمصطادين فى الماء العكر أو حتى حاطبى الليل أو ذوي

---

[1] أى ذو أخلاق رديئة ، راجع لسان العرب ١١ /٢٠٩ أو قيل قلب الأخلاق أى ذا أخلاق رديئة ولا يثبت على خلق ، راجع / لسان العرب ١٤ /٢٦٣.

الميول المفسدة والادعاءات الكاذبة والافتراءات الباطلة على الإسلام ورسوله وأهله من مستشرقيهم بل ومن المستغربين من المسلمين. ونقول لهم نعرض لكم أخلاق المسلم وسلوكه لا فى وقت السلم والتعايش الحسن بينهم وبين المشركين والكفار من مجاوريهم بل فى أوقات الحرب والمكايدة والعناء لتعلموا متانة هذه الأخلاق ورسوخ مبادئ الإسلام فى نفوسهم وصدق اتصالهم بالله وخشيتهم له ومحبتهم لنيل رضوانه دون رضى العالمين، وإخلاصهم فى أداء رسالتهم بحب وود وعطف ورحمة وشفقة، رجاء هداية البشر كما أرادها الله ورسوله الكريم وخلال ذلك إن شاء الله تعالى لا نسعى بإذنه للإنشاء والتنظير والاعتماد على النصوص القرآنية والنبوية بل نؤيد ذلك بالوقائع والأحداث الحية والمواقف الدالة على الارتباط الوثيق بين النظرية والتطبيق في حياته (ﷺ)وحياة صحبه الكرام، الذين حققوا فى كل ذلك طاعة الله ورسوله، صادقين فيما عاهدوا الله ورسوله من قبل ،معلمين ذلك لأبناءهم وأحفادهم الذين ساروا على منهاجهم واتبعوا سبلهم محافظين على ما تمتعوا به من أخلاق رغم اتساع الملك وكثرة الاحتكاك وتداعي الأمم عليهم، لم يغيرهم فى ذلك ظروف الزمن وعوادي الأيام واجتماع أهل الكفر عليهم واستباحة ديارهم وانتهاك حرماتهم وسفك دمائهم وقتل نسائهم وأطفالهم واشاعة اعدائهم جرائم الاغتيالات فيهم وفى رؤسائهم وهم فى كل ذلك محتسبون يجاهدون قدر طاقتهم لا يخشون سلاحاً حديثاً ولا دسائس ولا مؤامرات ولا حتى خيانات تفت فى عضدهم، وإنما هم فى ذلك سائرون بأخلاق أسلافهم فى الحرب والسلم مقلدون لهم فى الصبر والاحتساب وخشية الله تبارك وتعالى واحتسابه لأعدائهم واضعين نصب أعينهم قول أسلافهم المجاهدين " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "[1] فما هى يا ترى أخلاقيات الحرب عند المسلمين كما تظهر فى سنته (ﷺ)؟ وكيف مارسوها؟ ما أمثلة ذلك؟ وكيف سار خلفهم على ما كانوا عليه من هذه الأخلاق حتى الوقت الحاضر؟

نقول وبالله التوفيق والسداد أن هذه الأخلاق تعددت وكثرت إلى درجة يظن فيها الجاهل بهم الناقث عليهم ما كانوا فيه من نعمة والحاقد الحاسد لما كانوا فيه من نعيم إنها مبالغات محبين وتعصب لأهل الملة والدين ، وأمجاد زائفة يعيش عليها ضعفاء مساكين من أجل التفاخر بها

---

[1] سورة آل عمران ١٧٣

فى العالمين، ونقول لهم والله لقد كانت فيهم وسنثبت لكم بالبرهان والدليل، أما نحن فنسطرها لا للتفاخر والتزيين فى عالم صار فيه المسلم بأخلاقه الموروثة سيد العالمين بل حـق علينـا ووجب كتابتها بماء الذهب وتسطيرها إن أمكن فى لوحات وبراويز ووضـعها فـى الميـادين ليعرف بها المغضوب عليهم والضالين ليعلموا وتعلم أجيالهم الحديثة كذب مـا تربـوا عليـه وصدق ما نحن فيه وليعلموا جميعاً أن أسلافنا عاشوا بأخلاق ومبادئ سامية ومـاتوا عليهـا ونعيش نحن بها وسنموت عليها لأننا على يقين وإيمان بنصر الله والتمكين وستبقى أمتنا إلى يوم الدين ونكون شهداء على العالمين وتبقى معنا هذه الأخلاق وصدق شاعرنا أحمد شـوقي حين قال :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٦- تقوى الله أساس أخلاقيات المسلم فى الحرب:-

أوصى الرسول (ﷺ) المسلمين بتقوى الله على أن تكون معهم أينما حلوا وحيثمـا ذهبـوا فقـال (ﷺ)"إتق الله حيثما كنت"[1]وذلك لما علم (ﷺ)بما أوحى إليه من ربه من وجوب التقوى علىالمسلم لما قال الله تعالى " وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ"[2]فألزمه بها كمـا جاء فى قوله تعالى " إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَـانَ اللَّـهُ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا "[3] بل أنه (ﷺ)شدد فى أن يتقوه حق تقاته فلما نزل قول الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ"[4] سأله الصحب الكرام ما معنى حق تقاته قال لهم (ﷺ)حق تقاته أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فـلا يكفـر " ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى لا يعصى طرفة عين لا فى سلم ولا فى حرب وعلى أية حال

---

[1] أخرجه الترمذي راجع: صحيح وضعيف السنة رقم ١٩٨٧ ، مسند أحمد ٢١٣٩٢ ، الطبرى : المعجم الكبير ٢٩٧، ٢٩٨، البيهقى : شعب ٢١٤٤١ ، شعب الإيمان ٨٠٢٥ ، ٨٠٢٦.

[2] المؤمنون الاية ٥٢ .

[3] الفتح الآية ٢٦.

[4] آل عمران الآية ١٠٢.

وفى أي ظرف، وهو ما لم يطقه بعض الصحابة الكرام وشق عليهم هذا[1] فــأنزل الله تبــارك وتعالى " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ "[2]ولكن الاستطاعة هنا ليست فى التقوى بل فى حق تقاتـــه، فالتقوى لازمة وحق تقاته خيرية وأفضلية وميزة تميز بها بعض المسلمين عن بعض. ممـــا يؤخذ منه أن التقوى لازمة على المسلم ويأتي ما استطاع فيها ، وقد ضـــرب لهـــم الرســـول الكريم (ﷺ)المثل الأعلى فى هذا المضمار فكان (ﷺ)أتقى الاتقياء ، والتزم بحق تقاته وذلك لما علمه وعلم به أصحابه (ﷺ)من أن التقوى عليها مدار حياة المــسلم فبــالتقوى تــصلح كــل العبادات من صلاة وزكاة وحج وصيام وبالتقوى تصلح الأعمال وتقبل وتغفر الذنوب " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا "[3] ولا يتقبل الله عملاً إلا من المسلم التقي " إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ "[4] لذا كانت التقوى معياراً للتمييز بين الخطأ والصواب والحلال والحرام وهـــو مـــا أودعه الله فى المؤمن إذا اتقاه وخشيه " يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُــمْ فُرْقَانـــاً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "[5] أي فى قلوبكم وعقولكم ما تميزون به ،ولهذا صارت تقوى الله هي الأساس المتين الذي أقام عليه المسلم بنيانـــه وذلـــك لينـــال الخيرية عند الله"أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[6] فالتزم بها فـــي كـــل أحواله وأعماله وأقواله لأنه وعى جيدا أنها خير لباس " يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَـــيْكُمْ لِبَاسًـــا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ "[7] وخيـــر الزاد الي الله التقوى " وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ

---

[1] راجع ابن جرير: تفسيره ٧ / ٦٦ ، حـــ ٤٢٦/١٣ –٤٢٧ ابن كثير : تفسيره ١٤٠/٨ القرطبي : تفـــسيره ٤ / ١٥٧ ، حـــ١٨ / ١٤٤ – ١٤٥ ، البغوي : تفسيره "معالم التنزيل ٢ / ٧٧.

[2] التغابن آية ١٦ .

[3] الأحزاب ٧٠ – ٧١.

[4] المائدة ٢٧.

[5] الأنفال ٢٩.

[6] التوبة١٠٩.

[7] الأعراف ٢٦.

يَا أُولِي الأَلْبَابِ" [1]وأخيرا" لينال ما أعده الله للمتقين في الآخرة من جنات عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين[2].

وقد كان المسلم في ساحات الحرب وميادين القتال ألزم بالتقوى عن غيرها من الأماكن لأنها ساحات شدة وكرب ،يرجو فيها رحمة الله في الدنيا ويخشون عذابه وقد سأل رجل أبا هريرة : ما التقوى ؟ قال أخذت طريقا ذا شوك ، قال: نعم قال : كيف صنعت إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال ذلك التقوى "[3] ويقصد بذلك الدنيا كلها المليئة بالمغريات المادية والمعنوية فضلا عما يلاقيه الإنسان من متاعب وكبد قد يخرجه عن طريق الاستقامة وخشية الله ،فما بالك بميادين القتال التي امتلأت بما يبعد الإنسان عن الطريق المستقيم فهي مليئة بالأشواك التي قد تصيب المسلم من الفرار خوفا" ،او الطمع في غنيمة أو أصابه غلول او تخريب او إفساد أو قتل بدون وجه حق ...الخ هنا يجب أن يستشعر تقوى الله فيما أمر به ونهى عنه كما قال سيدنا ابن عباس وعروة بن الزبير رضى الله عنهما[4] وعلق أبن جرير[5] على قولهما هذا بقوله وأولى الأقوال فى تأويل قوله ولباس التقوى استشعار النفوس تقوى الله فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر الله به من طاعته وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن لان من إتقى الله كان به مؤمنا وبما أمر عاملا ومنه خائفا وله مراقبا ومن أن يرى عند مايكرهه من عبادة مستحييا ومن هنا استشعر الصحابة التقوى فى ميادين الحرب والقتال ،ورغبوا في السلامة من هذه الأشواك عن طريق التزامهم التقوى وإطاعة أمر ربهم فيها ما استطاعوا الي ذلك سبيلا متبعين في ذلك ما أنزل اليهم من ربهم من أيات بينات حض الله فيها المسلمين علي التمسك بالتقوى وألزمهم بها في هذه المواطن بالذات كما قال تعالي " إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

---

[1] البقرة ١٩٧.

[2] راجع علي سبيل المثال آل عمران ٣٣ ، الزمر ٢٠.

[3] سبل الهدى ٤٢١/١.

[4] تفسير القرطبى ٧ /١٨٥.

[5] تفسيره ٣٧٠/١٢.

التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا "[1] ويخبرهم أنهم في معيته وحرزه ما داموا متقين ملتزمين بها في الحرب والجهاد " وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[2] ، " لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ "[3] وعرفهم جل فى علاه محبته للتقوى فى هذه المواطن بعد أن أمرهم بالوفاء بالعهد قال تعالى " إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ"[4]

وانظر إلى توجيهات الله تعالى فضلاً منه وكرامة على هؤلاء المجاهدين وتثبيتهم على الإيمان وزيادة وعلواً بأخلاقهم وإبعاداً بهم عن طريق الظلم والعدوان أن يتمسكوا بالتقوى قال تعالى " وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "[5] وإلزامهم التقوى لأنهم بها ينتصرون ويكون الدين لله وحده وبها يمكنوا من رد الأعداء قال تعالى " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ "[6] .وبها سيتم لكم النصر حتى ولو كنتم قلة أذلة قال تعالى " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ ، بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ "[7]وبالتقوى يكف الله أيدى أعدائكم عنكم وبالتزام التقوى يكون العون والتأييد بالمدد من الله حتى يتم النصر " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى

---

[1] الفتح ٢٦.

[2] راجع التوبة ٣٦.

[3] التوبة ٤٤.

[4] التوبة ٤.

[5] المائدة ٢.

[6] البقرة ١٩٣ – ١٩٤.

[7] آل عمران ١٢٤ – ١٢٥.

اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "[1] وأعلمهم جل فى علاه أن الصبر والمرابطة فى سبيل الله لا يتمان إلا بالتقوى المؤدية إلى الفلاح فى الدنيا والآخرة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[2].وأخيراً أيها المسلم علامة على تقواك يجب تعظيم هذه الشعيرة فإنها من شعائر الله " ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب "[3].

ومن باب فذكر إن الذكرى تنفع المؤمنين كان الرسول الكريم (ﷺ) إذا بعث بعثاً أو سرية كانت أول ما يوصى به القادة والجند التقوى قائلاً "سيروا بسم الله وعلى بركة الله ... واتقوا الله" وسار صحبه الكرام من الخلفاء الراشدين ثم من تبعهم من الخلفاء على هديه (ﷺ)ما أرسلوا جيشاً ولا سرية إلا أوصوها بتقوى الله أولاً حتى يتم النصر والتمكين نختار منها وصية الصديق رضى الله عنه لأمراء الجيوش التي أرسلها إلى بلاد الشام قائلاً "أوصيكم بتقوى الله[4] " كما قال لهم "أطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتك وأشربتكم وأطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"[5]ولما أخرج عمرو بن العاص إلى فلسطين أوصاه قائلاً : يا عمرو أتق الله فى سرائرك وعلانيتك" [6] ووصى الفاروق عمر رضى الله عنه سيدنا سعد بن أبي وقاص قائد جبهة العراق وفارس قائلاً "أما بعد : يا سعد فأني آمرك ومن معك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإنها أفضل العدة.على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب[7] وأوصى أبا عبيدة بن الجراح لما ولاه جند الشام "أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه الذي هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور"[8]

ونخلص من هذا أن الرسول الكريم (ﷺ)وصحبه الكرام وعوا جيداً معنى التقوى وأنها أساس كل عمل متقبل وأنها الهادية إلى الطريق المستقيم المؤدي إلى رضوان الله تبارك

---

[1] المائدة ١١.

[2] آل عمران ٢٠٠.

[3] الحج ٣٢.

[4] البيهقي : السنن الكبرى ١٧٩٠٤ ، كنز العمال ١١٤٠٨.

[5] كنز العمال ١٤١٧٢.

[6] الكاندهلوى : حياة الصحابة ٢ /٢٨٣ – ٢٨٤.

[7] ابن عبد ربه : العقد ١ /١٢٠.

[8] الكاندهلوى ٢ /٢٨٨.

وتعالى ودخول جناته ومن هنا نجدهم حريصين على تحقيق التقوى طاعة وخلقاً وسلوكاً وإذا كانت الأمثلة التطبيقية على التقوى فى الحياة العامة كثيرة ومتواترة فى ما كتب عن الرسول (ﷺ) وأصحابه الكرام فإننا نذكر آية الإلزام بالتقوى هنا " إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا "[1] لأنها تعطينا الجواب الشافي والدليل الواضح بمراعاة جماعة المسلمين فى عهده (ﷺ)التقوى فى حروبهم وغزواتهم، ولم لا والحروب والمعارك تستغرق من أعمارهم أياماً وشهوراً وأعواماً وهي محسوبة عليهم، فوق أنها أوقات أحوج ما يكون فيها العبد لتقوى الله ، ولذا ألزموا أنفسهم بها ورعوها حق رعايتها واعتبروها السلاح الأقوى الفاعل بعد الإيمان الواجب عليهم التسلح به فى ميادين القتال فيها يستطيع أن يكبح جماح نفسه ويحكم تصرفاته ويجبرها على تجنب المعاصي والبعد عن الأهواء والشهوات ويمنعها من التعدي والظلم ومن هنا ظهرت إخلاقياته فى ميدان المعركة ما نفع بها نفسه وأحسن إلى عدوه وأبلغ بها رسالة ربه ،تلك الأخلاقيات التي حكمت تصرفاته أثناء الزحف وفى معمعة المعارك وبعد أن تضع الحرب أوزاها وهي مجملها أخلاق حسنة بل هي مكارم الأخلاق ليس فيها من مذموم الأخلاق شيئاً وإن شذ نفر من المحاربين المسلمين وخالف أوامر ربه ونواهيه وخالف رسوله (ﷺ)فى الأقوال والأفعال والأعمال، فإن شذوذهم هذا كان علامات مضيئة ومناسبات طيبة لنزول الوحي من السماء زجراً لأولئك وإعادتهم إلى صوابهم وتوجيهاً لعامة المجاهدين نحو الالتزام بأخلاقيات الحرب كما أرادها الله ورسوله (ﷺ)لتصير بعد ذلك قواعد وسننا ، يسير عليها ويعمل بها المجاهدون فى عهده (ﷺ) وبعد ذلك لنشر الإسلام بين الأمم وتوصيله بالطريقة والمنهج الذي ارتضاه الله ورسوله . وسندرس هذه الأخلاقيات فى الفصلين التاليين بإذن الله تعالى ومشيئته لتستبين الصورة وتتضح المعالم أمام من لابصر له ولا بصيرة من المغضوب عليهم والضالين .

---

[1] الفتح ٢٦.

الفصل الثالث

أخلاقيات المسلمين المحاربين

١- المسارعة إلى النفير

٢- التوكل على الله

٣- الإستنصار بالله واللجاءة إليه

٤- إخلاص النية لله.

٥- اليقين بموعود الله

٦- الصدق مع الله

٧- الطاعة للأمير

٨- تقدير المشورة

٩- التراحم بين المحاربين

١٠- خفض الصوت

١١- التريث وعدم التعجيل

١٢- الشجاعة والإقدام.

١٣- عدم التولى يوم الزحف.

١٤- الصبر وتحمل الإبتلاءات والشدائد.

١٥- الخيلاء فى الحرب

١٦- الحياء .

١٧- التعفف والبعد عن الغلول.

الفصل الثالث

أولاً : أخلاقيات المسلمين المحاربين.

١- المسارعة إلى النفير:

إن المسلم الذي أعده الله ورسوله إعداداً خاصاً للجهاد فى سبيله كان دائماً أبداً مسارعاً للقتال وخوض الحروب فى سبيل الله مستجيبا لداعي الله الذي كان يأمره الرسول (ﷺ)أن ينادي للنفير فى أهل المدينة ، كما كان (ﷺ)يبعث فى القبائل والمدن يستنفر أهلها إلى عدوهم، فبعث مثلاً بريدة بن الخصيب إلى أسلم وأمره أن يبلغ الفرع(مكان بين مكة والمدينة) ويبعث أبا رهم الغفاري إلى قومه وأمره أن يطلبهم فى بلادهم. وأخرج أبا واقد الليثي إلى قومه وأخرج أبا جعد الضمري إلى قومه بالساحل وبعث رافع بن مكيث وجند بن مكيث إلى جهينة وبعث نعيم بن مسعود إلى أشجع وبعث فى بني كعب بن عمرو عدة وبعث فى سليم عدة نفر منهم العباس بن مرادس[1]وبعث الرسول (ﷺ)بسر بن سفيان بن عمرو الخزاعي مع بديل بن أم أحرم (بديل بن سلمة) إلى خزاعة يستنفرهم إلى قتال أهل مكة عام الفتح [2]فالكل كان يسارع بالخروج إلا المنافقين وذلك امتثالاً لأوامر الله تعالى الذي أمرهم بالجهاد والرسول الذي أعدهم لذلك يقول الله تعالى " انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "[3] وقال (ﷺ)فيما يروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله (ﷺ)"لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا"[4] وغيره من الأحاديث التي أتينا عليها سلفاً تحضهم على الجهاد والمسارعة إليه وتحذرهم كثيراً من تركه حتى لا ينالهم غضب من الله وذلة وصغار وبلاء فهو القائل (ﷺ)"إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بهم بلاء

---

[1] الكاندهلوى : حياة الصحابة ٢ /١٦.

[2] الروض الأنف ٢ /٢٢٨.

[3] التوبة ٤١.

[4] البخارى ١٧٣٧ ، مسلم ١٨٦٤.

فلم يرفعه حتى يراجعوا دينهم[1]". فاستجاب الصحابة لله ورسوله وسارعوا إلى الجهاد ومن تأخر منهم وتثاقل عوتب فى ذلك أشد العتاب من الله ورسوله والمؤمنين فالله سبحانه وتعالى خاطبهم بقوله محذراً إياهم من العذاب والهلاك" " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ، إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[2] بحرب منه فقال تعالى " قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ "[3] ولم يأذن لهم ولا الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله فى جهاده " مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ "[4] ومشهور معلوم قصة الثلاثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت بسبب موقف الرسول وصحابته الكرام من المخلفين فى غزوة العسرة وذلك بسبب تكاسلهم وركونهم إلى متاع الحياة الدنيا، وذلك حتى تاب الله عليهم ليتوبوا " وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[5] أما عتاب الرسول (ﷺ)لأولئك النفر القليل الذين تباطئوا فى الخروج وتثاقلوا حتى لعذر أو اجتهاد فى أمر فيه خير له وللمسلمين، فقد عاتبهم الرسول وفضل مسارعتهم إلى الجهاد وترك ما سواه لما فيه من جزيل الثواب عند الله تعالى فها هو عبد الله بن رواحه رضى الله عنه يتأخر عن الجيش والنفير فى مؤته وكان (ﷺ)

---

[1] مسند أحمد ٤٨٢٥ ، المعجم الكبير ١٣٥٨٣ ، ١٣٥٨٥ ، شعب الإيمان ٤٢٢٤ ، مسند البيهقى الكبرى ١٠٤٨٤ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ١ /٣١٤ ، حـ٣ /٣١٩.

[2] التوبة ٣٨-٣٩.

[3] التوبة ٢٤.

[4] التوبة ١٢٠.

[5] التوبة ١١٨.

قد جعله أميراً للجيش إذا حدث لزيد بن حارسة أو جعفر بن أبي طالب حادث الموت، وما تأخر إلا من أجل أن يجمع الناس مع رسول الله (ﷺ)فرآه النبي فقال (ﷺ)ما خلفك ؟ فقال أجمع معك يا رسول الله فقال له (ﷺ): لغدوة أو روحة فى سبيل الله خيراً من الدنيا وما فيها[1]، أو قيل أيضاً أنه بعثه فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فقدم أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله (ﷺ)الجمعة ثم ألحقهم فقال له رسول الله (ﷺ): لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم".[2] وأخرج البيهقي[3] عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أمر رسول الله (ﷺ)بسرية تخرج فقالوا يا رسول الله أنخرج الليلة أم نمكث حتى نصبح فقال أو لا تحبون أن تبيتوا فى خريف من خرائف الجنة ،وأخرج الإمام أحمد[4] عن معاذ بن أنس رضى الله عنه عن رسول (ﷺ)أنه أمر أصحابه بالغزو فقال رجل لأهله : أتخلف حتى أصلي مع رسول الله (ﷺ) ثم أسلم عليه وأودعه فيدعوا لي بدعوة تكون سابقة يوم القيامة فلما صلى النبي (ﷺ)أقبل الرجل مسلماً عليه فقال له رسول الله (ﷺ): أتدري بكم سبقك أصحابك؟ قال نعم سبقوني اليوم بغدوتهم فقال (ﷺ)"والذي نفسي بيده لقد سبقوك بأبعد ما بين المشرقين والمغربين فى الفضيلة ".

ولهذا سارع الصحابة الكرام إلى الجهاد وإجابة داعيه وسار لهم طبعاً وخلقاً فى عهده وعهود خلفائه لما علموه من الفضل والثواب وكذلك النذير بالعقاب فى الدنيا والأخرة . واتبع هديه (ﷺ) خلفاؤه الراشدون فى التذكير بالمسارعة والسعي الجاد إلى الجهاد حتى لا يتخلف أحد عن الجهاد فهذا الصديق يقول لأصحابه لما خرجوا مع خالد بن الوليد "ألا وقد أمرت خالد ابن الوليد بالمسير إلى العراق فلا يبرحها حتى يأتيه أمري فسيروا معه ولا تتثاقلوا عنه فإنه سبيل يعظم فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته وعظمت فى الخير رغبته[5] " وتأملوا معي ذلك المجلس الطيب الذي جمع كبار الصحابة لما دعا الصديق إلى الجهاد والنفير فى الناس فتباطأ البعض فقام الفاروق عمر بن الخطاب قائلاً (ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله وقد دعاكم لما

---

[1] مسند أحمد ١٩٦٦ ، سنن البيهقى ٥٤٤٦ ، سنن الترمذى ٥٢٧.

[2] مسند أحمد ١٩٦٦ ، سنن البيهقى٥٤٤٦ ، سنن الترمذى ٥٢٧ .

[3] سنن البيهقى ١٨٢٧٣.

[4] مسنده ١٥٦٦٠ .

[5] سنن البيهقى الكبرى رقم ١٨٣٩١.

يحييكم؟ أما أنه لو كان عرضاً قريباً أو سفراً قاصداً لابتدرتموه ، فأخذت الحمية للدين والعقيدة بعمرو بن سعيد رضى الله عنه وقال لسيدنا عمر ابن الخطاب : ألنا تـضرب الأمثـال أمثـال المنافقين مما منعك مما عبت علينا فيه أن تبدأ به ؟! فقال الفاروق أنه يعلم إني أجيبـه لـو يدعوني واغزو لو يغزوني فقال عمرو بن سعيد نحن لا نغزوا لكم وإنما نغزوا لله فقال عمر : وفقك الله فقد أحسنت !! فقال أبو بكر لعمرو بن سعيد : اجلس رحمك الله فإن عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه إنما أراد ما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهاد ، فقام خالد بن سعيد أخو عمرو فخطب وصدق على كلام أصحابه الكرام ومما قـال "الحمـد لله منجز وعده ومظهر وعده ومهلك عدوه ونحن غير مخالفين ولا مختلفين وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفر إذا استنفرتنا ونطيعك إذا أمرتنا ، عندئذ فرح الصديق بمقالته وقال له جزاك الله خيراً ابن أخ وخليل فأنت أمير الناس فسر يرحمك الله. فرجع خالد بن سعيد مسرعاً متجهـزاً وأمر الصديق بلالاً فأذن فى الناس "أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الـروم بالـشام ، فخـرج الناس عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة حتى أجتمع أناس كثيرون"[1]

وانظر إلى فعل الفاروق فى هذا الأمر ، لما انتدب الناس للجهاد اجمعوا له فقيل له أمر عليهم رجلاً من الصحابة السابقين من المهاجرين والأنصار قال لا والله لا أفعل آية الله إنما رفعكـم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو... والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً فأمر عليهم عبيد الله بـن مسعود ، لما يذكر له أنه أولهم إجابة للنفير[2] .

هكذا اجتمع للمسلم ما يدفعه للجهاد والمسارعة إلى النفير وإجابة داعيه والنفرة فى سبيله فخرجوا زرافات ووحداناً فى كافة الغزوات والسرايا وما تلا عهد الرسـول (ﷺ)مـن حـروب ووقائع فى الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً أو للمرابطة والمثاغرة لحماية بيضة المـسلمين ومقاتلة ما يلونهم من الكفار وحتى لا يكون الكلام إنشائياً فقط رغم إن ما قيل من أحداث فـى عهد الرسول (ﷺ)وأصحابه وما العتاب من الله ورسوله لمـن لـم ينفـر أن الجميـع كـانوا يسارعون إلى الجهاد ، وليس هناك ما يمنع أن نضرب بعض الأمثال ولله المثل الأعلى لنـدلل على هذه المسارعة .

---

[1] الكنز رقم ١٤١٧٢ ، الكاندهلوى ٢ /٣٤-٣٥.

[2] الطبرى : تاريخ ٢ /٦٣١ ، الكاندهلوى ٢ /٣٦ -٣٧.

ففي عهد الرسول (ﷺ)وجدنا من الأبطال المسارعين للجهاد الذين تركـوا ملـذات الـدنيا وأقبلوا على الأخرة الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة والذي كـان حـديث عهد بعرس، فما إن سمع داعي الجهاد والهاتفين به وهو مع إمرأته فانخلع من أحضانها وقام من فوره حتى دون أن يغتسل ، فلما التقى بالمشركين فى أحد أخذ يشق الصفوف يقاتل حتـى وصل إلى أبي سفيان بن حرب وظل يقاتله حتى استشهد[1] ، فلما انتهت المعركة طلب رسول الله(ﷺ)زوجته وقال لها : حديثني عن آخر عهدك بحنظلة فأجابت العروس كان بينـي وبـين حنظلة ما يكون بين الرجل وامرأته ولكنه سمع الهيعة أي نداء الحرب فنهض مسرعاً قبل أن يغتسل فقال لها رسول الله(ﷺ)لقد رأيت الملائكة تغسله بالأمس فى صحاف من فـضة بمـاء المزن بين السماء والأرض[2]وما ذاك إلا جزاء التضحية بالملذات الفانية فى الدنيا والمسارعة إلى النفير للجهاد فى سبيل نصرة الدين وتبليغ كلمة الحق وروى عن أبي أيـوب الأنـصاري والمقداد بن الأسود رضى الله عنهما يقولان "أمرنا أن ننفر على كل حال ويتأولان آية " أنفروا خفافاً وثقالاً"[3] وأبو أيوب الأنصاري لمحبته الجهاد والمسارعة إليه لم يكن يتأخر أبداً عـنهم حتى أنه فسر قوله تعالى "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" وقال أن الإلقاء باليد إلى التهلكة بترك الجهاد وقال إنما نزلت هذه الآية فينا نحن معشر الأنصار لما نصر الله نبيه و أظهر الإسـلام قلنا هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالي "و أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الي التهلكة " والإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد .[4]

وما كان المقداد بن عمرو ليتخلف عن النفر أبدا" ولا يحب ذلك مطلقا" لدرجة أنه أعـذر فـي الخروج بعد أن ضخم جسمه ولكنه كان يصمم علي الخروج للجهاد عندما يسمع النفير ،ولمـا قيل له لقد أعذر إليك قال "أتت علينا سورة البعوث " انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني إلا خفيفا"[5]

---

[1] إذ ضربه شداد بن الأوس ، راجع القصة صحيح ابن حبان ٧٠٢٥ ، الحاكم : المستدرك ٤٩١٧ ، الطبرى ١٤ /٢٦٧.

[2] ابن هشام : السيرة ٣ /٢٥،عيون الأثر ١/٤١٥-٤١٦.

[3] الروض الأنف ٣/٢٥٨ .

[4] تفسير الطبرى ٣ /٥٩٠ -٥٩١ ، ابن كثير : تفسيره ١ /٥٠٢٩ ، القرطبـى : تفـسير ٢ /٣٦١-٣٦٢ ، البغوى ١ /٢١٥ -٢١٦ .

[5] المستدرك ٣٢٨٢ راجع كذلك تفسير القرطبى ٨ /١٥١.

وروى عن أبي طلحة أنه قرأ سورة براءه فأتي على قول الله تعالي "أنفروا خفافا وثقالا " فقال لا أرى ربنا يستنفرنا شبابا وشيوخا يا بني جهزوني فقالوا له يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله حتى مات ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات ومع عمر رضي الله عنه حتى مات فدعنا نغزو عنك قال :لا جهزوني فغزا في البحر فمات فيه ،فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه بها وهو لم يتغير.(١)

ومن الطريف والمثير للفخر أن استجابة النفير لم يكن للرجال الكبار والشباب فقط بل خرج الصبيان يقاتلون ويلبون داعي الجهاد ، فقد جاءت امراة دفعت صبي لها إلى الجهاد وأتت به رسول الله فقبله وجعل يقاتل حتى أصابته جراحة فصرع فأتى به الرسول (ﷺ)فقال له أي بني لعلك جزعت قال : لا يا رسول الله(٢). وهذا عمير بن ابي وقاص الذي رده رسول الله (ﷺ)يوم بدر واستصغره فبكى حتى أجازه رسول الله فاستشهد وهوابن ست عشرة سنة (٣)وأجاز(ﷺ)يوم أحد سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان(ﷺ)قد ردهما قبل ذلك(٤)وهذا عبدالله بن عمر الذى عرض نفسه على رسول الله عام أحد وكان ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه وعرض نفسه عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه(٥) كما رد معه(ﷺ)في يوم أحد جماعة شجعان من الصبيان المسارعين لتلبية داعي الجهاد وهم أسامة بن زيد وزيد بن ثابت وعمرو بن حزم وهما من بني مالك بن النجار والبراء بن عازب وأسيد بن حضيروهما من بني حارثة ثم أجازهم (ﷺ)جميعا يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة(٦).

٣- التوكل على الله:-

تعلق المسلمون فى معاركهم وجهادهم بالله تبارك وتعالى واعتمدوا عليه بعد أخذهم بالأسباب تعلقاً كبيراً، وما ذلك إلا لإحسان الظن بالله والذي آمنوا به وبرسوله(ﷺ)والقائل لهم

---

١ تفسير القرطبى ٨ /١٥٠ -١٥١ ويقول ابن كثير أنها تسعة أيام انظر تفسير ابن كثير ١٥٧/٤.

٢ ابن شيبه ٣٦٧٨٢ ، كنز العمال ٣٠٠٦٢.

٣مجمع الزوائد ٩٩٤٤ ، كنز العمال ٣٠٠٧٦.

٤ ابن هشام :السيرة١٩/٣.

٥ البخارى ٣٨٧١ ، مسلم ١٨٨٦عيون الأثر٤١١/١.

٦ ابن هشام :السيرة١٩/٣.

فى محكم التنزيل " وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا " [1] أي كافية وقال " إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " [2] وأوحى إلى الرسول (ﷺ)آمراً إياه وإياهم بالتوكل عليه قائلاً جل في علاه " وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[3] وقال " وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "[4] ، " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا "[5] ، " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"[6] ، " فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ "[7] ، " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا "[8] ، " وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا "[9] ، كما خاطب المسلمون عامة بالتوكل عليه فقال سبحانه " إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "[10] ، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "[11] ، فإزداد حسن توكلهم على الله تبارك وتعالى فى كل أمورهم ومنها أثناء حروبهم ونلمس حسن الاستجابة لله وطاعته وحسن التوكل عليه فيما قال (ﷺ)لرسوله " كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ "[12] ، " وَمَا

---

[1] الطلاق : ٣.

[2] الأنفال : ٤٩.

[3] الأنفال : ٦١ .

[4] هود : ١٢٣ .

[5] الفرقان : ٥٨.

[6] الشعراء: ٢١٧.

[7] النمل : ٧٩.

[8] الأحزاب : ٣.

[9] الأحزاب : ٤٨.

[10] آل عمران : ١٢٢ .

[11] المائدة : ١١.

[12] الرعد : ٣٠.

اختَلَفتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "[1] وفيما صوره رب العالمين على ألسنة المؤمنين المتوكلين قال تعالى ، " قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"[2] ، " قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[3] ، " وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "[4] ومن حسن ظنهم بالله وتوكلهم عليه أن ساروا فى حروبهم ومعاملتهم مع أعداء الله بثقة كبيرة أعزةعليهم لدرجة أن المنافقين والذين فى قلوبهم مرض قالوا " إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[5] كما أنهم لم يعودوا يخشون الحروب والمعارك ولو اجتمعت عليهم قريش وأحلافها أو حتى الناس جميعاً وذلك لأنهم أتخذوا الله حسبياً وأحسنوا التوكل عليه " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"[6] بل صار التوكل عليه عندهم من أخص صفاتهم وأحسن أخلاقهم قالى تعالى " فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "[7] ومن هنا جزاهم الله على حسن التوكل عليه فضلاً كبيراً ونعمة واسعة ونصراً على أعدائهم أو على الأقل لم يمسسهم سوء برضوانه عليهم " فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ "[8].

ولنأت على بعض الأمثلة فى سيرته العطرة ندلل بها على حسن توكل الصحابة فانظر إلى حسن توكلهم على الله وقد خرجوا لبدر وما خرجوا لقتال ولكن عندما وضعوا فى مواجهة الجيش القادم من مكة لم يجبنوا رغم قلة العدد والعدة ، فخرجوا وكلهم على الله متوكلاً وقال

---

[1] الشورى : ١٠.

[2] التوبة : ٥١.

[3] الملك: ٢٩.

[4] إبراهيم : ١٢.

[5] الأنفال ٤٩.

[6] آل عمران ١٧٣.

[7] الشورى ٣٦.

[8] آل عمران ١٧٤.

سعد بن معاذ معبراً عن ذلك فسر بنا على بركة الله"[1] ولذا لم يخذلهم الله تعالى فى هذا اللقاء فأمدهم بمدد من عنده من الملائكة وأيدهم بجنود لم يروها وجعل كلمة الذين كفـروا الـسفلي وكلمة الله هي العليا وقد عبر عن ذلك ابن القيم[2] بقوله "ليخبـرهم أن النـصر مـن عنـده وبالتوكل عليه لا بالكثرة ولا بالعدد والله عزيز لا يغالب حكيم ينصر من يستحق النـصر وإن كان ضعيفاً ، فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة،وانظر كيف ضرب لهم(ﷺ)المثل فـى معركة أحد لما رأى أغلبية الصحابة الخروج من المدينة وقتال كفار قريش خارجها لبس لامة الحرب ولم يتراجع حينما أحس الصحابة أنهم أجبروه على ذلك وعرضوا عليه البقاء فـرفض ليعطيهم درساً فى تنفيذ ما يتفق عليه المسلمون ولسان حالـه (ﷺ)ينطـق " فَـاعْفُ عَـنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "[3] وما كان لهم رضوان الله عليهم فى جيش أو سرية عدداً يغلبون به عدوهم وإنما كان توكلهم على الله السبب الرئيسي فى توفيقهم وانتصاراتهم، حتى أن الله كان بحسن توكلهم يـرزقهم فـى غزواتهم ما يحتاجونه ماء أو طعام فيروى عن خباب رضى الله عنه قـال بعثنـا رسـول الله (ﷺ)فى سرية فأصابنا العطش وليس معنا ماء فتنوخت ناقة لبعضنا إذا بين رجليهـا الـسقاء فشربنا من لبنها[4] ألم يتمثل هؤلاء الصحب الكرام قول الرسـول (ﷺ)"لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"[5]" وأختم خلق التوكل فى الصحابة بقصة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب فيها كذب رجلاً منجماً وأحسن فى التوكل علـى الله، وذلك أن مسافر بن عوف بن الأحمر قال له حين انصرف من الأنبار يريد النهـروان لقتـال الخوارج يا أمير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهـار قال الإمام ولم قال لأنك إن سرت فى هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضرر شديد وإن سرت فى الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت وطلبت فقال الإمام: ما كان لمحمـد (ﷺ) منجماً ولا لنا من بعده ... قال من صدقك بهذا القول استغنى عن الله فى صرف المكروه

---

[1] الطبرى ٢ /١٤١ ابن كثير : البداية ١ /٣٢٤ ، عيون الأثر١/٣٢٨، الروض الأنف ٥ /٧٢.

[2] زاد ٣ / ١٨١.

[3] آل عمران ١٥٩.

[4] المعجم الكبير ٣٦٩٧ ، مجمع الزوائد ١٠٣٥٩ ، كنز العمال ٣٠٢٨٧.

[5] البيهقى: شعب الإيمان ١١٨٢ ، مسند أحمد ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، كنز العمال ٥٦٨٤ ، ٥٦٩٤ .

عنه ... نكذبك ونخالفك ونسير فى هذه الساعة التي تنهانا عنها . فسار رضى الله عنه فأتى أهل النهروان فقتلهم ثم قال لأصحابه : لو سرنا فى الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل : سار فى الساعة التي أمر بها المنجم ما كان لمحمد(ﷺ)منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ما سواه"[1] .

٣-الاستنصار بالله واللجاءة إليه:

إن المسلم دائماً على اتصال بربه وذلك من خلال دعائه فى السراء والضراء ومناجاته بالليل والنهار وذلك فى الحل والترحال وأكثر ما يكون اتصالاً بالله ويستغيث به فى أوقات الشدائد والأزمات لعلمه أنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، يسأله تفريج الكرب وإزالة الهم وإذهاب الغم فهو على كل شيء قدير وهوالسميع العليم ، تلك الصفتين اللتين وردا كثيراً فى آيات الحرب والجهاد فى القرآن[2] يستشعر منها المسلم أنه فى معية الله يعلم أحواله كلها ويسمع ندائه ودعائه وابتهاله وهو قريب مجيب الدعاء فهو الذي أمره بالدعاء وتكفل له بالإجابة قال تعالى " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"[3]والمسلم الذي دخل فى الحرب والقتال، بتوكله على الله وثقته بنصر الله الذي وعد إذا أخذ بأسبابه سوف يتحقق ، ورغم ذلك كان يبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ويلجأ إليه ويجأر بالدعاء فى ساعات العسر فى المعارك وعند اللقاء مع الأعداء ليذهب كربه ويكشف عنه السوء ويمنحه النصر ليحقق ما خرج إليه من تبليغ الدعوة المنوط بها وإيصالها إلى العالمين تحقيقاً لخلافته فى الأرض قال الله تعالى " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[4] وهو فى هذا مأمور من الله تبارك وتعالى الذي خاطبه وهو فى هذه

---

[1] كنز العمال رقم٢٩٤٣٩.

[2] راجع مثلا الآيات ٢٤٤ من سورة البقرة ، ١٤٧ من سورة آل عمران ، ٤٢ من سورة الأنفال ، ٦٢ من سورة الأنفال.

[3] غافر ٦٠.

[4] النور ٥٥.

المشاهد قائلاً "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ"[1] ومهتدياً بسنة نبيه (ﷺ)الذي كان لجاءً إلى الله تعالى يقول ابن القيم"[2] "قال : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب ، أهزمهم وأنصرنا عليهم " ربما قال "سيهزم الجمع ويولون الدبر الساعة موعدهم والساعة أدهي وأمر" وكان يقول "اللهم أنزل نصرك، وكان يقول "اللهم أنت عضدي وأنت نصيري وبك أقاتل".

وتأمل لجوءه (ﷺ)إلى الله تبارك وتعالى واستنصاره يوم بدر بعد أن أخذ بالأسباب واستعد للمعركة مادياً ومعنوياً، فلما رأى قريش قادمة إلى الوادي فى بدر دعا ربه قائلاً "اللهم إن هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم (أهلكهم فى الحين) الغداة[3]" وعندما بدأت المعركة دخل (ﷺ)العريش ومعه الصديق فأخذ فى الدعاء والابتهال والتضرع لله تبارك وتعالى ويقول فيما دعى (ﷺ): اللهم انجز لى ما وعدتنى الهم آت ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض[4] يقول الراوي" وجعل يرفع يديه إلى السماء حتى سقط ردائه عن منكبيه وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه ويسوى ردائه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال والتضرع : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعد[5] ... ولم يكتف بهذا (ﷺ)فى لجوئه إلى ربه، بل يروي أنه (ﷺ)سجد طويلاً داعياً ربه ، يقول الإمام علي "لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ثم جئت مسرعاً إلى النبي(ﷺ)لانظر ما فعل فإذا هو ساجد يقول : يا حي يا قيوم ، يا حي يا قيوم ولا يزيد عليهما ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ثم ذهبت إلى القتال ثم رجعت وهو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه[6]".هكذا كانت استغاثة الرسول(ﷺ)بربه دليلاً للصحابة الكرام وبرهانا على وجوب اللجوء إلى الله واستنصاره، ولذا اقتدوا به رضوان الله عليهم أجمعين فى نفس الموقف والمعركة فضجوا بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء

---

[1] الأنفال ٩.

[2] زاد المعاد٣/٩٨.

[3] ابن كثير : البداية ٣/٣٢٨ ،عيون الأثر١/٣٣٣ ، سبل الهدى ٤ /٣١ ، الروض الأنف ٥ /٧٨.

[4] مسلم ١٧٦٣ ، الترمذى ٣٠٨١ ، البداية ٣/٣٣٥ .

[5] البداية ٣ /٣٣٢ ، ٣٣٥ راجع كذلك بلفظ آخر الطبرى ٢ /١٤٩ ، سبل الهدى ٤ /٣٦.

[6] سنن النسائى ١٠٤٤٧.

وسامع الدعاء وكاشف البلاء حتى نصرهم الله نصراً عزيزاً وهم أذلة خاشعين" "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ[1]".

وكان هذا دأبه (ﷺ)فى مغازيه فإذا أرسل بعوثاً أو سرايا يوصى أصحابه الكرام بالدعاء والاستغاثة بالله واستنصاره كما كان يعلمهم الاستنصار بالقرآن فيروى عن إبراهيم بن الحارث التميمي رضى الله عنه قال: وجهنا رسول الله(ﷺ)فى سرية فأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ "[2] فقرأناها ، فغنمنا وسلمنا"[3].

ومن هنا صار هديه(ﷺ)فى الاستنصار بالله واللجوء إليه متبعاً فى الحروب من بعده حتى وقتنا هذا بحيث صار الاستنصار بالله سلوكاً وخلقاً حربياً يحافظ عليه الخلف من التابعين وتابعي التابعين ومن يلونهم ولطالما علت فى ميادين الحرب صيحات التهليل والتكبير والابتهال إلى الله تعالى متخذين كل وسيلة يرتضيها لله ورسوله وأولها كانت الصلاة التي كانت تؤدى فى مواقيتها بنظام يكفل للمسلمين عدم الميل عليهم من الأعداء ميلة واحدة تلبيه لما أوحى إلى الرسول الكريم(ﷺ)إذ يقول الرب العلي " وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ، فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا "[4] الواقع أن سيرته تفيدنا بأن المسلمين لم يقتصروا فى صلاتهم على المكتوبة فقط بل منهم من قام لله بالليل إيماناً واحتساباً ،وذلك كما جاء فى قصة عمار بن ياسر وعباد بن بشر فى غزوة ذات الرقاع إذ قاما يحرسان العسكر ليلاً فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر أتحب أن أكفيك أول الليل أم آخره؟ فقال عمار بل اكفيني أوله فنام وقال الأنصاري حارساً ثم دخل فى الصلاة فجاء مغير فرماه بأسهم حتى أدماه ولم يخرج من صلاته

---

[1] الأنفال ٩.

[2] المؤمنون ١١٥.

[3] كنز العمال رقم ١١٧٧٤.

[4] النساء / ١٠٢ –١٠٣ .

أو يقطع قراءته حتى ينهيها، فلما سئل عن ذلك قال : وإيم والله لولا أن أضيع ثغـراً أمرنـي رسول الله(ﷺ) بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو انفذها[1]. تقرباً إلى الله تعالى ولجوءً إليه وابتغاء مرضاته لأنهم ما يحاربون إلا في سبيله ولنشر دينه الذي ارتضاه لخلقه، ومما توسل به المسلمون في عهد الراشدين قراءة القرآن قربة الي الله واستجلابا لرحمته ونصرة ، ويذكر في ذلك أن سعد بن أبي وقاص صلي بالناس الظهر يوم القادسية ثم أمر الغلام الـذي ألزمه عمر الخليفة إياه وكان من القراء أن يقرأ سورة الجهاد وكان المسلمون يتعلمونها كلهم ،فقرأ علي الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد فقرأت في كل كتيبة فهشت قلـوب النـاس وعيـونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها[2]وسيدنا سعد نفسه هو الذي استنصر بالله مهللا مكبـرا" وقـال لجنوده يوم القادسية أيضا بعد أن صلي بهم الزموا مواقفكم ولا تحركوا شيئا حتـى تـصلوا الظهر فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا واعلموا أن التكبير لم يعطه أحـد قبلكم وأعلموا أنكم أعطيتموه تأييدا" لكم[3] .. وأرسل سيدنا أبو بكر إلي أمراء جنـده بالـشام يقول لهم "إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وإني أدلكم علي من هو أعز نصرا واحضر جنـدا الله عز وجـل فاستنصروه فإن محـمدا" (ﷺ)قد نصـر في بدر في أقل من عـدتكم ففعلـوا وانتصـروا ([4])وكتب سيدنا عمر بن الخطاب لسيدنا عمرو بن العاص وكان قد اسـتبطأ فـتح مصر "أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما أحـدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وأن الله تعالي لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم ... فاخطـب الناس وحضهم علي قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ... وليكن ذلك عند الـزوال يـوم الجمعة فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة وليعج الناس إلى الله وليـسألوه النـصر على عدوهم" ففعل عمرو ، ففتح الله عليهم[5] ولطالما استمرهذا الحق مع غيره من الأخـلاق

---

[1] راجع ابن هشام : السيرة ٣ /١٢٤ ، الخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله (ﷺ)من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،القاهرة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م صـ٤٥٨ -٤٥٩.

[2] الطبرى : تاريخ ٢ /٥٩٤.

[3] الطبرى : تاريخ ٣ /٤٧.

[4] مسند أحمد ٣٤٤، ابن حبان: صحيحه٤٧٦٦ ،الهيثمي ١٠٣٦٩ ،ابن أبى شيبة ٣٣٨٣٣.

[5] كنز العمال ١٤٢٢٠.

الحميدة لطالما استمر النصر من الله للمسلمين وازدادت فتوحاتهم شرقاً وغرباً، فلما فتحوا الشام والعراق وفارس واتجهوا غرباً وفتحوا الشمال الأفريقي فانظر إلى أول معركة من المعارك الرئيسية التي خاضوها ضد أعدائهم من البيزنطيين في أفريقية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح والي سيدنا عثمان بن عفان على مصر وهي موقعة سبيطلة وذلك في العام الثامن والعشرين من الهجرة الشريفة. وكيف كان سلوكهم وأخلاقهم وكيف كان سلوك وأخلاق أعدائهم؟ فلما دعا عبد الله بن سعد جرجير (جريجوريوس)، إلى الإسلام أكثر من مرة ولم يستجب فكانت الحرب ، ونترك عبد الله بن الزبير الذي كان له دور مشهوراً فى الجهاد بأفريقية ونواحيها يصف لنا هذه الأحوال يقول رضى الله عنه " ولم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا – أي فى المسير إلى أفريقية – حتى انتهينا إلى إفريقية فنزلنا بها حيث يسمعون أي الأعداء – صهيل الخيل ورغاء الإبل وقعقعة السلاح فأقمنا أياماً نجم كراعنا ونصلح سلاحنا ... فبتنا وباتوا وللمسلمين دوى كدوي النحل – أي من القراءة والعبادة والدعاء والابتهال– وبات المشركون فى ملاهيهم وخمورهم فلما أصبحنا زحف بعضنا على بعض فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره ففتحناها ... [1]

٤– إخلاص النية لله :–

دخل المسلم فى حروبه مع الآخرين بنية خالصة لتوصيل هذا الدين إليهم لا بنية العدوان أو من أجل غنيمة أو استعلاء وتجبر لما سمعوا من رسول الله(ﷺ)قوله "من جاهد يبتغي عرض الدنيا فلا أجر له"[2] وقد أحترز المسلم أن يقاتل رياء أو حمية أو مريدا للدنيا أو من أجل مال وترجم لنا ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حين قال موصيا الجند "وما للذين يقاتلون عند الله إلا ما فى أنفسهم"[3] فعلموا جيداً أن الشهادة الحقة أن يقاتل الفرد صابراً محتسباً وترجم لنا ذلك سيدنا عمر "من الناس من يقاتل رياء وسمعه ومنهم من يقاتل ينوي

---

[1] المالكى :كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخلاقهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامى بيروت سنة ١٩٩٤ ط ـ٢ صـ٢٦.

[2] أبو داود ٢٥١٦ ، سنن البيهقى الكبرى ١٨٣٣٢.

[3] الكنز ١١٣٦٧.

الدنيا ومنهم من يلحمه القتال فلا يرى من ذلك بدأ ومنهم من يقاتل صابراً محتسباً فأولئك هم الشهداء"[1].

فبذلك يكون دينهم الحق قد علمهم أن صلاح النية وإخلاص القلب لله رب العالمين يجعلان من العمل سديداً موفقاً ولصاحبه الأجر الجزيل والثواب الكبير بعكس سوء النية وخبث الطوية المفضيان إلى إحباط العمل والفشل والخسران المبين، بل إذا أخلص المسلم نيته لله تبارك وتعالى دون أن يقوم بالعمل أثابة الله على قدر نيته وإخلاصه وتأمل معي الآيات الكريمات التي أنزلت فى أولئك الصحب الكرام الذين تقدموا إلى رسول الله(ﷺ)جنداً فى غزوة العسرة فى العام التاسع من الهجرة يريدون نيل ثواب الجهاد ومقاتلة من كفر بالله وجادوا بأنفسهم التي لا يملكون إلا إياها، وغير أن الرسول(ﷺ)لم يستطع تجنيدهم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه، فعادوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على ألا يجدوا ما ينفقون، مع أن الله سبحانه وتعالى رفع عنهم الحرج لذلك يقول تعالى " وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ"[2] ، ورغم هذا أثابهم الله على إخلاص النية فى التضحية من أجل إعلاء كلمة الله ثواب المجاهدين الذين خرجوا فى هذه الغزوة إذ قال الرسول(ﷺ)لإخوانهم السائرين للجهاد "إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا حبسهم العذر"[3]

وهؤلاء الصحب الكرام فهموا مراد الله منهم فى عبادته وإقامة شعائره إذ أمروا بإخلاص النية حتى لا تهن صلتهم بالله ولا تفسد أعمالهم فقال تعالي " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ"[4]و"أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ "[5]ومتي يظهر الإخلاص في العمل والنية الحسنة إن لم يظهر في وقت الشدة والملاحم والحروب وساحات الوغى ،فالمقصود النصر والتمكين في الأرض لإقامة شعائر الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكيف يتم هذا إن لم يكن الإنسان خالصا" لله دينا"؟

---

[1] الكنز ١١٣٦٤.

[2] التوبة ٩٢.

[3] البخاري رقم ٢٦٨٤ ، رقم ٤١٦١، أبو داود ٢٥٠٨.

[4] البينة ٥.

[5] الزمر ٣.

فوجب إذاً المحافظة علي إخلاص النية وحرارتها في هذه المواضع حتى يتم لهم المراد إما النصر والتمكين في الأرض وإقامة الدين وإما الحسنى الأخري وهي الشهادة في سبيل الله فإذا كان الإخلاص لله مطلوبا في كل الأعمال كما قد علموا من حديث رسول الله(ﷺ)"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى فمن كانت هجرته الي الله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو أمرأة ينكحها فهجرته لما هاجر إليه"[1]فإن إخلاص النية لله بعمق لا يكون إلا في ساحات الحرب واستعار القتال ،فلا سبيل لنفاق أو رياء أو سرقة أو تفاخر أو تباهى وقد علموا من المصطفى(ﷺ)"أن اليسير من الرياء شرك "[2] وعلمهم أيضا من هو المقاتل في سبيل الله خالص النية في(ﷺ)روى :عن أبى موسى قال: سئل رسول الله (ﷺ)عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياءً فأي ذلك فى سبيل الله؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله"[3].

وروى عن أبي أمامة قال "جاء رجل إلى النبي(ﷺ)فقال له أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله(ﷺ):لا شيئ له فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله(ﷺ) :لا شيئ له ثم قال :إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه"[4]

ولهذا خاضوا معاركهم وحروبهم منزهين عن هذه الشوائب والأدران وربطوا أعمالهم بالنوايا الصالحة وجعلوا حياتهم فى مواقف الحرب والنزال تضحية وفداء وأمانيهم فيها إحدى الحسنيين يقول الصديق رضوان الله عليه "فإنه سبيل أي الجهاد فى سبيل الله – يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته وعظمت فى الخير رغبته"[5]، وقد سأل عبد الله بن عمرو بن العاص رسول الله (ﷺ)يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو قال "يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً يا عبد الله بن عمرو: على أي حال قتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال"[6] ، وروى عن

---

[1] البخاري ١ ، أبى دواد ٢٢٠١ ، ابن ماجة ٤٢٢٧.

[2] كنز العمال ٥٩٤٧ ، النيسابورى : المستدرك ٤ ، ٧٩٣٣ ، أبو نعيم : حلية الأولياء جـ٩ /٢٤٣.

[3] البخاري رقم ٧٠٢٠ ، مسلم ٣٥٢٥ ، الترمذى ١٦٤٦ ، ابن ماجة ٢٧٨٣ وغيرهم.

[4] سنن النسائي ٤٣٤٨.

[5] البيهقي ١٨٣٩١.

[6] رواه أبو داود ٢٥١٩.

أبى هريرة قال سمعت رسول الله(ﷺ) يقول "إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكن قاتلت أن يقال جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى يلقى فى النار"[1].

ولكل هذا قدر المسلمون حسن النية وإخلاصها لله تبارك وتعالى فى القتال فقاتلوا لله ولدينه لا على حسب ونسب أو عصبية أو حلف لقبيلة بل من حاول الخروج معه على ذلك أعاده الرسول(ﷺ)فلما كان الخروج ليوم أحد رأى كتيبه حسنة التسليح منفردة عن سواد الجيش فسأل عنها فأخبر أنهم يهود بنى قينقاع من حلفاء الخزرج يرغبون فى المساهمة فى القتال ضد المشركين فسأل هل أسلموا؟ فقال لا فأبى أن يستعين بأهل الكفر على أهل الشرك[2].

وانظر إليه فى غزوة حمراء الأسد إذ نادى(ﷺ)فى الناس وندبهم للجهاد ولقاء العدو صباح الغد من معركة أحد أي الثامن من شهر شوال سنة ٣هـ وقال لا يخرج معنا إلا من شهد القتال فى أحد فقال له عبد الله بن أبي أركب معك قال " لا ، لأن هؤلاء لا يقاتلون إلا رياء أو نفاقاً فحقيقتهم فى نفوسهم من الكفر والضلال إذ لما خاطبهم عبد الله بن حرام يوم أحد وحضهم على العودة والمشاركة فى القتال والدفع عن المسلمين أبو إلا النفاق والرياء وكتموا ذلك بقولهم، لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع فرجع عنهم عبد الله بن حرام قائلاً أبعدكم الله، أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه ثم أنزل الله سبحانه وتعالى يفضحهم أمام المؤمنين "وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ"[3] وهم ذاتهم الذين ساءت نياتهم وخبثت طويتهم يوم الخندق فخرجوا رياء ونفاقا لئلا يقال أنهم لم يخرجوا ولذا لما رأوا الأحزاب وكثرتهم بانت حقيقتهم وصور الله موقفهم هذا فى كتابه العزيز[4] حيث جبنوا عن اللقاء واستأذن فريق منهم بحجة أن بيوتهم عورة وما كانت كذلك ولكنهم رأوا الفرار طلباً للسلامة وما كانوا إلا جبناء خبيثي النية فلو سئلوا الفتنة لأتوها. ولو

---

[1] من حديث طويل رواه مسلم ، راجع رقم ١٩٠٥، مسند أحمد ٨٢٦٠ ، ٨٢٦ ، صحيح ابن خزيمة ٢٤٨٢ ، صحيح ابن حبان ٤٠٨.

[2] ابن سعد: الطبقات٢/٤٨.

[3] آل عمران ١٦٧.

[4] راجع الآيات سورة الأحزاب آية ١٢ وما بعدها.

رزقوا حسن النية لعلموا أن كل ذلك لا ينفعهم إن أراد الله بهم شيئاً ، وهم أنفسهم الذين أمر رسول الله(ﷺ)ألا يخرجوا معه غزوة خيبر[1] وأعلن ألا يخرج معه إلا راغب فى الجهاد.

وتأمل معي قصة رجل كان بين المسلمين ومعهم يقاتل لا يدرون من هو يقال له قزمان فكان رسول الله(ﷺ)يقول إذا ذكر "إنه لمن أهل النار" قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراح فاحتمل إلى دار بني ظفر فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر قال بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه.[2]

أما المؤمنون فقد خرجوا للقتال بنية حسنة دفاعاً عن الدين وعن العقيدة وإخلاصاً للنية مع الله وهناك العديد من الصور المضيئة والمواقف الرائعة لجند الله الذين أعدهم محمد(ﷺ)لتدلل بما فيه الكفاية لأعشى البصر والبصيرة ممن يفتأتون على النبي وصحبه ويتهمونهم بالسعي وراء الغنائم والدنيا فى معاركهم التي خاضوها فأي دنيا يطلبها ذلك الشيخ المسن خيثمة رضى الله عنه وفى قصته العبرة والعظمة وحبهم للجهاد والاستشهاد أكثر من محبتهم الدنيا ونعيمها فتقول الرواية أن ابنه استشهد فى غزوة بدر فجاء إلى رسول الله(ﷺ) فى غزوة أحد يقول له : أخطأتني غزوة بدر وكنت والله عليها حريصاً ولقد أجريت قرعة مع ابني حين وجدته شديد الرغبة فى الجهاد فكانت من نصيبه فأخطأتني ورزق الشهادة فى سبيل الله ولقد رأيته البارحة فى المنام فى أحسن صورة وأجملها يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها ويقول لي "إلحق بنا ترافقنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، وقد أصبحت يا رسول الله مشتاقاً إلى مرافقته وقد كبرت سنى ورق عظمي وأحببت لقاء ربي فادع الله لى أن يرزقني الشهادة ومرافقة ابني فى الجنة فدعا له رسول الله فقتل فى أحد شهيداً.[3]

وهذا عمير بن الحمام الذي خلصت نيته فى طلب الشهادة فى بدر فلما خرج رسول الله (ﷺ)يحرض المؤمنين على القتال قائلاً والذي نفسي محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة أو قال (ﷺ)"قوموا إلى جنة عرضها

---

[1] سيرة ابن كثير ٣ /٩٧.

[2] سيرة ابن هشام ٣ / ٣٥ ، سيرة ابن كثير ٣ /٧١ تاريخ الطبرى ٢ /٢٠٩،عيون الأثر١/٤٢٢.

[3] سبل الهدى ٤ /٢١٩ .

السموات والأرض فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض قال نعم قال بخ بخ فقال رسول الله(ﷺ)"ما يحملك على قول بخ بخ قال: لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: فإنك من أهلها فأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة قال فرمى ما كان معه من التمر واقبل يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد	إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد	وكل زاد عرضة للنفاد
غير التقى والبر والرشاد[1]	

ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله"[2].

ويروى عن أنس بن النضر أنه انتهى يوم أحد إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ورجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله، قال فما تصنعون بالحياة من بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل[3] .

وهذا ثابت بن الدحداحة فى ذات اليوم والناس أوزاع قد سقط فى أيديهم فجعل يصيح: يا معشر الأنصار إلى إلى أنا ثابت بن الدحداحة إن كان محمد(ﷺ)قد قتل فإن الله حي لا يموت فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين حتى قتل"[4].

وهذا الأصيرم عمرو بن ثابت بن وقش من بني عبد الأشهل والذي كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال بينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ما جاء به؟ لقد تركناه وأنه لمنكر لهذا الحديث فسألوا فقالوا ما جاء بك يا عمر؟ أحدب على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ فقال : بل رغبة فى الإسلام آمنت

---

[1] ابن حجر: الإصابه ٤ /٧١٥.

[2] رواه مسلم برقم ١٩٠١، أحمد ١١٩٤٩، ١٢٤٢٠ ، سنن البيهقى الكبرى ١٧٦٩٤.

[3] سيرة بن هشام ٨٢/٢ والبداية ٣٩/٤.

[4] الاصابة ٦٨٦/١.

بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله(ﷺ)فقاتلت حتى أصابني ما أصابني فلم يلبث حتى مات فى أيديهم. فذكروه لرسول الله فقال إنه من أهل الجنة"[1].

وفى رواية جاءه سعد بن معاذ رضى الله عنه ثم قال لأخيه – سلمة : حمية لقومه أو غضباً لله ورسوله؟ قال بل غضباً لله ورسوله فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة[2].

وروى أن رجلاً من المهاجرين مر يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال له : يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصاري إن كان محمد قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم[3].

كما روى عنهم أخباراً متواترة عن تمنيهم الشهادة فى سبيل الله بقلب سليم ونية خالصة فيروى عن سيدنا عمر بن الخطاب قوله "أنى لك الشهادة يا عمر" وتأمل فعله يوم أحد هو وأخيه إذ قال لأخيه خذ درعي يا أخي فقال له أخوه زيد أريد الشهادة مثل الذي تريد فتركاها جميعاً"[4].

٥- اليقين بموعود الله :-

تعلم الصحابة رضوان الله عليهم حسن الظن بالله تبارك وتعالى واليقين بموعوده الذي وعده رسوله(ﷺ) من إظهار دينه وإبلاغه إلى الحضر والمدر،وذلك من خلال القرآن الكريم وأقوال وأفعال رسول الله(ﷺ)، أما ما ورد فى القرآن الكريم فموعود الله تبارك وتعالى بالنصر والتمكين فى الأرض تكرر كثيراً ، ألم يخاطب نبيه(ﷺ) بقوله تعالى " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا "[5] ، وقال له أيضاً " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ "[6] والله

---

[1] راجع مسند أحمد ٢٢٥٢٦ ، سيرة ابن هشام ٨٩/٢ ، سيرة ابن كثير ٧٣/٣ البداية ٤١/٤ ، ابن حزم: جوامع السيرة ١٦٥ ، عيون الأثر٤٢٣/١، سبل الهدى ١٩٩/٣ ، ٢١٢/٤ ، الإصابة ٤٦٠/١.

[2] سنن البيهقى ١٨٣٢٤، سبل الهدى ٤ / ٢١٢.

[3] ابن كثير: السيرة ٣ /٦١ ، البداية ٤ /٣٥.

[4] الطبرانى : المعجم الاوسط ٥٣٠٠ ، مجمع الزوائد ٩٥٣٩،ابن سعد : الطبقات ٣٧٨٣ ، سبل الهدى ١٩٤/٤ ، أبو نعيم : حلية ٣٦٧/١.

[5] سورة الفتح آية ٢٨.

[6] سورة التوبة آية ٣٣ ، الصف ٩.

سبحانه وتعالى نزل على عبده آيات بينات فيها وعد الله الصادق بالانتصار على الأعداء بالأسباب التي يهيأها الله تبارك وتعالى ألم يقل لهم تبارك وتعالى " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ، وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ، وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ، وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا "(1) ، ألم يعدهم ربهم بإحدى الحسنيين تكون لهم ، وكانوا بهما موقنون قال تعالى " قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ "(2)

وكلها بشريات للمؤمنين وتطمينا لهم قال تعالى مخاطباً المؤمنين فى غزوة بدر عندما أمدهم بجنود من عنده " وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"(3). ولذا قاتلوا وهم فى طمأنينة كاملة ويقين صادق بالله تبارك وتعالى بإنفاذ أمره وإظهار دينه على ما عداه من معتقدات، فأبو بكر الصديق قال:(4) والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأجاهد فى سبيل الله حتى ينجز الله وعده ويفى لنا عهده فيقتل من قتل منا شهيداً ويبقى من بقى منا خليفة فى أرضه ووارث عباده ، قضى الله الحق فإن الله تعالى قال وقوله الحق " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"(5) وقال سيدنا عمر رضى الله عنه(6) حاضاً على الجهاد أين الطراء المهاجرين عن موعود الله؟ سيروا فى الأرض التي وعدكم فى الكتاب أن يورثكموها فإنه قال " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

---

1 سورة الفتح الآيات ١٨ – ٢٢.

2 سورة التوبة آية ٥٢ .

3 سورة آل عمران آية ١٢٦.

4 البداية ٣٤٣/٦.

5 سورة النور آية ٥٥.

6 ابن جرير : تاريخ ٢ / ٦٣١.

وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"[1] ، والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم أين عباد الله الصالحون؟ وقوله لسعد بن أبى وقاص [2] رضى الله عنه فى حضه على الجهاد: إن الله هو الحق لا شريك له فى الملك وليس لقوله خلف قال الله عز ثناؤه " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"[3]، إن هذا ميراثكم وموعود ربكم.

كما خاض المسلمون معاركهم وفى يقينهم تحقيق الله ما قاله رسوله(ﷺ)والذي لا ينطق عن الهوى، ألم يعوا ما قاله رسول الله (ﷺ)لسراقة بن مالك حين لحق به وقت هجرته إلى المدينة "كيف بك يا سراقة إذا سورت بسوارى كسرى، قال : كسرى بن هرمز، قال : نعم[4] " وتحقق ذلك فى عهد سيدنا عمر، ألم تحقق أمامهم قول رسول الله (ﷺ)قبيل بدر لقد وعدني الله النصر وكأني أرى مصارع القوم"[5] ألم يسمعوا قول رسول الله (ﷺ)يوم الخندق حيث عرضت لهم أثناء الحفر صخرة لا تأخذ منها المعاول فاشتكوا ذلك لرسول الله (ﷺ) فجاء (ﷺ)وأخذ المعول فقال[6]: بسم الله ثم ضرب ضربة وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني انظر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع آخر فقال : الله أكبر أعطيت فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لابصر أبواب صنعاء من مكاني " وفتحت كل هذه البلدان بعيده مباشرة وكل هذا زاد من يقينهم بموعود الله .

تأمل إلى يقين الصحابي خزيم بن أوس رضى الله عنه بتحقيق الله لما نطق به الرسول (ﷺ)والذي قال هاجرت إلى النبي وقدمت عليه منصرفه من تبوك فأسلمت فسمعته يقول:"هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لى وهذه الشيماء بنت بقيلة الأزدية على بغلة شهباء معتجره بخمار أسود فقلت يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف لي فهي لي؟ قال "هي لك"

---

[1] سورة التوبة آية ٣٣ .

[2] تاريخ الطبرى ٤٤/٢.

[3] سورة الأنبياء ١٠٥.

[4] البداية ٦ /٢١٦ ، ٧ /٧٨.

[5] راجع على سبيل المثال ابن سعد: الطبقات ١٤/٢ ، ابن كثير: السيرة ٢/ ٣٩٣، البداية ٣٢١/٣: الطبري : تاريخ ٢ / ١٤١،عيون الأثر ٣٢٨/١، الروض الأنف ٥ / ٧٢.

[6] النسائي ٨٨٥٨ ،ابن أبى شيبة ٣٦٨٢٠ ، كنز العمال ٣٠٠٨٠.

فتحقق له ذلك بعد فتح الحيرة على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه[1] وأكثر من هـذا وثقـة .بموعود الله تبارك وتعالى للمجاهدين وتصديقاً بآيات الله البينات التي تبشر المجاهدين بجنات عرضها السموات والأرض،وما فيها من نعيم مقيم وخيرات كثيرة للمجاهدين وعلو درجـاتهم فيها، أحد الصحابة يقسم لرسول الله (ﷺ)أنه سيدخل الجنة وهو الصحابي نعيم بن مالك الـذي أتى الرسول (ﷺ) رغبة فى الجهاد ومحبة لرضوان الله ورغبة في موعوده قائلاً "لا تحرمنـا الجنة فو الذي نفسي بيده لأدخلنها قال رسول الله (ﷺ)وبم؟ قال بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف قال لـه رسول الله (ﷺ)صدقت فاستشهد فى يوم أحد "[2]

ويروي أن أحد أعلاج الفرس ويدعي بندارقان أرسل إلى العرب يطلب منهم رجلا يكلمـه، فاختار الناس المغيرة بن شعبة رضى الله عنه فأتاه فلما رجع سألناه ما قال له؟ فقـال لنـا : حمدت الله وأثنيت عليه وقلت : إنا كنا لأبعد الناس داراً وأشد الناس جوعـاً وأعظـم النـاس شقاء وأبعد الناس عن كل خير حتى بعث الله إلينا رسولاً فوعدنا النصر فى الدنيا والجنة فـى الآخرة فلم نزل نعرف من ربنا عز وجل منذ جاءنا رسوله (ﷺ)الفلاح والنصر حتى أتيناكم وإنا والله لنرى ملكاً وعيشاً لا نرجع عنه إلى الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما فى أيديكم أو نقتل فى أرضكم[3]" ويروى عن النعمان بن مقرن أنه أرسل إلى أهل الأهواز فسأله ترجمان القوم من أنتم؟ قال نحن ناس من العرب كنا فى شقاء شديد وبلاء طويل نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينما نحن كذلك إذ بعث رب الـسموات والأرض إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا (ﷺ)أن نقاتلكم حتـى تعبـدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا رسول الله(ﷺ)عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلـى جنة ونعيم لم ير مثله قط ومن بقى منا ملك رقابكم"[4]

---

[1] الطبراني: المعجم الكبير ٤١٦٨ ، مجمع الزوائد ١٠٣٩٣ ، كنز ٣٥٢٧٩ ، أبو نعيم : الحلية ٣٦٤/١ الإصابة ٢/ ٢٧٤ ، سبل الهدى ١٠/ ٧٣.

[2] ابن كثير : البداية ٤ / ١٥ ، سبل الهدى ٤ / ١٨٦.

[3] سنن البيهقي ١٨٤٤٠ ، ابن حبان ٤٧٥٦.

[4] البخاري ٢٩٨٩ ،البيهقي: المصدر السابق.

وقد مر علينا بشرى الإمام على لأبي بكر الصديق بنصر جيوش الشام عندما قال له "سمعت رسول الله (ﷺ) ولا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون"[1]

تخبرنا إذا هذه الروايات ما تمتع به رسول الله(ﷺ)وصحابته الكرام وتابعيهم من يقين خالص بموعود الله بالتمكين والنصر ،لذا خاضوا معاركهم بهذا الخلق وسكينة وثقة بنصر الله ولم يكن عندهم الغدر والخيانة أو الظلم والعدوان وما إليه مما يرتكبه غيرهم في حروبهم وببساطة لأنهم في غنى عن كل ذلك بموعود الله لهم بالنصر والتمكين فلم يلبسوا إيمانهم بظلم

٦-الصدق مع الله :-

أحب الله سبحانه وتعالى الصادقين ووعدهم بالأجر العظيم والمغفرة فى الأخرة وعدهم فيمن سينال هذا الجزاء [2] كما قدر الرسول(ﷺ) الصدق والصادقين فيروى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت " ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله (ﷺ)من الكذب"[3] وقال (ﷺ) تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإن فيه النجاة [4] نجاة الدنيا والآخرة ، فى الدنيا حيث يعيش الصادق كريما عزيزا بخلق الصدق مطمئنا بين الناس غير مشكوك فى سلوكه وأفعاله محترما من غيره ناجيا من ألسنة الناس وسوء الذكر لذا دعا المصطفى (ﷺ)الى التخلق بالصدق قائلا " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة "[5] أما النجاة فى الآخرة بدخول الجنة فإن الصدق باب واسع من أبوابها كما أخبر الرسول الكريم (ﷺ) قائلا عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا[6]

---

[1] كنز العمال ٥ / ٦٧٠.

[2] راجع الأحزاب آية ٣٥.

[3] ابن حبان رقم ٥٧٦٣.

[4] مجمع الزوائد ٦٨٥٦.

[5] مسند أحمد ١٧٢٣ ، ١٧٢٧ ، البيهقى ١٠٦٠١ ، المستدرك ٧٠٤٦ صححه الألبانى راجع صحيح وضعيف الترمذى ٢٥٦٨.

[6] مسلم ٢٦٠٧ ، الموطأ ٧٩٢ : أبو دواود ٤٩٨٩.

أوجب الشرع إذا على المسلم أن يكون صادقا فى تعاملاته وفى كل الأحوال والظروف وإذا كان هذا مع الناس فما بالنا بالصدق مع الله جل علاه الذى يجب أن يكون على رأس كل عمل وأساس كل قول ومخ كل عبادة وشعيرة ، ومن الشعائر والأعمال التى يجب أن يتحلى فيها المسلم بالصدق مع الله خاصة هى الجهاد فى سبيل الله إذ الصدق مع الله والإخلاص فيه يدفع المسلم إلى المسارعة إليه ولا يتثاقل عند النداء والنفير ولذلك حث من لم يتخلق بالصدق فى هذا الموقف أن يكون مع الصادقين قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ"[١] وذلك عندما تخلف البعض وتثاقل آخرون فى غزوة العسرة ولم يبادروا إلى الخروج مثل إخوانهم الذين صدقوا الله مع الصحابة الكرام . كما ذم جل فى علاه من يركن الى الكذب فى تلك المواقف وفضح أمرهم بين المسلمين وخاصة من المنافقين الذين قال الله فيهم "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ "[٢] فالخير كل الخير فى الصدق مع الله فى الحروب والمعارك فهو المفضى إلى أحد الحسنيين فإما النصر المبين والمغانم وإما الشهادة ودخول الجنة ، وهو ما حرص الرسول(ﷺ) على تبيانه لصحابته الكرام معلما ومربيا وحاثا على التمسك بخلق الصدق فى الجهاد فهو القائل (ﷺ) " من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه[٣]كما قال رسول الله(ﷺ)"إنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر وغنيمة أو أن أدخله الجنة "[٤] ،واخرج أحمد والترمذى [٥] في فضل الصدق مع الله في الجهاد ما قاله الرسول(ﷺ)للصحابة "الشهداء أربعة رجل جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك يرفع إليه الناس أعناقهم ورفع رسول الله(ﷺ)رأسه حتى وقعت قلنسوته ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو وكأنما يضرب جلده بشوك طلح أتاه سهم غرب فقتله هو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن جيد الإيمان خلط عملاً صالحا وأخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثانية ورجل مؤمن أسرف علي نفسه إسرافا كثيرا لقي العدو

---

[١] التوبة ١١٩.

[٢] محمد ٢١.

[٣] مسلم ١٩٠٩.

[٤] ،صحيح و ضعيف الترمذي ١٦٤٤ .

[٥] مسند أحمد ١٥٠ ، سنن الترمذى ١٦٤٤ ، المعجم الأوسط ٣٦٠.

فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة" وفي الحديث حث للمسلمين علي اختلاف درجات إيمانهم على التمسك بالصدق مع الله أثناء الحروب والمعارك وتمنى الشهادة ولا يكون أحدهم كالمنافق الذي خرج غير صادق مع الله فلا يناله من جهاده إلا القتل والنار أو كما قال رسول الله (ﷺ)في الحديث "أو رجل منافق مجاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل فإن ذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق "[1]فتعلم الصحابة الكرام وتابعيهم قيمة الصدق مع الله عن لقاء العدو فأخلصوا فيه وتمسكوا بأهدابه.

فالمسلمون فى حياته وبعد مماته عاهدوا الله على نصرة دينه ونشره فى العالمين وعاهدوه على الموت والشهادة فى سبيل الله وتحملوا الشدائد والمصائب والجوع والعطش وما يعانيه المحارب كله صادقين فى سبيل الوفاء بهذا الوعد والعهد، فدخلوا المعارك ونفوسهم عندهم هينه فى سبيل رضى الله والوفاء له بالعهد ولذا وجدناهم فى ساحات الوغي وقد ترجموا هذا الخلق مقبلين على القتال غير آبهين بمن أمامهم من المشركين مهما كانت قوتهم ومهما كان عددهم ومهما كانت ظروف المعركة فيكثر فى أحدهم الجراح والطعن وهو مستمر فى القتال وقدوتهم فى ذلك الرسول الكريم (ﷺ) والذي مشى ذات مرة فى جهاده فأصابه حجر فعثر فدميت أصبعه فقال:-

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت[2]

وتأمل الترجمة العملية للصدق مع الله فى قصة أنس بن النضر يوم أحد التي يرويها ابن أخيه أنس بن مالك رضى الله عنه إذ يقول "غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف فقال لهم اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال أنس فوجدناه به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته – عمتى الربيع بنت النضر – ببنانه فقال أنس كنا نرى أو نظن أو قال نزلت فيه

---

[1] مسند أحمد ١٦٩٩٨ ، ١٧٩٩٣ ، سنن الدرامى ٢٤١١ ، صحيح ابن حبان ٤٦٦٣ ، المعجم الكبير ٣١٠ ، ٣١١ ، سنن البيهقى ١٨٣٠٤.

[2] مسند أحمد ١٨٨١٩ ، صحيح ابن حبان ٦٥٧٧.

وفى أصحابه أو أشباهه " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"[1]

وهل سمعت يا أخي بصدق جعفر الطيار ابن أبي طالب مع ربه فقد أخرج البخاري[2] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أمر رسول الله (ﷺ)فى غزوة مؤته زيد بن حارثة رضى الله عنه فقال رسول الله (ﷺ): "إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحه" قال عبد الله كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى جسده بضعاً وتسعين ضربة ورمية.[3]

وما أعظم صدق الرجل الأعرابي مع الله تبارك وتعالى الذي جاء إلى الرسول (ﷺ)فآمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبي بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ، فقسم له أي جعل له قسماً من الغنائم فلما جاءه الصحابة بقسمه وقدموه إليه قال ما هذا؟ قالوا قسم قسمة لك رسول الله (ﷺ)فأتى النبى قائلا ما على هذا أتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى ها هنا –وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال "إن تصدق الله يصدقك" ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به رسول الله (ﷺ)يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي (ﷺ)أهو هو قالوا نعم قال : صدق الله فصدقه"[4] ، وهذا عبد الله بن رواحة لما خرج فى مؤته بكى طالباً من الله بنية خالصة الشهادة فى سبيله قائلاً

لكنني أسأل الرحمن مغفـــــــرة	وضربه ذات فـــزع تقذف الزبدا
أو طعـنة بأيدي حــران مجهـزة	مجــر تنفذ الأحشـاء والكـــــبد
حتى يقال إذا مــروا على جدثي	أرشـــده الله من عــارف قد رشـدا

فحارب وقاتل رضوان الله عليه حتى استشهد[5]

---

[1] الأحزاب ٢٣.

[2] الصحيح ٤٠١٣.

[3] سنن البيهقى ١٦٣٧٣ ، المعجم الكبير ١٤٦٣راجع كذلك البداية ٢٤٥/٤، الإصـابة ٢٣٨/١ وابـن سـعد ٢٦/٤ المزى : تهذيب الكمال ٥٤/٥.

[4] سنن النسائي الكبرى ٨٩٣٥ ،٢٠٨٠ ، المستدرك ٦٥٢٧،المعجم الكبير٧١٠٨،مصنف عبد الرزاق ٦٦٥١، ٩٥٩٧ ، البداية ١٩١/٤.

[5] مجمع الزوائد ١٠٢٢ ، حلية الأولياء ١١٩/١ ، تهذيب الكمال ١٤٥٠٧.

٧- الطاعة للأمير:

أمر المسلمون بالطاعة لله ورسوله وأولى الأمر وذلك كما جاء فى قول الله تعالى " وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"([1])،، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "[2]وهذه الآية الأخيرة نزلت لما تنازع عمار بن ياسر مع خالد بن الوليد أمير أحد السرايا التي أرسلها رسول الله (ﷺ)فى أمر رجل أعلن إسلامه لعمار بعد أن هرب قومه وأقام هو مقامه ولم يبرح المكان ولما احتج خالد بالسرية أبى إلا أخذه وأهله ورفض إجارة عمار بن ياسر وتنازعا فى ذلك حتى قدما المدينة على رسول الله واجتمعا معه وعرضوا الأمر عليه فأجاز أمان عمار بن ياسر ونهى من يومئذ أن يجير أحد على الأمير[3] فإذا قضى الله ورسوله أمراً لا يحق لهم مخالفته ولا يجوز لهم الإختيار قال تعالى " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا "[4] فالله أمر المسلمين بالقتال والجهاد وقام(ﷺ) بتنفيذه ولذا وجبت على المسلمين الطاعة فى أمر الجهاد للقائد الأعلى سواء كان الرسول(ﷺ)أو من ينوب عنه فى إقامة الشرع وسياسة الدنيا ونشر الإسلام فى الحرب والقتال أو من يعينه الخليفة قائداً أميراً للحرب وذلك لكون الكلمة سواء ولا يفترق الناس فى الحرب جماعات بل يكون الرأي واحد خاصة أن هذا القائد رغم ما قضى له من الطاعة إلا أنه كان يستشير ولا ينفرد برأيه كما سنرى، ولهذا كانت الحقوق متبادلة بين الأمير وجنده وهو ما نأخذه من مخاطبة الإمام على كرم الله وجهه، لجنده عند محاربته الخوارج إذ قال "فإن لي عليكم حقاً وإن لكم على حقاً ، فأما حقكم على فالنصيحة لكن على ما صحبتكم وتعليمكم كيما تجهلون وتأديبكم كي تعلموا وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي فى الغيب والمشهد والإجابة حيث أدعوكم والطاعة حين آمركم"[5]

---

[1] الأنفال / ٤٦.

[2] سورة النساء ٥٩.

[3] ابن جرير ٤٩٩/٨ ، ابن كثير ٣٤٥/٢.

[4] الاحزاب ٣٦.

[5] تاريخ الطبرى ٦٨/٤.

كما كان لابد من القيادة لأن القائد هو الذي ينظم الجيش ويرتب المقاتلة والاجتماع على القائد وعدم التنازع يؤديان دائماً إلى النصرة وتحقيق الهدف المنشود لا الفشل وإذهاب الريح أمام الأعداء[١] طاعة القائد وجب احترامه وتميزه بحقوق لا تحمله المسئولية والتبعات فقط ولذا قال رسول الله (ﷺ)عندما تنازع أحد الجنود مع خالد بن الوليد فى أمر سلب سلبه هذا الرجل "هل أنتم تاركون لي أمرائي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدرة"[٢]ومن هديه (ﷺ)فى أطاعة الأمير ما روى عن معاذ بن جبل عن رسول الله (ﷺ)قال الغزو غزوان فأما من ابتغي وجه الله، وأطاع الإمام ، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونبهه أجر كله وأما من غزا فخراً ورياء"وسمعة" وعصى الإمام وأفسد فى الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف"[٣]

وعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ)"قال من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"[٤] وعن ابن عباس فى قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) قال نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بعثه رسول الله (ﷺ) فى سرية"[٥]

وما علمنا فى سيرته (ﷺ)أنه عين أميراً للحرب وعصى بل أطاعه من معه لأن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بايعوا على السمع والطاعة فيروى البخاري[٦] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله(ﷺ)على السمع والطاعة يقول لنا "فيما استطعتم" ، ويروى عن عبيد الله بن رافع فيما أخرج البيهقي[٧] أنه قال " قدمت روايا خمر فآتاها عبادة

---

[١] راجع الأنفال ٤٦.

[٢] مسلم ١٧٥٣ ، أبو داود ٢٧١٩ ، البيهقى فى سننه ١٢٥٦٣ ، ابن حبان ٤٨٤٢ ، الطبقات الكبرى ٢٧٦/١ ، البداية ٢٤٩/٤ مسند أحمد ٢٤٠٣٣.

[٣] مسند أحمد ٢٢٥٩٥ ، أبو داود ٢٥١٥ ، النسائى ٣١٨٨ ، ٤١٩٥ ، سنن الدرامى ٢٤١٧ ، المستدرك ٢٤٣٥.

[٤] البخارى ٢٧٩٧ ، ٦٧١٦ ، مسلم /١٨٣٥.

[٥] تفسير الطبرى ٩٨/١١ ، البخارى ٤٧٠٨ ، مسلم ١٨٣٤.

[٦] صحيحه ٦٧٧٦.

[٧] سننه ١٦٣٢٨.

بن الصامت رضى الله عنه فخرقها وقال : بايعنا رسول الله (ﷺ)على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... الخ

وقد روى يونس عن ابن إسحاق حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن ابيه عن جده عبادة رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله (ﷺ)بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرها علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول الحق إينما كنا ولا نخاف فى الله لومة لائم"[1]

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : "بايعت رسول الله (ﷺ)على السمع والطاعة والنصح للمسلمين"[2] وروي أبو داود[3] والنسائي[4] قالاً "بايعت رسول الله (ﷺ)على السمع والطاعة وأن أنصح لكل مسلم"[5] أي أنهم أطاعو أوامر الأمير بناء على هدية إلا فى معصية ،

أما فى الجانب العملى فعن علي رضى الله عنه قال بعث رسول الله (ﷺ)سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فعصوه فى شيء ، فقال اجمعوا لي خطباً فجمعوا، ثم قال أوقدوا ناراً فأوقدوا ، ثم قال – ألم يأمركم رسول الله (ﷺ)أن تسمعوا وتطيعوا؟ قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما فررنا إلى رسول الله (ﷺ) من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال لو دخلوها لم يخرجوا منها أبداً ، وقال لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف."[6]

وانظر إلى الطاعة والاحترام للأمير فى الحرب وكيف يذكر المسلم أخاه بها ويعيده إلى طبعه فى الاستقامة والطاعة لأولى الأمر ما وقع فى إحدى السرايا ، إذ بعث رسول الله (ﷺ)عمرو ابن العاص فى سرية وكان معه فيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن ينوروا ناراً فغضب عمر وهم أن يأتيه ، فنهاه أبو بكر وأخبر

---

[1] مسلم ١٧٠٩.

[2] البخارى ٥٧ ، ٥٠١ ، ١٣٣٦ ،مسلم ٥٦.

[3] سننه٤٩٤٥.

[4] سننه ٤١٥٧.

[5] صحيحه٤٩٤٥.

[6] البخارى ٤٠٨٥ ، ٦٨٣٠ ، ٦٧٢٦ ، مسلم ١٨٤٠.

أنه لم يستعمل (ﷺ)عليك إلا لعلمه بالحرب فهدأ عمر رضى الله عنه[1] ولندلل على امتثال أمر الأمير فى الجهاد حتى دون علمه نذكر فى ذلك أيضاً أن رسول الله(ﷺ)بعث سرية وأمر فيهـا سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يقول الراوي وهو أبو مالك الأشعري فنزلنا منـزلاً فقـام رجل فأسرج دابته فقلت له أين تريد؟ فقال أريد العلف فقلت له: لا تفعل حتى نـسأل صـاحبنا فأتينا أبا موسى الأشعرى فذكرنا ذلك له فقال : لعلك تريد أن ترجع إلى أهلك قال : لا قال انظر ما تقول قال : لا قال فامض راشداً فانطلق فبات ملياً ثم جاء فقال أبو موسى : لعلك أتيت أهلك قال لا قال فانظر ما تقول قال : نعم قال أبو موسى : فإنك سرت النار إلى أهلك وقعت فى النار واقبلت فى النار واستقبل، وذلك من شدة إنكاره مخالفة الأمير[2].

وانظر إلى الصحب الكرام فى إقناع أحدهم الآخر فى احترام الأمير وتوقيره وإطاعة أوامره ما أخرجه الحاكم فى مستدركه وغيره[3] عن جبير بن نفير أن عياض بن غنم الأشعرى وقـع على صاحب داراً حين فتحت فأتاه هشام بن حكيم فأغلظ له القول ومكث هشام ليـالي فأتـاه هشام معتذراً فقال لعياض ألم تعلم أن رسول الله (ﷺ)قال "إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشد الناس عذاباً للناس" فقال له عياض يا هشام إنا قد سمعنا الذي قد سمعت ورأينا الذي قد رأيت وصحبنا من صحبت ألم تسمع يا هشام رسول الله (ﷺ)يقول "من كان عنـده نـصيحة لـدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده وليخل به فإن`قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له" وإنك يا هشام لأنت المجترئ[4] .

وتأمل معي قمة خلق الطاعة فيما ورد عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قـال: بعـث رسول الله (ﷺ)عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : إلى ذات السلاسل من مشارف الشام فى بلى ومن يليهم من قضاعة وبنو بلى أخوال العاص بن وائل- فلما صار إلى هناك خاف مـن كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله (ﷺ)يستمده فندب رسول الله (ﷺ)المهاجرين الأولين، فأنتدب أبو بكر وعمر من سراة المهاجرين – رضى الله عنهم أجمعين – وأمـر علـيهم رسـول الله (ﷺ)أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه،فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى

---

[1] سنن البيهقى الكبرى ١٧٦٧٨ ، المستدرك ٤٣٥٧ .

[2] كنز العمال ١٤٣٨٣.

[3] المستدرك ٥٢٦٩ ، سنن البيهقى ١٦٤٣٧ ، مجمع الزوائد ٩١٦١ ، ٩١٦٢.

[4] مصنف عبد الرازق ٩٧٧٠ ، كنز العمال ٣٠٢٩٤ ، الإصابة ٧٥٨/٤.

رسول الله (ﷺ)استمده بكم، فقال المهاجرين : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين فقال عمرو: إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة وكان رجلاً حسن الخلق لين الشيمة الطبيعة" ، قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله (ﷺ) أن قال : إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا" وإنك إن عصيتني لأطيعنك، فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص[1].

ولما أرسل رسول الله (ﷺ)بعثين إلى كلب وغسان وكفار العرب الذين كانوا بمشارف الشام وأمر على البعثين أبا عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص رضى الله عنهما، ثم دعا رسول الله (ﷺ)أبا عبيدة وعمراً وقال لا تعاصيا، فلما فصلا من المدينة خلا أبو عبيدة لعمرو فقال له: إن رسول الله (ﷺ)عهد إلى وإليك أن لا تعاصيا فإما أن تطيعني وإما أن أطيعك قال لا: بل أطعني فأطاع أبو عبيدة وكان عمرو أميراً على البعثين كليهما[2].

وسار الصحب الكرام على منواله فى الوصاة بالطاعة وصار المسلمون على ما تواصوا به فها هو عمر بن الخطاب لما أرسل عتبة بن غزوان إلى البصرة قال له مؤكداً لنا طاعة الجند للأمير ووجوب عدم تعالي الأمير على الجند وقد صحبت رسول الله (ﷺ)فعززت به بعد الذلة وقويت به بعد الضعف حتى صرت أميراً مسلطاً وملكاً مطاعاً تقول فيسمع منك فيطاع أمرك فتبا لها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على ما دونك"[3].

٨- تقدير المشورة:-

قدر المسلمون المشورة فى حياتهم بعامة ولم يكن فقط على الجانب السياسي، بل كانت المشورة فى حياتهم أعمق من هذا بكثير ويعبر عن هذا الرسول (ﷺ)"لاخاب من استشار ولا ندم من استخار[4]" ، ولذا صارت المشورة على كل المستويات خلقاً مصاحباً للمسلم خليفة كان أو أميراً وصانعاً أو تاجراً أو عالماً ... الخ وقدوتهم فى ذلك ومثلهم الأعلى الرسول (ﷺ)

---

[1] كذا فى البداية ٢٧٣/٤.

[2] الكنز ٢٠٢٩٤ ، مصنف عبد الرازق ٩٧٧٠.

[3] تاريخ الطبرى ٩٢/٣ ، البداية ٥٧/٧.

[4] رواه الطبرانى عن مالك بن انس راجع :المعجم الصغير ٩٨٠ ، المعجم الأوسط ٦٦٢٧ انظر كذلك كنز العمال ٢١٥٣٢ ، مجمع الزوائد ٣٦٧٠.

الذي أمره الله تبارك وتعالى بها قائلاً "وشاروهم فى الأمر"[1] وأوحى إليه أن أمر المسلمين أي أمر "شورى بينهم"[2] وإذا كانت المشورة فى الأحوال العادية العامة مبجلة وتحسب للمسلم على أنها خلق كريم مقدر ، فالمسلم كان أحوج إليها عند الزحف وأوقات المعارك، فالمناقشة وتبادل الآراء والأفكار سيؤديان حتماً إلى الطريقة المثلى والأسلوب الأفضل لخوض المعركة، كما يخرج المناقشون بخطط محكمة نتيجة لتفاعل الآراء والخبرات فى الجانب العسكري، وقد ضرب لهم (ﷺ)الأمثلة العملية فى غزواته فى أمر الشورى وتقديرها من جانبه (ﷺ)يشاور أصحابه كثيراً فى أمور الحرب والقتال وكيفية مجابهة الأعداء وفى اختيار المنازل وما إلى ذلك ، وفى هذا يقول سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه" ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله (ﷺ)[3] ولا يظن من فى قلبه مرض من المستشرقين والمستغربين أن ذلك منقصة فيه (ﷺ)" حاشا لله فهو المزكى من الله فى كل شيئ وهو المعصوم من الخطأ والزلل بل كان ذلك منه اتباعاً لأمر ربه وتثبيتاً لأمر شرعي سيكون سلوكاً ومنهاجاً لصحبه الكرام وأمته وإرساء لخلق إسلامي كريم لتسير عليه أمته من بعده فى حياتهم بعامة وحروبهم بخاصة.

فلم يؤثر عنه (ﷺ)أنه صادر رأياً أواحتقروجهة نظر وخاصة فيما لم ينزل فيه وحي من السماء فكثيراً ما كان يقول لصحبه الكرام عند عظائم الأمور ومدلهمات الأحداث وحوالك الظروف قبل المعارك وأثناءها "أشيروا على أيها الناس" وإذا كان الله قد أوضح لنا فى كتابه العزيز أن الشورى كانت خلقاً وجب أن يتخلق به المسلمون فى كل أمورهم عظيمها وحقيرها ، كبيرها وصغيرها، إلا أنه يفهم مما أوحى به إلى رسول الله (ﷺ)أنها آكد ما تكون فى الحروب والغزوات وما ذلك إلا لأن الحرب لا يتأتى من ورائها إلا الخراب والدمار وإهلاك الحرث والنسل إلا إذا كانت لدرء مفسدة أو جلب مصلحة شرعية يرتضيها جل فى علاه، ولهذا وجب أن يحكمها أخلاق حتى يسير ما أقره الله سبحانه وتعالى من تدافع بين الناس من أجل الإصلاح لا المفسدة فى الأرض والبغي والتعدي ومن ثم كان ما يتبعه القائد الحربي بصفته أو نيابة عن غيره من سلطان أو رئيس أو خليفة من أخلاق تحدد نوعية هذه الحروب، وما أراده

---

[1] آل عمران / ١٥٩.

[2] سنن البيهقى ١٨٥٨٧ ، سنن الترمذى ١٧١٤ ، مصنف عبد الرزاق٩٧٢٠.

[3] سنن الترمذي١٧١٤،سنن البيهقي١٨٥٨٧،مصنف عبد الرزاق٩٧٢٠، وقد روي ذلك أيضا عن أمنا عائشة رضي الله عنها راجع أبو الشيخ الأصبهاني:أخلاق النبي،صـ٢١٢.

الله تبارك وتعالى لدينه من الانتشار فى الأرض إلا باتباع أحسن الأخلاق ومكارمها، تلك التي سار عليها الرسول الكريم (ﷺ)وأشربها أمته من بعده، ومنها التخلق بمبدأ الشورى ترسيخاً لإنجاح القيادة فى التخطيط الموفق المفضى إلى خير البشرية وتدميراً للاستبداد بالرأي وممارسة الدكتاتورية الذي لا يؤدي إلا إلى ما يدمر البشرية والحياة على الكون عامة،

ولو نظرنا فى الآية التي أوحى الله بها إلى نبيه بشأن الشورى فى " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ "[1] لوجدنا فى بداياتها "فيما رحمة من الله لنت لهم ، وهي كلمات طيبات تنفر من القساوة فى الخلق والتسلط الفردي والاستبداد بالرأي والتحيز وهي أخلاق ذميمة تفضى إلى العجرفة وسوء المعاملة وبالتالي الكراهية المتبادلة والتفرق والمباعدة بين القيادة والجنود ما لم يكن فى الرسول الكريم الموصوف بالرأفة والرحمة مع أصحابه وقادته وأمته جميعاً ومن هنا أيضاً صارت الجندية الإسلامية محببة إلى القلوب والجهاد كشعيرة معظمة عند المسلمين والكل كان يتهافت عليها ويبكي من لا يستطيع التجهز لآدائها كما قال تعالى " وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ"[2] وما كان ذلك إلا لترسيخ مبدأ الشورى التي أقرها الرسول (ﷺ)بوحي من ربه كخلق وجب على المسلم التخلق به من أجل الخير للبشرية وتجنب آراء الشذاذ، أو إعطاء فرصة لمن فى قلبه مرض من أمراض الجاهلية ليفسد بين الناس ، فلا طريق لسفك الدماء والتعطش إلا بما حده الله وارتضاه فلا تخريب ولا تدمير للمنشآت العامة ولا من مساوئ تظهر جلية واضحة عندما يتسيد من ابتلى بجنون العظمة الاستبداد بالرأي والتسلط وسلك طريق الدكتاتورية ، والتي جرت على العالم قديماً وحديثاً مصائب وكروبات وإحن وصراعات دمرت وتدمر الأخضر واليابس وتهلك البشر ، فلا ينسى البشر جميعاً ولا يتجاهل المؤرخون مثلاً هتلر بنازيته بدكتاتوريته التي كادت تحطم العالم، وما يفعله الآن جورج بوش الابن ببلاهته وجنون العظمة التي انتابته وتسلط برأيه على مؤسسات دولته ومجالس شورته، يساعده فى ذلك بطانة السوء ، حفنة من طغام البشر مثله فى الحماقة والعنصرية والسادية والاستعلاء البغيض والجشع

---

[1] آل عمران ١٥٩.

[2] التوبة ٩٢.

الواسع لجمع الأموال والثروات، حتى ولو على حساب إزهـاق الأنفـس وتمزيـق الأجـساد وتخريب الديار وتشريد البشر وإيقاد نيران الفتن بين أبناء الشعوب وخاصة الإسلامية التـي كانت آمنة مطمئنة قبل أن يعتلوا كراسيهم ومناصبهم.

ولنعد إلى هديه (ﷺ)فى التخلق بمبدأ المشورة وتقديرها إذ أرسى بما قال أسس هذا الخلق ثم مارسه عملياً أمام صحابته الكرام فازداد رسخواً فى آفئدتهم وتخلقوا به وورثـوه لخلفهـم ليكون هذا الخلق الإسلامي متيناً فى أمة محمد (ﷺ)عامة وحروبهم خاصة ولنأت الآن ببعض الأمثلة التطبيقية فى حياته(ﷺ)لممارسة هذا الخلق، فتأمل أيها العاقل اللبيب ما حدث يوم بـدر يوم التقى الجمعان وقبيل المعركة إذ قال لأصحابه الكرام مستشيراً "إن القوم قد خرجـوا مـن مكة على كل صعب وذلول أي مسرعين فماذا تقولون؟ فقالت فئة منهم يا رسـول الله العيـر أحب اليناامن النفير ولقاء العدو" وذلك لأنهم كانوا على غير استعداد للحرب والنـزال وأرادوا العير ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح وما إليـه اسـتعداداً للجهـاد والقتال فيما بعد وذلك لما سمعوا من استعداد قريش للنزال وأخذ الأهبة للقتال ومن ثم خـشوا الدائرة وسوء العاقبة[1] . ولكن الأغلبية من صحابته الكرام رأوا اللقاء والنزال توكلاً على الله وحسن ظن به ، ورغم ذلك أقبل رسول الله(ﷺ)على أصحابه مرة أخرى لأنـه (ﷺ)مـا كـان يخوض حرباً حتى يطمئن على حال صحابته إيمانهم بالله وعلاقتهم بربهم ومدى اسـتجابتهم إلى ما أوحى إليه من ربه وما علمهم إياه وغرس فيهم من أخلاق، أقبل يعرف رأيهـم مـرة أخرى مخبراً إياهم أن قريش قادمة بقدها وقديدها بخيلائها وتكبرها لا تلوى على شيء سوى القضاء على الإسلام وأهله ، عندئذ قام الصديق فقال وأحسن ثم قام الفاروق فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله "أمضى لما أراك الله فنحن معك لا نقول لك كما قالـت بنو إسرائيل لموسى "إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون" ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون والذى بعث بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتـى تبلغه، فاطمأن رسول الله (ﷺ)على صحبه من المهاجرين وقال للمقداد خيـرا ثـم دعـا لـه (ﷺ)[2]فاتجه (ﷺ) إلى صحبه من الأنصار وقال (ﷺ): أشيروا على أيها القوم إذكانوا الأكثرية

---

[1] سيرة ابن كثير ٣٩٥/٢ ، البداية ٣٢/٣ ، سبل الهدى ٢٧٠٢٦/٤.

[2] راجع الطبقات الكبرى ١٤/٢ ، سيرة ابن كثير ٣٩٢/٢ ، البداية ٣٢٠/٣ ،الطبرى ١٤٠/٢.

فى الجيش وكان (ﷺ)يتخوف إجبارهم على القتال، لأنهم ربما رأوا أن النصرة لرسول الله (ﷺ) فيما دهمه من عدو بالمدينة وليس خارجها كما بايعوه على ذلك فى بيعة العقبة الثانيـــة وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو بعيداً عن المدينة وهنا ظهر الإيمـــان الخـــالص وظهـــرت المحبة الخالصة الصادقة لرسوله (ﷺ)والسمع والطاعة لهاديهم، فوقف سيدهم سعد بن معـــاذ ليطمئنه على أن الإيمان قد تمكن من قلوبهم وأن محبة الله ورسوله فوق كل شيء فى حياتهم وأن توجيهات الله لهم فى الحرب والقتال وتعاليمه (ﷺ)تجاوزت الأسماع والحواس واســـتقرت فى قلوبهم وافئدتهم فقال رضوان الله عليه : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل قـــال سعد : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلـــك عهودنـــا ومواثيقنا على السمع والطاعة ولعلك يا رسول الله تخشى أن يكون الأنصار ترى عليها أن لا ينصرونك إلا فى ديارهم وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبـــال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت منا أحب إلينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك فأمضي يا رسول الله لما أردت فنحن معك فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلـــف منـــا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله[1]، فسر رسول الله (ﷺ)بقول سعد ونشطة ذلك وقال:سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني انظر إلى مـــصارع القوم[2] .

ولما وصل (ﷺ)إلى بدر ونزل بالعدوة الدنيا ونزلت قريش العدوة القصوى من الوادي وقف الحباب بن المنذر بن الجموح وقال يارسول الله أرأيت هذا المنزل منزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال (ﷺ): بل هـــو الـــرأي والحـــرب والمكيدة، عندئذ قال الحباب : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتـــى نـــأتي أدنى ماء من القوم فإني أعرف غزارة مائة وكثرته فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب[3] ثـــم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، لأن القلب حينئـــذ تـــصير

---

[1] تاريخ الطبرى ٢/١٤٠ -١٤١ ، سيرة ابن كثير ٢/٣٩٢ ، البداية ١/٣٢٤ ، ٣/٣٢٠ - ٣٢١.

[2] نفس مصادر الحاشية السابقة.

[3] القلب جمع قليب وهو البئر ، وكانت القلب بين الجمعين فى بدر ولأنها كانت أقرب إلى المسلمين.

خلف ذلك القليب والغرض قطع أملهم من الماء والحصول عليه من الأمام أو الخلف وما يحدثه ذلك من اضطراب فى جيش الكفار والفت فى عضدهم لعلمهم أن فقدان الماء فى الصحراء ليس له معنى إلا فقدان الحياة ، على كل حال قال النبي (ﷺ)للحباب: لقد أشرت بالرأي" ونفذ (ﷺ)ما أشار به الحباب[1] ومن يومها قيل للحباب "ذو الرأي"[2]

هكذا تجلت المشورة فى أبهى صورها كخلق رائع من النبي (ﷺ)أتاح به لصحابته الكرام المناقشة الحرة، كما تجلى التفاعل بين القيادة العسكرية المتواضعة الممثلة فى شخصه (ﷺ)وبين الجند المحب الذي أحس بمسئوليته عن الدعوة والإسلام كقائده تماماً، ليكون النصر على الكفار نتيجة وإعلاء كلمة الله غاية فالله يهيئ هذه الأسباب للنبي وصحبه " لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ"[3]ومثل ثان من سيرته العطرة (ﷺ)إذ لما بلغه فى السنة الثالثة من هجرته الشريفة قدوم قريش وقصدها للمدينة للأخذ بثأرها طغياناً عقد (ﷺ)كعادته مجلساً استشار فيه صحبه الكرام فى كيفية مواجهة قريش مقدماً إليهم رأيه فى أن لا يخرج المسلمون من المدينة وأن يتحصنوا بها فإن أقام المشركين بعسكرهم أقاموا بشر مكان وبغير نتيجة إيجابية وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة والدروب والنساء من فوق أسطح الديار ووافقه فى هذا الرأي البعض من الناس وبخاصة ذوي السن والحكمة من المهاجرين والأنصار، ولكن البعض الأخر عارض هذا الرأي وأشاروا على الرسول (ﷺ)بالخروج من المدينة وألحوا عليه فى ذلك لأن أغلبهم لم يحضر بدراً وتاقت أنفسهم لو كانت حرباً أخرى مثلها لينالوا شرف الجهاد والاستشهاد وكان معظمهم من الشباب وعلى رأس هذا الفريق أسد الله حمزة بن عبد المطلب وقال قائلهم لرسول الله (ﷺ): كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله وقد ساقه الله إلينا وقرب المسير أخرج إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم" ثم قال أسد الله : والذي أنزل عليك الكتاب بالحق لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي هذا

---

[1] سيرة ابن كثير ٤٠٢/٢- ٤٠٣ ، البداية ٣٢٦/٣-٣٢٧ جوامع السيرة ١١٢ ، عيون الأثر ٣٣٢/١، طبقات ابن سعد ١٥/٢ ، سبل الهدى ٧/١٢ ، تاريخ الطبرى ١٤٤/٢ ، الروض الأنف ٧٧/٥، ٢١١/٦-٢١٢الإصابة ٤١٣/٢.

[2] البداية ١٦٠/٧.

[3] الأنفال ٨.

خارج المدينة[1]، وأمام هذا الموقف الحماسي ورأى الأغلبية فى الخروج من المدينة ، نحى (ﷺ) رأيه جانباً واستقر رأي المجلس على الخروج من المدينة واللقاء فى فسيح الميادين.[2]

ولما علم (ﷺ)بتجمع الأحزاب وتوجههم صوب المدينة من أجل استئصال شأفه المسلمين، سارع (ﷺ)بالاجتماع بأصحابه أولى الرأي والمشورة تدوال معهم وشاورهم فى أمر الدفاع عن المدينة، وبعد مناقشات مطولة استقر رأي الجميع على الدفاع عن المدينة وعدم الخروج منها وهنا أشار عليهم الصحابي الجليل سلمان الفارسى قائلاً "إنا كنا فى فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا" فأخذ الرسول (ﷺ)بهذا الرأي وخاصة أنها كانت خطة جديدة فى الدفاع لم يعهدها العرب فقام الصحابة بحفر الخندق فى الجهة الأضعف والمتوقع أن يأتي منها المشركون وهي الجهة الشمالية وتم حفر الخندق قبل أن يصل المشركون الذين استبدلوا خطة الاقتحام بالحصار نتيجة للمكيدة التي دبرها المسلمون ولم يكن عند العرب علم بها كما قال أبو سفيان بن حرب نفسه[3] ولكن هذه نتيجة تقدير الرسول الكريم وصحبه للمشورة .

وانظر إلى فعلة (ﷺ)عندما وصلت الجيوش الإسلامية إلى أسوار خيبر، وكان (ﷺ)قد اختار المعسكر منزلاً لم يرضه بعض الصحابة ولأنهم تعلموا من رسول الله (ﷺ)إبداء الرأي إذا كان فى مصلحة المسلمين وعلموا كذلك أنه (ﷺ)يقدر الآراء ويحترم المشورة ولذا أتاه ذو الرأي الحباب بن المنذر فقال يا رسول أرأيت هذا المنزل أنزله الله أم هو الرأي فى الحرب؟ قال بل هو الرأي فقال : يا رسول الله إن هذا المنزل قريب جداً من حصن نطاة وجميع مقاتلي خيبر فيه وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندري أحوالهم وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم ولا نأمن بياتهم وأيضا هذا بين النخلات ومكان غائر وأرض وخيمة لو أمرت بمكان خال من هذه المفاسد نتخذه معسكراً قال (ﷺ): الرأي ما أشرت ثم تحول إلى مكان آخر[4].

---

[1] سبل الهدى ١٨٥/٤.

[2] سنن البيهقى الكبرى ١٣٠٦٠ ،راجع كذلك سيرة ابن هشام ١٧/٣ ، سيرة ابن كثير ٢٤/٣ –٢٥ ،عيون الأثر٤٠٦/١، البداية ٦١٠٥/٤.

[3] راجع باب حفر الخندق البخارى ٢٦٨٠ – ٢٦٨٢ ، ٦٨٠٩ –٦٢٤٦ ، ٣٨٧٨ ، ٢٧٧٠ ، راجع الأحداث طبقات ابن سعد ٦٦/٢–٦٧ ، سبل الهدى ٣٦٤/٤ –٣٦٥ ، تاريخ الطبرى ٢٣٤/٢ –٢٣٥.

[4] الرحيق المختوم ٣٥٤ –٣٥٥.

وهؤلاء الصحب ضربوا المثل فى عهده (ﷺ)باستفادتهم من سنته وهديه فى تقدير المشورة فلما أخرج (ﷺ)جيش المسلمين فى العام الثامن من الهجرة إلى الروم بأرض الشام، بعد أن علم أنهم تجهزوا لحرب المسلمين ، وصل هذا الجيش إلى معان بأرض الشام وهناك حيث أتتهم الاستخبارات بمفاجئه لم تخطر لهم على بال وهي أن عدد الجيش الرومي كبيرجداً بلغت مائة ألف من الجند هذا فوق ما أنضم إليهم من القبائل العربية الخاضعة للروم من لخم وجذام وبهراء وبلى وغيرهم بما عد بمائة ألف أخرى، فى حين كان جيش المسلمين ثلاثة آلاف مجاهد فقط، فكان لابد من سرعة التصرف فعقد زيد بن حارثة رضى الله عنه أمير الجيش مجلساً استشارياً يستمر فى مناقشاته ليلتين من شهر جمادي الأولى ينظرون فى أمرهم ويتشاورن فيما يفعلون فقال بعضهم ، نكتب إلى رسول الله (ﷺ)فنخبره فإما يمدنا بالرجال أو يأمرنا بأمره فنمضي له، ولكن وقف عبد الله بن رواحة وأشار عليهم برأي قاطع قبل به الجميع فى ارتياح كبير فقال لهم : يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة" فخرجوا بناء على رأيه والتقوا بجيش الروم عند مؤتة فناجزوهم حتى قتل ثلاثة من أمراء الجيش وهم زبد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله نب رواحة نفسه ثم نجاح خالد بن الوليد فى التقهقر بالجيش عن خطة وضعها ليسلم بقية الجيش.(١)

هذه بعض الأمثلة التطبيقية من عهده (ﷺ)لندلل بها على تقدير الرسول(ﷺ)وصحبه للمشورة فى ميادين الحرب ولنأخذ أمثلة أخرى بعد عهده (ﷺ)لنؤكد استمرار هذا الخلق الرفيع وعدم استبداد الخلفاء من بعده بآرائهم بل سيرهم على هديه (ﷺ)فى هذا الخلق الكريم فهذا خليفته أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد شاور أصحابه فى قتال المرتدين فجمعهم قائلاً : إن

---

[1] راجع هذا المجلس وأخبار الغزوة :حلية الأولياء ١١٩/١ سيرة ابن هشام ٨/٤ ، سيرة ابن كثير ٤٥٧/٣ – ٤٥٨ ، البداية حـ٢٧٦/٤ وما بعدها ،عيون الأثر١٦٥/٢وما بعدها ،سبل الهدى ١٤٧/٦ وما بعدها ، الروض الأنف ١٦٧/٧ وما بعدها عن أخبار الغزوة راجع البخارى : ١١٨٩ ، ٢٣٥٠٦ ، ٤ ٣٥٢ ، ٤٠١٣ ، ٤٠١٧ ، ٤٠١٨ ، ٤٠٢٣ ، أبى دواود /٢٥٧٣ ، ٢٧١٩ ، سنن الترمذى ٢٨٤٧ ، مسند أحمد ٢٣١٧ ، صحيح ابن حبان ٤٧٤١ ، المستدرك /٤٣٥٤ ، ٤٩٣٢ ، ٤٩٤٤ ، ٤٩٥٢ ، ٥٢٩٥ ، ٥٢٩٦ ، المعجم الكبير /١٤٥٩ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ..الخ ، ٤٦٥٥ -٤٦٥٦.

هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم وإن هذه العجم قد تواعدوا بنهاوند ليجتمعوا لقتالكم وزعموا أن هذا الرجل الذي كنتم تنصرون قد مات فأشيروا على فما أنا إلا رجل منكم" فأطرقوا طويلاً ثم تكلم الفاروق عمر رضى الله عنه وقال : أرى يا خليفة رسول الله أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة فإنهم حديثو عهد بجاهلية لم يعدهم الإسلام فإما أن يردهم الله عنه إلى خير وإما أن يعز الله الإسلام فتقوى على قتالهم ... وقال سيدنا عثمان والإمام علي كرم الله وجهه مثلما قال الفاروق ثم تابعهم الأنصار والمهاجرون على أقوالهم[1] ولكن رأى الصديق أنهم لم يشيروا عليه بصواب اجتهادهم ، عندئذ جمع الناس وصعد المنبر وخطب مظهراً عزمه عى جهادهم قائلاً :والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يعطونه لرسول الله (ﷺ)، ثم أقبل معهم الشجر والمدر والجن والأنس لجاهدتهم عليه حتى تلحق روحي بالله ، إن الله لم يفرق بين الصلاة والزكاة ثم جمعها" عندئذ كبر الفاروق عمر وقال والله قد علمت والله حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم أنه الحق"[2] فقابل الجميع قراره بارتياح و استعدوا لقتال المرتدين فقاتلوهم حتى أخمدوا هذه الفتنة.

ولما أراد رضى الله عنه غزوة الروم عقد مجلساً استشارياً من كبار الصحابة ووجوه الانصار والمهاجرين من أهل بدر وغيرهم ومعهم عبد الله الخزاعى رواى الحديث الذي قال من حديث طويل أن أبا بكر قال "قد رأيت أن استنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل كلمته العليا – وهذا رأى رأيته فليشر أمرؤ على برأيه:[3] فوافقه على الاستنفار الحضور متابعين لرأيه بعد أن تحدث عدد منهم مثل عمر بن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ثم وقف الإمام علي كرم الله وجهه قائلاً : أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرك الله عليهم إن شاء الله فقال له أبو بكر بشرك الله بخير ومن أين علمت ذلك؟ قال : سمعت رسول الله (ﷺ)يقول "لايزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون"[4] قال الصديق رضى الله عنه : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتني به سرك الله، عندئذ اتجه الصديق إلى الناس بالنفير قائلاً :

---

[1] راجع البداية ٦/٣٤٣ وما بعدها . كنز العمال رقم ١٤١٦٤.

[2] كنز العمال ١٤١٦٤.

[3] كنز العمال ١٤١٧٢ .

[4] كنز العمال ١٤١٧٢ .

فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام"[1]. ولم يكن الصديق رضى الله عنه يهمل شيئاً صح عن النبي(ﷺ) فعله ويهمل أصحابه ولا يوصيهم إذ قال لعمرو بن العاص بعد أن سير إليه مدداً عليهم على رأسه خالد بن الوليد فأوصاه بمشاورته وعدم قطع أمر بدونه وبدون أصحابه قائلاً " شاورهم ولا تخالفهم"[2] أو قال له "إن الرسول (ﷺ)شاور فى الحرب فعليك به"[3] وقال رضى الله عنه لشرحبيل بن حسنة قائده فى الشام" فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقى الناصح فليكن أول ما تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وليك ثالث خالد بن سعيد فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوى عنهم بعض الخبر"[4].

وأختم تقدير المسلمين للمشورة وفهمهم العميق بوجوب التخلق بها وبالذات فى حروبهم بخطبة بليغة للفاروق عمر رضوان الله عليه للجهاد إذ خرج فأشار عليهم كبار الصحابة الرأي والمشورة بأن يرسل ويبقى هو بالمدينة فقال للناس بعد أن خرج بهم مسافة خارج المدينة "إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصابه وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم بين ذوي الرأي فيهم فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم وما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة فى حرب كانوا فيه تبعاً لهم : يا أيها الناس : إني كنت كرجل منكم حتى صرفني ذووا والرأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً"[5].

قدر خلق المشورة أذا من الرسول (ﷺ)خاصة فيما لم يأته فيه وحي من السماء وكذلك أصحابه الكرام من ولاة الأمر وذلك حتى يستفيد المسلمون من الآراء الصائبة والخبرات المكتسبة والحكمة التي خص الله بها بعض عباده من المسلمين وذلك على مستوى خاصة الناس ممن يرتضيهم الإمام أو الخليفة للمشورة أو على مستوى المحاربين عامة فكلهم كانوا

---

[1] كنز العمال١٤١٧٢.

[2] المصدر السابق ١٤٠٩٤.

[3] المعجم الكبير ٤٦ ، مجمع الزوائد ٩٦٢٣.

[4] الكنز ١٤١٠٠ .

[5] تاريخ الطبرى ٣/٣.

متناصحون طالما أن العمل لله ولنشر دينه إعمالاً لقوله (ﷺ) "الدين النصيحة"[1] وإذا استنصحك أخيك فانصح له[2] " ثم إنهم فى النهاية أخوة فى الله واجب التناصح ثابت بينهم ، وذلك لأنهم بايعوا رسول الله (ﷺ)على "النصح لكل مسلم"[3] . وما كان ذلك إلا أن الرأي والمشورة فى الحرب أبلغ من القتال[4].

٩- التراحم بين المحاربين :-

الرحمة فى أعلى مستوياتها لله رب العالمين الرحمن الرحيم والذي وسعت رحمته كل شيئ فى الأرض وفى السماء " قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ"[5] وأودع جل فى علاه جزء من الرحمة بين الأحياء ليتراحموا بها فيما بينهم ومن بينها الإنسان الذي منحه الله من الرحمة ما يتعايش به فى حياته الدنيا مع أخيه الإنسان وبقية الأحياء حتى تشمله رحمة الله فى الآخرة إن أراد وقدر سبحانه وتعالى، ورحمة من الله بخلقه أرسل إليهم جل وعلا الرسل والأنبياء الذين هدوا الناس ووجهوهم إلى طرق الخيرات والتراحم فيما بينهم ومن بينهم خير الخلق وسيد المرسلين محمد بن عبد الله الذي أرسله ربه رحمة للعالمين كافة والذي أمر أمته بالتراحم فيما بينهم وأوصاهم بذلك مراراً فيروى مثلاً عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله (ﷺ): مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[6] وكان هو (ﷺ)مثلاً فى الرحمة فقد جمع أصحابه حوله برحمته فقال له ربه "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ "[7]

---

[1] مسلم ٥٥ ، أبو داود ٤٩٤٤ ، غيرهما.

[2] مسلم ٢١٦٢ ، مسند أحمد ٨٨٣٢ ، ٩٣٣٠ ، البخارى : الأدب المفرد ٩٢٥ ، ٩٩١ .

[3] البخارى ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٠١ ، ١٣٣٦ ، ٢٠٤٩ إلخ ، مسلم ٥٦ ، ٩٨ ، ٩٩ وغيرهما ، سنن البيهقى الكبرى ١٠٦٩١ ، ٢٠٠٨٢.

[4] ابن عبد ربه : العقد الفريد ٩١/١.

[5] الأعراف ١٥٦.

[6] البخارى ٥٦٦٥ ، مسلم٢٥٨٦.

[7] آل عمران ١٥٩.

ولذا تعود الصحب الكرام هذا الخلق وتأكد بينهم عند الشدائد والكروبات وفي ساحات الوغي واشتداد النزال والضربات فكان أحدهم يرق لأخيه المسلم ويسعى دائماً لإزالة آلامه للرحمة التي أودعها الله قلوبهم . وفى هذه الأوقات العصيبة كان لا يسع أولئك المجاهدين إلا التودد والتعاطف والتراحم . لأنهم يقبلون على غيب لا يعلم إلا الله ما سيحدث للفرد منهم ، فلا أقل أن يكتسب قبل أن يلقى الله شهيداً ثواباً بإعمال خلق الرحمة فى هذه المواقف ومن هنا وجدنا الله تبارك وتعالى يصف أولئك بالمجاهدين " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا "[1] وقد ضرب لهم الرسول(ﷺ)المثل الأعلى فى وجوب التراحم والتخلق بهذا فى الحرب " فكان (ﷺ)يتخلف فى الساقة فيزجي الضعيف ويردف المنقطع وكان أرفق الناس بهم فى السير"[2] فاقتدى به الصحب الكرام واتخذوا الرحمة شعاراً لهم والتراحم خلقاً يميزهم فتأمل تراحمهم الجميل الذي شهد به رسول الله (ﷺ)نفسه ، فيروى عن أنس رضى الله عنه قال : كنا مع النبي (ﷺ) فى السفر منا الصائم ومنا المفطر قال فنزلنا منزلاً من يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده قال فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله (ﷺ)"ذهب المفطرون اليوم بالأجر"[3]

واعتبر من فعلهم مع واحد منهم فى أحد الغزوات الذي اشتغل أثناء الطريق بتلاوة القرآن والصلاة فما كان فى مسير إلا كان فى قراءة ولا نزل مع الجيش منزلاً إلا كان فى صلاة فانشغل عن شئونه فأثنى الصحابة عليه خيراً وصار منهم من يعلف له جمله ودابته ومنهم من يقوم على شئونه فقال لهم رسول الله (ﷺ)" كلكم خير منه"[4]

وهل سمعت أخي القارئ قصة الصحابي الجليل سفينة الذي سأله أحد الصحابة عن اسمه. فقال أني مخبرك باسمي : سماني رسول الله (ﷺ)سفينة قلت لم سماك سفينة ؟ قال خرج ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم فقال لي "أبسط كساءك" ، فبسطته فجعل فيه متاعهم ثم حمله على

---

[1] الفتح ٢٩.

[2] سنن أبى داود ٢٦٣٩ ، المستدرك ٢٥٤١ ، سنن البيهقى ١٠١٣٢ ، كنز العمال ١٨١٦٢ .

[3] البخارى ٢٧٣٣ ، ٤٠٢٨ ، مسلم ١١١٩ ، سنن النسائى ٢٢٨٣ ، صحيح ابن خزيمة ٢٠٣٢ – ٢٠٣٣.

[4] مصنف عبد الرازق ٢٠٤٤٢.

فقال "أحمل ما أنت إلا سفينة قال سفينة : فلو حملت يومئذ وقر بعير بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل علي[1].

وتأمل معي قمة التراحم والخوف على المسلم والحرص الشديد على عدم تضييعه حتى ولو كان ذلك مقابل فتحاً عظيماً، فلما سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنس بن مالك إذا حاصروا مدينة ماذا يفعلون قال : نبعث رجلاً إلى المدينة ونضع له هنة - أي قطعة جلد يحتمى بها - قال أرأيت أن رمى بحجر؟ قال إذا يقتل قال إذا فلا تفعلوا فو الذي نفسي بيده ما يسرني أن تفتحوا مدينة فيها أربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم"[2] ومعروف فى سيرة الفاروق أنه كان يخشى من إذاية المسلم المجاهد ويحذر الحذر الشديد من التغرير به والاستهانة بروحه ، فلما أحب معاوية بن أبي سفيان ركوب البحر لمجاهدة الروم أرسل إلى الفاروق عمر يستأذنه فى ذلك ، كتب الخليفة إلى عمرو بن العاص ليصف له البحر فلما وصفه له عمرو خشى الضيعة على المسلمين فيه فقال "والله ما يركبه مسلم ما حييت"[3] ومن شدة حرصه عليهم ما جعل بينه وبين جيوش المسلمين المجاهدة بحاراً تمنعه من الاتصال بهم سريعاً، رحمة منه لهم وخشية عليهم. وهو القائل رضى الله عنه لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحب إلى من جزيرة العرب"[4] ولما ولى أبا عبيدة بن الجراح مكان خالد على جند الشام قال له موصياً "لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده ... وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة"[5] ومن شفقته على المسلمين ورفقه بهم أوصى سعد بن أبي وقاص قائلاً : وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عددهم والسفر لم ينقص قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامى الأنفس والكراع "الخيل" وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم[6]".

---

[1] المستدرك ٦٥٤٨ ، المعجم الكبير ٦٤٣٩ ، حلية الأولياء ٣٦٩/١.

[2] مسند الشافعى ١٤٨٧ ، سنن البيهقى الكبرى ١٧٦٨٦ .

[3] تاريخ الطبرى ٣١٦/٣.

[4] كنز العمال ١١٦٠٦ ، مصنف ابن أبى شيبة ٣٣٢٥٣.

[5] تاريخ الطبرى ٦٢٢/٢.

[6] ابن عبد ربه العقد ١٢٠/١.

١٠- خفض الصوت:

وذلك حفاظاً على موقفهم وحرصاً على مفاجأة العدو مع التأكيد على أن الصحابة الكرام والرسول كانوا يدعون الله ويستغيثون به ويضجون بالدعاء إليه من أجل النصر، ومع أنه عمل مشروع والاستنصار بالله واجب كما علمنا إلا أن الرسول (ﷺ)أمرهم بخفض الصوت فى حروبهم[1] لتتم السرية- والموارة على الأعداء.

ولذا لما رآهم عتبة بن ربيعة يوم بدر سكوت قال لأصحابه من كفار قريش: أما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الحيات"[2] كناية عن الاستعداد التام للحرب والقتال ومن هنا حرص المسلمون على التزام الصمت فى الحروب ،فيروى عن أبى داود[3] أن صحابة رسول الله(ﷺ) يكرهون الصوت عند القتال "وهو ما يدلنا على وعيهم بأن الصوت يشعر الأعداء بالفزع والفشل بخلاف الصمت فإنه دليل الثبات ورباطة الجأش[4]. ويؤكد هذه النظرة قول عتبة بن ربيعة سابق الذكر وقول السيدة عائشة رضوان الله عليه لما كانت فى واقعة الجمل "المنازعة فى الحرب خور والصياح فيها فشل وما برأيي خرجت مع هؤلاء"[5] ولهذا كله وصف الله المجاهدين فى حروبهم بالسكون والطمأنينة والثبات التي منحهم إياها قال تعالى فى سورة الفتح " هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" [6] ، "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا "[7]، "إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ""[8]

---

[1] راجع ابن خزيمة : صحيحه ٢٥٦٣ ، كنز العمال ١٨١٣٢.

[2] ابن عبد ربه ٩٤/١ .

[3] سننه٢٦٥٦.

[4] راجع الشوكانى : نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ، حـ٧ صـ٢٤٣.

[5] ابن عبد ربه :المصدر السابق.

[6] الآية ٤.

[7] الأية ١٨.

[8] الآية ٢٦.

١١- التريث وعدم التعجيل:-

وذلك من أجل دراسة موقف جيش العدو وعددهم وما هي الخطة الناجعة للتغلب على أولئك الأعداء . وذلك لأن حبيبنا المصطفى (ﷺ)كان يفعل ذلك فكان إذا أراد أن يغير انتظر فإن سمع فى الحي مؤذناً لم يغر وإلا أغار ، وذلك من أجل معرفة إسلامهم من عدمه"[١] ، وكان ربما بيت (ﷺ)عدوه وربما فاجأهم نهاراً[٢] وهو الذى كان يوصى اصحابه بعدم التسرع واستعجال الحرب إذ قال (ﷺ)ضمن حديث طويل " أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وأسالوا الله العافية "[٣]، وهو ما استفاد منه صحبه الكرام فأوصوا أمراء جيوشهم بها ، ولنضرب المثل هنا بسيدنا عمر رضى الله عنه، فقد أوصى سيدنا عمر سعد بن أبي وقاص قائلاً "وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السريا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومواقفهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم. وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل . فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ثم أوصاه قائلاً "فإن عاينت العدو فأضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لاتعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها، فتصنع بعدوك كصنعة بك"[٤] ، وقال سيدنا عمر رضى الله عنه لعبد الله بن مسعود وقد أرسل مدداً لقوات العراق "لا تجتهد مسرعاً بل اتئد فإنها الحرب لا يصلها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة ولا يمنعني أن أؤمر سليطاً بن قيس إلا سرعته فى الحرب ، والسرعة إلى الحرب – إلا عن بيان – ضياع"[٥]

١٢ –الشجاعة والإقدام :-

---

[١] مسلم ٣٨٢ ، أبو داود٢٦٣٥ ، سنن الترمذى ١٥٤٩ ، مسند الشافعى ١٠٠٤.

[٢] البخاري ٢٨٠٤ ،٦٨١٠ ، مسلم ١٧٤٢ ، ١٦٣٠ ، ١٦٤٥.

[٣] البخاري ٢٨٠٤ ،٦٨١٠ ، مسلم ١٧٤٢ ابن عبد ربه ١/ ١٢١.

[٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٢١/١.

[٥] راجع الطبرى ٦٣١/٢.

وما عرفنا فى نفس المؤمن جبنا ولا خوفاً وإنما تواترات الأخبار عن نفوس الصحابة التي امتلأت شجاعة وإقداماً فى إسلامهم وصارت هاتين الصفتين لنفوسهم خلقاً وسجيه بعد ما كان قبل بعثته (ﷺ)فى العرب إنعكاساً وصورة لنفوس إعتادت سيىء الأخلاق وقبيح الأعمال ، وما ذلك إلا لملء الإيمان قلوبهم وتسلحهم بالتقوى ومحبة الوصول إلى جنة عرضـها السـموات والأرض ، فكان الرسول (ﷺ)أشجعهم فى الحرب كان إذا أشتد الناس وحمى الوطيس وقـصده العدو يعلم بنفسه (ﷺ)ويقول :

أنا النبي لا كذب   أنا بن عبد المطلب[1]

وكان الناس إذا اشتدت الحرب واستعرت اتقوا به (ﷺ)وكان أقربهم إلى العدو[2].فقد كـان أشجع الناس فى حياته([3]).

أما صحابته الكرام فالمأثور عنهم فى الشجاعة كثير كثير أخرج البزار عن على لما سـأل الناس : أيها الناس أخبروني من أشجع الناس قال أنت يا أمير المؤمنين قال : أما إنـي مـا بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم من ؟ قال أبـو بكـر الصديق إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله (ﷺ)عريشاً فقلنـا مـن يكـون مـع رسـول الله(ﷺ)لئلا يهوى إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً سيفه على رأس رسول الله (ﷺ)لا يهوى أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس"[4].

أما عمر بن الخطاب الذي فرق الله به بين الحق والباطل فكان إسلامه عزاً للمسلمين فخرجوا فى صفين أحدهما عليه أسد الله حمزة بن عبد المطلب والآخر عليه عمر بـن الخطـاب إلـى الكعبة دون أن يتجرأ مشرك من الإقتراب منهما ، ولما هاجر الصحابة رضـوان الله علـيهم هاجروا خفية إلا هو رضى الله عنه كما قال الإمام على بن أبي طالب إذ لما هم بهجرته تقلـد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهماً وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم

---

[1] البخاري ٦٢٧٠٩، ٢٧١٩، ٢٧٧٢ ، ٢٨٧٧ ، ٤٠٦١ إلخ ، مسلم ١٧٧٦ ، ١٠٦٦ ، مسلم ١٧٧٦.

[2] مسلم ١٧٧٦،أبو الشيخ الأصبهاني:أخلاق النبي،صـ٥٧ ،القاضي عياض:الشفاجـ١،صـ١١٦.

[3] راجع مسلم ٢٣٠٧ ، سنن ابن ماجة ٢٧٧٢ ، مسند أحمد ١٢٥١٦ وغيرهم .

[4] الهيثمى مجمع ١٤٣٣٣ ، كنز العمال ٣٥٦٩٠.

صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال : شاهت الوجوه من أراد أن تثكلـه أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد[1].

أما علي بن أبي طالب فقد بانت شجاعته يوم بدر لما خرج مبارزاً الوليد بن عتبة وقتله وقاتل يوم أحد وأحسن كما أحسن صحابه رسول الله شجاعة وإقداماً ويقال أنه دخل علـى السيدة فاطمة بعد إنتهاء المعركة قائلاً.

أفاطم هاك السيف غير ذميـم	فلست برعديد ولا لئيـم
لعمري لقد أبليت فى نصر أحمـد	ومرضاة رب بالعباد عليم

ولما سمعه رسول الله (ﷺ)سمى له صحابة كرام كانوا شجعاناً فى الحرب والقتال وأحسنوا كما أحسن على قائلاً له : يا علي لئن كنت أحسنت القتال لقد أحسن سهل بن حنيـف ، وأبـو دجانة سماك بن خرشة"[2] ومعلوم قصته أي الإمام علي مع عمرو بن عبد ود الـذي خـرج معلماً ليرى مشهده ودعا إلى المبارزة فخرج إليه الإمام على فقال له عمرو فى تيه وعجب : لم يا ابن أخي؟ ما أحب أن أقتلك قال على رضى الله عنه ولكني والله أحب أن أقتلـك فحمـى عمرو عند ذلك وأقبل إلى علي فتنازلا وأقدم على وهو يقول :-

لا تعجلـن فقـد اتاك	مجيب صوتك غير عاجز
ذو نبـهة وبصـيرة	والصدق منجا كل فائـز
إنى لارجـو أن أقـيم	عليك نائحة الجنائـز
من ضـربة نجلاء	يبقى ذكرها عن الهزاهز[3]

وتجاولا حتى قتله علي"[4] ، وأقبل على رسول الله (ﷺ)والمسلمين مـتهللاً يقـول شـعراً منه:-

عبد الحجارة من سفاهة رأيه	وعبدت رب محمد بصوابي
فصدرت حين تركته متجدلاً	كالجذع بين دكادك وروابـي
وعففت عن أثوابه ولو أنني	كنت المقطر بزني أثـوابي
لا تحسبن الله خاذل ديـنه	ونبيه يا معشر الأحـزاب[5]

---

[1] كنز العمال ٣٥٧٩٦.

[2] مجمع الزوائد ١٠١٦ ،الطبرى ٢١١/٢ ، راجع بلفظ آخر : عيون الأثر ٤٣١/١.

[3] المستدرك ٤٣٢٩.

[4] نفسه.

[5] المستدرك ٤٣٢٩.

، ومن شجعان الصحابة والزبير بن العوام الذي كان سيفه أول سيف يسل فى الإسلام بمكة ، لما سمع أن الرسول (ﷺ)أخذ أو قيل قتل ، فخرج مسرعاً شاهراً سيفه ، فلما أطمأن علـى رسول الله (ﷺ)سأله الرسول ما أردت أن تصنع يا زبير قال استعرض أهل مكة أي من ألقـاه منهم أو قال أضرب بسيفي هذا من أخذك فدعا له رسـول الله(ﷺ)بخير[1] وقيل فيه.

هذاك أول سيف سل فى غضب ... لله سيـف الزبير المرتضى أننـا

حمية سبقت من فضل نجـدته ... قد يحبس النجدات المحبس الأرفا[2]

ولما خرج نوفل المخزومي يوم الخندق يسأل المبارزة خرج إليه الزبير فقتله وانصرف وهـو يقول

إني أمرؤ أحمى وأحتمي ... عن النبي المصطفى الأمـي[3]

وشجاعة سعد بن أبي وقاص مشهورة إذ كان أول من رمى بسهم فى الإسلام فى سرية رابغ التي كان أميرها، ومشهور عنه قتاله المستميت يوم أحد وقتله ثلاثة بسهم واحد وذكـر أنـه قاتل يوم بدر مع رسول الله قتال الفارس والراجل.[4]

وشجاعة حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ﷺ)أشهر من نار على علم فعرف لشجاعته بأسد الله ومن فرط شجاعته علم نفسه يوم بدر بريشة نعامة ولما سأل أحد المـشركين مـن رجل أعلم بريشة نعامة فقيل له حمزة بن عبد المطلب : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل"[5]

واختتم حديثي عن خلق الشجاعة وإقدام خالد بن الوليد إذ أخرج البخاري[6] عـن خالـد بـن الوليد يقول "لقد دق على يدي يوم مؤته تسعة أسياف فما بقى فى يدي إلا صفحية يمانية" ويروى عن أوس بن حارثة بن لام الطائي أنه قال لم يكن أعدى للعرب من هرمز فلما فرغنا من مسليمة وأصحابه وأقبلنا إلى ناحية البصرة فلقينا هرمز بكاظمة فى جمع عظيم فبرز لـه

---

[1] المصدر السابق ٥٥٥١ ، مصنف عبد الرازق ٩٦٤٦ ، كنز العمال ٣٦٦٢١ ، ٣٦٦٣٨.

[2] كنز العمال ٣٦٦٢١.

[3] سيرة ابن كثير ٢٠٦/٣ ، البداية ١٢٣/٤.

[4] راجع الإصابة ٧٣/٣.

[5] راجع المستدرك ٢٥٤٨ ، سنن البيهقى ٥٩٠٩ ، مجمع الزوائد ٩٩٧٥ ، ٩٩٧٦.

[6] صحيح رقم ٤٠١٧ ، ٤٠١٨.

خالد ودعاه للمبارزة فبرز له هرمز فقتله خالد بن الوليد وكتب بذلك إلى الصديق فنفله سلبه فبلغت قلنسوته مائة ألف درهم[1].

وروى عن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة بكى ثم قال: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً وما فى جسدي شبراً إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية بسهم وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء".[2]

وخلق الشجاعة هذا كان عند عامة الصحابة رضوان الله عليهم وسيرته العطرة مليئة بمواقف الشجاعة(ﷺ)له ولصحابته رضوان الله عليهم، مالو تتبعناه لطال بنا الحديث ولكن أشرنا سلفاً إلى بعضها وعرفانا بحقهم وغبطة بهم أسمى الآن فقط مشاهير الشجعان منهم بعد هؤلاء كطلحة بن عبيد الله الذي شهد له الجميع يوم أحد والعباس بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبير ، مغاذ بن عمرو بن الجموح ، معوذ بن عفراء وقتادة بن النعمان وسلمة بن الأكوع والبراء بن مالك وأبي محجن الثقفي وعمار بن ياسر وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وأبي دجانة سماك ابن خرشة الأنصاري وغيرهم الكثير من صحابته (ﷺ)الذين ظهرت شجاعتهم فى حروبهم وغزواتهم مع النبي ومن بعده فى عهد صحابته وخلفائه الكرام أيام الفتوحات الكبرى .

١٣- عدم التولي عند الزحف ومجانبة الجبن:-

هذا الخلق مرتبط بما قبله من خلق الشجاعة فالمسلم الشجاع لم يعرف الفرار والجبن والخوف من مجابهة الأعداء بل كانٍ مقداماً جسوراً حتى وإن علم أن جسده سيقطع إرباً أو أنه مقتول، لم لا وقد سمعوا قوله تعالى " وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[3] ، هذا فضلاً عن مبايعة النبي لهم فى الحرب على ألا يفروا وربما بايعهم على الموت كما قال ابن القيم[4]

---

[1] المستدرك٥٢٩٨ ، وقال آخرون أن الراوى هو حزيم بن أوس راجع : المعجم الكبير ٣٨٠٣ ، سنن البيهقى ١٢٥٧٠ ، مجمع الزوائد ٩٧٠١.

[2] مصنف بن أبى شيبة ٢٥٣٢.

[3] الأنفال١٦.

[4] زاد المعاد ٩٥/٣.

وكان لهم فى رسول الله (ﷺ) المثل والقدوة إذ قال لهم (ﷺ) "والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل"[1] وقولـه(ﷺ)"وتوكـل الله للمجاهد فى سبيله أن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة"[2]

وقال "ما من عبد يموت له عند الله خير يسره إن رجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى وفى لفـظ فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة"[3] فعلموا أنهم إذا قتلوا دخلوا الجنة حتى أنهـم لمـا سألهم رب العالمين ما تشتهون، فلم يجدوا إلا أن قالوا : يارب نريد أن تـرد أرواحنـا إلـى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى"[4] ، وقد قال رسول الله (ﷺ)لجابر: "ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قال: بلى قال (ﷺ):ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أبـاك كفاحـاً فقـال: ياعبدي تمن علي أعطك قال "يارب تحيني فأقتل فيك ثانية، قال : أنه سبق مني "أنهم إليها لا يرجعون" قال يارب فأبلغ من ورائي[5] فأنزل الله تعالى : " لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُـوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ "[6].

فهل آمنوا بالله ورسوله وعلموا هذه الحقائق وايقنوا بها ثم يفكر أحدهم فى أن يفـر مـن المعركة أو يجبن عند اللقاء أو يدير ظهره للعدو، ومن لم تساعده الظـروف فـى المعـارك وهمزه الشيطان وجعله يفر من أرض المعركة ، يندم أشد الندم ويلجأ إلى الله ورسوله ليجـد باباً للتوبة بعد أن باء بغضب من الله كما ندم ابن عمر وأصحابه يوم مؤته إذ أخـرج الإمـام أحمد"[7]عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال" كنت فـى سـرية مـن سـرايا الرسـول (ﷺ)فحاص الناس (أي جالوا جولة الفرار) حيصة وكنت فيمن حاص فقلنا كيف نـصنع وقـد فررنا من الزحف بؤنا بالغضب؟! ثم قلنا لو دخلنا المدينة ثم بيتنا ثم قال: لو عرضنا أنفـسنا

---

[1] البخارى ٢٦٤٤ ، ٦٨٠٠.

[2] البخاري ٢٦٣٥ ، النسائى ٣١٢٤، شعب الإيمان ٤٢١٥.

[3] البخاري ٢٦٤٢ ، الترمذى ١٦٤٣.

[4] ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ سنن أبي دواد ٤٣٨.

[5] الترمذي ٣٠١٠ ، ابن ماجة ١٩٠ ، ٢٠٢٠٠.

[6] آل عمران ١٦٩ .

[7] المسند٥٣٨٤ .

أحمد"[1]عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال" كنت فــي ســرية مــن ســرايا الرســول (ﷺ)فحاص الناس (أي جالوا جولة الفرار) حيصة وكنت فيمن حاص فقلنا كيف نــصنع وقــد فررنا من الزحف بؤنا بالغضب؟! ثم قلنا لو دخلنا المدينة ثم بيتنا ثم قال: لو عرضنا أنفــسنا على رسول الله فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج وقال من القــوم؟ قال : قلنا نحن فرارون فقال لا بل أنتم الكرارون أنا فئتكم وأنا فئة المــسلمين "قــال فأتينــاه (ﷺ)فقبلنا يده يعني أن المسلم لا يفر وإن فر لظروف فإنه يعود للكرة مرة ومرات حتى ينــال إحدى الحسنيين وإن المسلم لأخيه فى المعركة ردءاً وحماية فإن فر أحد فلا فر عنــه الآخــر فالمسلمون فئة واحدة.

وإذا لم يندم المسلم على فراره رأى إنكاراً شديداً من الآخرين لشذوذ فعله عن الجماعة وعدم ثباته حتى يأتيه موعود الله، فقد أخرج الحاكم[2] عن أم سلمة رضى الله عنها قالــت لامــرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين؟ قالت والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار أفررتم فى ســبيل الله عــز وجل، حتى قعد فى بيته ما يخرج وكان فى غزوة مؤته مع خالد بن الوليد رضى الله عنه"

وما كان المسلم يرتاح إلا أن يتوب ويعود إلى ما يرضى الله ورسوله ويتوب إلى الله توبة نصوحاً ليضرب المثل فى الثبات وعدم التولي بل لا يختار مكاناً يجاهد فيه إلا المكان الذي فر منه ليمحو عن نفسه عار الفرار ويتجنب غضب الله وسوء المصير، فيروى ابن سعد[3] عــن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضى الله عنه قال عمر بن الخطاب لسعد بن عبيد القاري رضى الله عنهما قال وكان رجلاً من أصحاب رسول الله وكان انهزم يوم أصيب عبيد الله وكــان يــسمى القاري ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) يسمى القاري غيره قال "فقال له عمــر بــن الخطاب رضى الله عنه هل لك فى الشام؟ فإن المسلمين قد نزفوا به؟ وإن العدو قــد ذئــروا واجترأوا عليهم ولعلك تغسل عنك الهنيهة "الفرار" قال لا إلا الأرض التي فررت منها والعــدو الذين صنعوا بي ما صنعوا قال فجاء إلى القادسية فقتل.

---

[1] المسند ٥٣٨٤ .

[2] المستدرك ٤٣٥٥.

[3] الطبقات ٤٥٨/٣.

خلق تحلى به الجاهلي عصبية لقومه وعشيرته ثم لقبيلته حرصاً منه على الأموال والعرض والشرف وطلباً للمباهاة والفخر بالنصر المنشود، ولكن المسلم استعان به في طاعة الله ومرضاته وخاض به حروبه وغزواته متغلباً به على الابتلاءات التي لا محيص عنها ولابد منها قال الله تعالى " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ "[1] وقال أيضاً " لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ "[2]

ولسنا نتحدث عن الصبر بأنواعه المختلفة أي الصبر على الطاعة أو الصبر على المعصية ولكنا نتحدث عن الصبر على النوازل والابتلاءات وهي فى الحرب آكده وعند النزال ثابتة ووجب عليهم أن يتحلوا بهذا الخلق لما سيترتب عليه من نعم الله تبارك وتعالى فى العاجلة والآجلة ففي الدنيا النصر لا يأتي إلا مع الصبر قال الله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ، الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ "[3] وعلموا مقصود رب العالمين لما خاطبهم " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[4] قال تعالى " أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ "[5] وقال أيضاً عز وجل " وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ " [6] وقال " ، " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ "[7]، وإذا عرجنا إلى سيرته العطرة وجدنا

---

[1] سورة محمد آية ٣١.

[2] سورة آل عمران ١٨٦.

[3] سورة الأنفال ٦٤-٦٦.

[4] آل عمران ٢٠٠.

[5] سورة آل عمران ١٤٢.

[6] سورة آل عمران ١٤٦.

[7] النحل ١١٠.

أمثلة دامغة تدل على تخلق المسلمين بخلق الصبر وتحملهم الشدائد فى سبيل الله، ويدل أيضاً على فهم عميق للصبر فى الغزو والجهاد ، إذ علمهم المصطفى (ﷺ)ذلك ، فلما سأله عبد الله بن عمرو عن الغزو والجهاد قال له الرسول (ﷺ) يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً".[1]

وتأمل معي قول سعد بن معاذ لرسول الله (ﷺ)"إنا لصبر عند اللقاء فسترى منا ما تقربه عينك"[2] ، وما يذكر عن النبي (ﷺ) فى تحمل الشدائد والأذى كثير فقد كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه (ﷺ) ودخلت فى وجنيته حلقتان من حلق المغفر وهو صابر محتسب (ﷺ) ومن العجب أنه خلال ذلك يأمر أصحابه ألا يهتموا به بل ينظروا إلى صاحبهم طلحة بن عبيد الله ، فلما أتوه فإذا به بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت أصبعه.[3]

والشاهد أن الصحب الكرام تحملوا الأذى وصبروا على جراحاتهم فى الحرب وإصاباتهم الخطيرة مبتغين من وراء ذلك الجنة فمنهم من أصيبت عينيه فى سبيل الله كأبى سفيان بن حرب يوم الطائف فأتى النبي (ﷺ) وقال يا رسول الله هذه عيني قد أصيبت في سبيل الله فقال النبي (ﷺ) إن شئت دعوت الله فردت عليك وإن شئت فالجنة "قال فالجنة ويذكر أن أبا عبيده بن الجراح كتب إلي سيدنا عمر بن الخطاب يذكر له جموع الروم بالشام و ما يتخوف منهم فكتب إليه عمر أما بعد "فإنه مهما نزل بعبد مؤمن من شدة يجعل الله بعدها فرجاً وإنه لن يغلب عسر يسرين[4] وأن الله تعالي يقول " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[5] كما أوصى قائده سعد بن أبى وقاص وهو في حرب العراق "واعلم أن لكل عادة عتادا" فعتاد الخير الصبر ، فالصبر على الصبر ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله "[6] ويذكر عن سيدنا خالد بن الوليد أنه كان يسير في الصفوف يذمر(أي

---

[1] أبو داود٢٥١٩.

[2] انظر ما سبق صـ١١٧من البحث.

[3] المستدرك ٤٣١٥ ، ٥١٥٩.

[4] تاريخ الطبرى ٥/٣ ، البداية ٤٢/٧.

[5] آل عمران الآية ٢٠٠

[6] ابن جرير ٨٤/٤

يحرضهم) الناس و يقول "يا أهل الإسلام ،إن الصبر عز وإن الفشل عجــز وإن مــع الــصبر النصر.[1]

15- الخيلاء في الحرب:

إذ سنه لهم الرسول الكريم (ﷺ) الذي كان يحب الخيلاء فى الحرب وقال (ﷺ)[2] "إن منها ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل بنفسه عند اللقــاء واختياله عند الصدقة وأما التي يبغض الله عز وجل فاختياله فى البغي والفخــر" وقــد فهــم الصحابة الكرام هذا الأمر عن رسول الله (ﷺ)وتبختروا خيلاء أثناء المعارك ولنا فى قــصة أبي دجانه سماك بن خرشة يوم أحد وكان معلوماً عنه الشجاعة والاختيال عند الحرب وكــان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله (ﷺ) أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين هنا روى عــن رسول الله (ﷺ) أنه قال حين رآه يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن[3]. ويروى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته فقال له: إن البخترية مشية تكره إلا في سبيل الله[4] كما استن بسنته التــابعون وتابعوالتــابعين ومــن تلاهم وفهم علماؤهم المراد مما سنه رسول الله(ﷺ) وندلل على ذلك بقصة العالم الزاهد مالك

---

[1] ابن عبد ربه :العقد ١ /٩٦

[2] سنن أبو داود ٢٦٥٩ ، مسند أحمد ٢٣٧٩٨ ، ٩٩٧٣٢ ، ٢٣٨٠١ ، ٢٣٨٠٣ ، المعجم الكبير ١٧٧٢ ، ١٧٧٣ ، ١٧٧٤.

[3] المعجم الكبير ٦٥٠٨، مجمع الزوائد ١٠٠٧١، كنز١٠٦٨٥ ،ابن هشام : السيرة ٣ /١٩، عيون الأثر١/٤١٣،البداية ٤/١٥،٦/٣٣٧.

[4] كنز العمال ٤١٩١٩ .

بن دينار مع المهلب بن أبي صفرة إذ رأه ابن دينار يمشي وهو يتبختر في مشيته فقال له:أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين[1].

١٦- الحياء:

روى عن الرسول (ﷺ) أنه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه"[2] فكان (ﷺ) يستحي أن يرى إلا الحق، فحياؤه (ﷺ) لله تبارك وتعالى، فكان (ﷺ) يحب الحق واتباعه ويكره الباطل والحرام وينفر منهما نفوراً كبيراً، والحياء بهذا طبيعة فى الإنسان يعلم منه يقظة الضمير والإيمان العميق بالله الخالق الذي يجب أن يستحي منه المؤمن أن يراه على غير طاعتة أويرى منه المعصية والنكران لنعمه وعطائه ولهذا بجل الرسول (ﷺ) خلق الحياء فى كل أحوال وظروف المسلم فى السلم والحرب معاً، وجعله (ﷺ) من أظهر ما يتخلق به المسلم إذ قال (ﷺ) "إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء"[3] ومن هنا مدح (ﷺ) من ظهر فيه خلق الحياء جلياً واضحاً لكي يحث صحابته الكرام على التزام فقال (ﷺ) لاشج بن قيس إن فيك لخصلتين يحبهما الله قال ما هما يارسول الله (ﷺ)الحلم والحياء"[4] وهو الذي قال (ﷺ) عن سيدنا عثمان "ألا استحى من رجل يستحي منه الملائكة والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله "[5] ولذا التزم الصحابة الكرام هذا الخلق الكريم وتواصوا به فيما بينهم، فيؤثر عن أبي بكر الصديق قوله "استحيوا من الله فإني لأدخل الخلاء فأقنع رأسي حياءاً من الله عز وجل"[6]وبهذا يضع الرسول (ﷺ) المسلم أمام محبة أن يرى الخير ويفعله تقرباً إلى الله تبارك وتعالى ويستحي من فعل المعاصي والشرور فلا يأتيها أبداً . ولا شك أن هذا نابعاً من الإيمان بالله الذي يزكى النفوس

---

[1] حلية الأولياء٣/٣٨٤ .

[2] البخارى ٥٧٥١ ، مسلم ٢٣٢٠.

[3] رواه مالك ٩٤٩ ، سنن ابن ماجة ٤١٨١ ، ٤١٨٢، كنز ٥٧٥٧.

[4] شعب الايمان ٧٧٢٨ .

[5] مسند أحمد ٢٤٣٧ ، المعجم الكبير ١١٦٥٦ ، كنز ٣٦٢١٤.

[6] كنز العمال ٨٥١٨.

ويقوم الأخلاق ويدفع إلى أعمال البر والخير ولذا قال (ﷺ): الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر"[١].

ومن هنا كان المسلم حيياً فى الحروب أن يراه الله تبارك وتعالى على معصية ، كيف لـه أن يعصيه ويخالف شرعه وهو ملتجأ إليه يطلب مؤازرته ونصره ، ويحارب ويصول ويجول من أجله، فالحياء أولى فى هذه المواضع من غيرها، لذلك نجد الصديق رضوان الله عليه يوصى عمرو بن العاص أثناء خروجه للجهاد على جبهة الشام قائلاً "يا عمرو اتق الله فى سرائرك وعلانيتك واستحيه فإنه يراك ويرى عملك"[٢] ، كما كتب الفاروق عمر إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد : أمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عددهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم ... واعلموا أن في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم فى سبيل الله"[٣].

ولهذا يمكننا القول أن الحياء من الله هنا كان بمثابة اللجام الذي يكبح الدابة ويجعلها طيعة لصاحبها، فالمؤمن فى حروبه إذا هم بفعل ما يغضب الله سرعان ما يوقفه استيحاؤه من الله عن فعل ذلك حتى ولو جاءه عرضاً فلما بارز الإمام على كرم الله وجهه عمر بن عبد ود فارس العرب وشجيعهم وضربه الضربة القاضية فأحس بهزيمته أتقى الإمام على بسوءته مظهراً إياها له حتى أن سيدنا عمر سأله هلا سلبته درعه؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال له على ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه"[٤]

وتأمل الشجاعة مع الحياء فى فعل عمة النبي (ﷺ) وقت غزوة الأحزاب والمدينة محاصرة ودخل أهل الخيانة والغدر والتآمر الحرب ضد المسلمين ناقضين عهدهم مع الرسول (ﷺ) وهم بنو قريظة وبدأوا عملياتهم الجبانة لإيقاع الاضطراب والخيال علي المسلمين فمر رجل علي حصن فارغ وبه نساء وصبيان المسلمين مع حسان بن ثابت في حراستهم فجعل يطوف بالحصن متجسساً ورسول الله(ﷺ) وأصحابه منشغلون بالحصار والحرب فقالت يا حسان إن

---

[١] المستدرك ٥٨.

[٢] كنز العمال ١٤٠٩٥.

[٣] ابن عبد ربه ١ /١٢٠.

[٤] سنن البيهقى ١٢٥٥١ ، المستدرك ٤٣٢٩.

هذا اليهودي كما تري يطوف بالحصن وإني والله ما آمن أن يدل علي عورتنا من وراءنا من يهود وقد انشغل عنا رسول الله وأصحابه فأنزل إليه فاقتله قال "والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا أي لم يأمرني الرسول بقتال قالت "فاحتجزت -أي شدت- وسطها ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت إلي الحصن وقالت لحسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل[1]، فهذه الحيية الشجاعة راقبت الله في جهادها وأعلمت لليهود بفعلها هذا أن الآطام والحصون الإسلامية في منعة وحراسة من جند المسلمين ،مع أنها كانت خالية تماما منهم ،فلم يجرؤوا ثانية علي القيام بهذا الفعل

١٧-التعفف والبعد عن الغلول :-

نهى الله سبحانه و تعالي في كتابه العزيز عن الغلول وشدد عليه وغلظ عقوبته فقال سبحانه وتعالي " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ"[2] كما شدد الرسول (ﷺ)جدا" في الغلول وغلظ فيه ، وقال (ﷺ) :هو عار ونار وشنار علي أهله يوم القيامة "[3]وقال أبو هريرة قام فينا رسول الله (ﷺ)فذكر الغلول وعظمه وعظم أمره فقال "لألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحمة يقول يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك وعلى رقبته بعير لها رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك وعلى رقبته الصامت فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، أو على رقبته رقاع تخفق فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك".[4]

لذا انتهي الصحابة الكرام من هذا الفعل فى الحرب وتعففوا عن القليل والكثير منه لما سيؤدي بهم من العذاب يوم القيامة ويضيع ثواب جهادهم وكم من مرة ظنوا أصحاباً لهم من الشهداء من أهل الجنة ولكن الرسول (ﷺ) كان يخبرهم بعكس ذلك لأنهم لم يعلموا بما علم رسول الله (ﷺ) بما فعل هؤلاء من الغلول وهم قلة قليلة ليكون فى فعلها مثلاً وعبرة، ليزداد المؤمنون إيماناً وتسمو أخلاقهم عن الدنايا وسفاسف الأشياء وكثير الأموال وقليلها من الحرام، ومن

---

[1] ابن هشام "السيرة ١٣٨/٣ ، البداية ١٠٨/٤.

[2] سورة آل عمران ١٦١.

[3] أخرجه ابن ماجة ٢٨٥٠ ،النسائي : ٣٦٨٨ ،أحمد ٦٧٢٩، ١٧١٩٤.

[4] البخاري ٢٩٠٨ ، مسلم ، ١٨٣١، الموطأ ٩٧٧ ، المعجم ١٨٢٤ وغيرهم.

ذلك أنه "لما أصيب غلام الرسول المسمى مدعم قالوا: هنيئاً له الجنة قال لهم رسول الله (ﷺ) كلا والذي نفسي بيده أن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً ولذلك أسرع إليه رجل بشراك أو شراكين لما سمع ذلك فقال له (ﷺ) شراك أو شراكان من نار" [1]

وقال (ﷺ)لمن كان على ثقله وقد مات: هو فى النار "فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلها"[2]

وقالوا فى بعض غزواتهم "فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله (ﷺ) "كلا إني رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة" ثم قال رسول الله (ﷺ) "أذهب يا ابن الخطاب أذهب يا ابن الخطاب فنادى فى الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون" [3]

وتوفى رجل يوم خيبر، فذكروا ذلك لرسول الله (ﷺ)فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال (ﷺ) "إن صاحبكم غل فى سبيل الله شيئا " ففتشوا متاعه فوجدوا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين"[4]

وكان (ﷺ) إذا ظفر بعدوه أمر منادياً فجمع الغنائم كلما فبدأ بالأسلاب فأعطاها لأهلها ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله وأمره من مصالح الإسلام ، وذات مرة أصاب غنيمة فأمر بلالاً فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم، فيخمسه ويقسمه ، فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر فقال رسول الله (ﷺ) : سمعت بلالاً نادى ثلاث قال نعم: قال: فما منعك أن يجيئ به؟ فاعتذر فقال : كن أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك"[5]، وكان (ﷺ) إذ لم يخرج وأرسل أو بعث سرية أوصي (ﷺ) الغازين بقوله "لا تغلوا" وسار صحبه الكرام في التشديد علي تجنبه فعله والنهي عنه فأوصى الصديق مثلا عمرو بن العاص عندما أرسله إلي الشام أميرا قائلا

---

[1] مالك فى الموطأ ٩٨٠، البخاري ٣٩٩٣،٦٣٢٩ ، مسلم ١١٥، ٢١٣.

[2] البخاري ٢٩٠٩.

[3] مسلم ١١٤.

[4] الموطأ ٩٧٨ أبو داود ٢٧١٠، ابن ماجة ٢٨٤٨ وأحمد ١٧٠٧٢، ٢١٧١٩.

[5] أحمد ٦٩٩٦ أبو داود ٢٧١٢ ، ابن حبان ٤٨٢٩،٤٢٥٨.

وتقدم في الغلول وعاقب عليه "أي انه نهاه عنه [1]كما أوصي رضوان الله عليه هو وخلفاؤه الكرام أمراءهم علي الجيوش الخارجة للجهاد والفتوحات الإسلامية بالتشديد في الغلول وانفاذ أمر الله فيهم واتباعاً لسنته (ﷺ) في ذلك فغالباً ما يقولوا "لاتغلوا " تذكرة لقادتهم بما فعل رسول الله(ﷺ)

****

هذا عن أخلاقيات المسلم المحارب في ذاته ،أخلاقيات ضبطت سلوكه أثناء المعارك وأحكمت تصرفاته في ساحات الوغي ووازنت بين متطلباته الدنيوية وآماله ورغباته في معاده وآخرته فلم يقولوا "ربنا آتنا في الدنيا "وتركوا الآخرة بل أخلاقياتهم أنبأت باليقين المبتغي من حروبهم وجهادهم فقالوا " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "[2] أخلاقيات جاهدوا بها في المعارك وجاهدوا بها أنفسهم حتى هداهم الله الي خير السبل للوصول إلي مرضاته قال تعالي " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"[3] تلك الاخلاقيات التي كانت لهم العضد الذي شدوا به في محن الحرب وحوالك ظروفها وعندما تزوغ الابصار وتبلغ القلوب الحناجر ،بها علت مكانتهم عند خالقهم وحق عليه سبحانه وتعالي عونهم ،فمنحهم الله تبارك وتعالي دائما مع قلة أعدادهم اكتاف أعدائهم نصره المبين قال تعالي وقال " إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "[4] وقال"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"[5]فمن عاش منهم عاش متمتعاً بالثواب والأجر الدنيوي من نصر وغنيمة فضلاً عما أدخره لهم من الثواب الجزيل في الآخرة و من مات منهم منح الشهادة من رب البرية التي كتب له بها جنة عرضها السموات والأرض بل في أعلاها و هو الفردوس الذي هو تحت عرش الرحمن و منه تفجر أنهار الجنة" تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

---

[1] ابن عساكر ١٢٩/١،كنز العمال١٤٠٩٥ .

[2] البقرة ٢٠١.

[3] العنكبوت ٦٩.

[4] آل عمران ١٦٠.

[5] محمد ٧.

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ "[1] وشملته رحمة الله وكرمه" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[2] وبهذه الأخلاقيات خاضوا حروباً نظيفة لم يتظالموا فيما بينهم لأنهم فى النهاية لا يبتغون عرض الدنيا بل ابتغوا ثواب الله فى الآخرة .

وقد ضرب لنا هؤلاء الأوائل المثل والقدوة فى التماسك والتراحم والمسارعة إلى داعي الله ونصرة دينه والصدق مع الله وإخلاص النية والحذر من أعداء الله وركوب الصعب والذلول من أجل نصرة دينه ودحر أعدائه والأخذ بكل السبل الشرعية ومكارم الأخلاق لتحقيق كل ذلك فهل نحن متبعون؟!

وأخيراً خاضوا حروبهم بهذه الأخلاق والتي سيرتهم على جادة الحق والصواب ولم يظلموا أعداءهم بأي وسيلة من الوسائل ظاهرة أو باطنة ، فراقبوا الله فى السر والعلن وعملوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم فى أولئك الأعداء ولم يبتغوا منهم ولهم إلا الهداية والإسلام وهذه النقطة وهي العلاقة بين المسلمين وأعدائهم فى الحرب تمهد للحديث فى الفصل التالى عن أخلاقيات المسلمين في الحرب المتعلقة بمعاملة أعدائهم .

---

[1] الصف١١-١٣.

[2] البقرة٢١٨ .

الفصل الرابع
أخلاقيات المسلمين مع الأعداء فى الحرب

١- الإنتصار للحق ورد البغى والعدوان.

٢- التمسك بدعوة الأعداء إلى الإسلام قبل اللقاء.

٣- إحترام الرسل وحسن معاملتهم.

٤- الموارة فى الحرب والحيلة مع الأعداء

٥- التيقظ والحذر من الأعداء.

٦- الشدة والغلظة مع المقاتلين والجواسيس .

٧- الاستقامة وتجنب المثلة والنهب.

٨- المسارعة إلى إجارة العدو وتأمينه .

٩- سلامة الصدور ومحبة السلام

١٠- الوفاء بالعهود والمواثيق للأعداء.

١١- الرحمةوالرفق.

١٢- الإصلاح وتجنب المفسدة.

١٣- الإحسان.

الفصل الرابع

أخلاقيات المسلمين مع الأعداء فى الحروب

١- الإنتصار للحق ورد البغى والعدوان:-

ذكرنا سابقاً فى أخلاقيات الأهداف والأسباب للحرب الإسلامية إن الدفاع عن النفس والرد على المعتدين كان أول أسباب الحرب المعلنة من جانب المسلمين على أعدائهم وذلك إتباعاً لوحي منزل من رب العالمين على سيد العالمين محمد بن عبد الله (ﷺ) ولذلك لا يتوقع ممن صدق وآمن بذلك الوحي واعتقده أن يأتي بعكسه فى حياته فلا يشعر بمرارة الظلم إلا ذاقه والتعدي إلا من أعتدى عليه وذاق غصصه فبادر المسلم ووطن نفسه لدفع هذا الظلم ورد هذه الاعتداءات انتصاراً لله تبارك وتعالى بنشر دينه وكسر شوكة المعتقدات الباطلة وإشاعة التوحيد بين الناس وضرب ماعداها ثم انتصاراً لرسوله (ﷺ) الذي كذبه العرب وقريش خاصة وآذوه فى نفسه كثيراً، ثم الانتصار لأنفسهم بعدما ظلموا ظلماً كبيراً فى الأنفس والأهل والأموال وأخرجوا من ديارهم ووطنهم وشردتهم قريش، ولما هيأ الله لهم وطناً آخر واستقروا به وصاروا فى مأمن هجمت عليهم قريش وحلفاؤها ظلماً وعدواناً وأرادت إبادة خضراءهم تجبراً واستبداداً ، لكل هذا شمروا عن ساعد الجد ووطنوا الأنفس ولبوا داعي الله فى الانتصار لما وقع عليهم من ظلم وعدوان متيقنين بنصر الله الموعود الذي وعده عباده المظلومين وكسرشوكة الباغين الظالمين قال تعالى" وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ "[١] " وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ "[٢]. إلا أنه فى الاستعداد لرد هذا الظلم والبغي حكم المسلمين خلقاً أخر إلا وهو عدم التعدي وتجنب الظلم لان المقصود وهو تأديب المجرمين المجترئين وفل حدهم وكسر شوكتهم.

ولهذا لم نجد فى حروب المسلمين جميعها من بدر إلى الآن حرباً ابتدأ فيها المسلمون الحرب والاعتداء ظلماً وطغياناً وتجبراً ، وذلك لما وقر فى قلوبهم وأفئدتهم من كراهية الإعتداء ومقت الظلم والطغيان ولم لا وقد أخبرهم ربهم بمغبة الاعتداء وعاقبة الظالمين الطاغين فقال جل فى علاه " وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ "[٢] وقال " إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ "[٤]، " سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ"[٣] "وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى

---

١ الشورى الآية ٣٩.
٢ الشورى ٤١ .
٣ البقرة ١٩٠.
٤ آل عمران ١٤٠ .
٥ آل عمران ١٥١.

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[1] وقال " أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[2] ، وبعداً عن الظلم والطغيان والاعتداء أطاعوا ربهم " الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[3] وتخلقوا بخلق نبيه (ﷺ) الذي كره الظلم والاعتداء ونهي أصحابه عنه فى سلم وفى حرب، فرغم ما عاناه رحمة الله للعالمين (ﷺ)من كفار قريش حتى هاجر إلى المدينة لم يبدأ بقتال ولم يعتدعليهم ولكنه(ﷺ) قام بغزواته رداً على اعتداءاتهم وكسراً لطغيانهم وتجبرهم وتسلطهم، وكذلك ليرفع الظلم عن المظلومين فى مكة وهذا من كبير مسئوليته – حتى لا يفتن أولئك المسلمون عن دينهم وذلك بوحي مباشر من الله تبارك وتعالى " وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا "[4] ، وهو القائل لأصحابه (ﷺ) "أتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة".[5]

وتأمل وصية رحمة الله للعالمين(ﷺ) لمعاذ بن جبل رضى الله عنه والذي روى قائلا "بعثني رسول الله (ﷺ) فقال : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله أفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياكم وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[6].

---

[1] المائدة ٢.

[2] التوبة ١٩.

[3] البقرة ١٩٤.

[4] النساء ٧٥.

[5] رواه مسلم ٢٥٧٨.

[6] البخاري ١٤٢٥، مسلم ١٩٠.

واتبع الخلفاء فى حروبهم مسلك الرسول الكريم (ﷺ) فى وصاة الأمراء بالحق والعدل وعـدم الاعتداء ولزوم الحق مثلما كان عمر بن الخطاب يعقد الألوية يقول : "بسم الله وبالله وعلـى عون الله أمضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بـالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "[1] وقال لسعد بن أبي وقاص ومـن معـه مـن الأجنـاد "لاتستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح"[2]

والواقع أن المسلمين ما إبتغوا إلا طريق العدل وعدم الاعتداء والتزموا وحـي الله لنبيـه مخاطباً إياهم فى الحديث القدسي "ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمـاً فلا تظالموا"[3] ، متخذين من الله ولياً ونصيراً بابتعادهم عن الظلم حتى لا يكونوا مع الذين قال الله فيهم" وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ "[4] والأدلة العملية للانتـصار للحـق وعـدم الاعتداء والظلم ستكون فى الخلق التالي وما يليه من أخلاقيات التزمها المسلمون مع أعدائهم.

٢- التمسك بدعوة الأعداء إلى الإسلام:-

أذن الله سبحانه وتعالى للمسلمين بالقتال وكتبه عليهم وهو كره لهم " كُتِبَ عَلَـيْكُمُ الْقِتَـالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ"[5]وهذه الآية تدلنا على أن المسلمين ما أرادوا الحرب ولم يكونـوا فـى حاجة لركوب صعابها ولا اتخذوها سبيلاً لدنيا بل بينت لنا الآية كراهيتهم للقتال ولكـن لمـا فرضها الله عليهم وعلموا أن كراهية الشيء دليل على الخيرية بل أنبأهم الله تبارك وتعالى أن الخير به ربما تكمن فى ما يكرهه الإنسان ، لذا لما فرض الله عليهم القتـال أتـوه طواعيـة وطاعة لله تبارك وتعالى وعلموا أن الوصول إلى رد الظلم وصد العـدوان لا يكـون إلا عـن طريقها ، فخرجوا مستعدين جهاداً فى سبيله وابتغاء مرضاته ، دحـراً للظلـم ودرءاً للفتنـة ويكون الدين لله وحده خالصاً " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَـلاَ

---

[1] ابن عبد ربه ١/١١٨-١١٩.

[2] المصدر السابق ١٢٠.

[3] رواه مسلم ٢٥٧٧ والبيهقي فى السنن الكبرى رقم ١١٢٨٣.

[4] الشورى ٨.

[5] البقرة ٢١٦.

عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ"[1] ولأن الغاية العظمى والهدف الأسمى لأولئك المجاهدين كان الدين ونشر الدعوة وتبليغ الرسالة وهداية البشر فإنهم خاضوا معاركهم وحروبهم به وله، وفى هذا السبيل نجد الدعوة إلى الله قبل الحرب وأثناء الحرب وبعدها أما أثناء الحروب وبعدها فكان سلوك المسلم الفرد والقائد والأمير هو دعوة فى حد ذاته للإسلام، وهو ما سيتضح لنا خلال عرض لأخلاقيات المسلم الأخرى تجاه محاربيه ولكن حتى يتجنب المسلم الحروب وإراقة الدماء وازدياد العداء كان يسلك أولاً سبيل الدعوة بالحكمة والموعظة وقدوتهم فى ذلك نبي الرحمة ورسول السلام محمد بن عبد الله (ﷺ)الذين بين لهم أنه ما جاء بالحرب وللحرب وإنما جاء بالسلام وللسلام إذ قال (ﷺ) لعمرو بن مرة الجهني "أنا النبي إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده ورفض الأصنام وحج البيت وصيام شهر رمضان، فمن أجاب دخل الجنة ومن عصى فله النار"[2]

وصار (ﷺ) على هذا المنهج من دعوة الأعداء إلى الإسلام قبل الحرب فإن لم يستجيبوا فالحرب ، ثم بعد أن فرضت الجزية صار الكفار والمشركين من أهل الكتاب بين ثلاثة اختيارات يعرضها الرسول (ﷺ) قبل الحرب وهي الإسلام والجزية والحرب ، ولذا نجده (ﷺ)يوصى الأمير يأمره على سرية أو بعث قائلاً "إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وأدعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبو فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم فإن هموا أبو فاستعن بالله وقاتلهم[3].

وحقق أصحابه الكرام وصاياه (ﷺ) فى ذلك ونستشهد هنا ببعث كعب بن زهير الغفاري الذي أرسله (ﷺ)خمسة عشر رجلاً إلى بلاد الشام منها فانتهوا إلى ذات أطلاع على أطرافها فوجدوا فيها جمعاً كثيراً ، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم بل اقبلوا على رشقهم بالنبال ، فلما

---

[1] البقرة ١٩٣.

[2] مجمع الزوائد ١٣٩٠٩ ، كنز العمال ٣٧٢٩٣.

[3] راجع مسلم ١٧٣١، سنن أبى داود ٢٦١٢ ، سنن الترمذي ١٦١٧ ، سنن ابن ماجة ٢٨٥٨، مسند أحمد ٢٣٠٢٨ وغيرهم .

رأى ذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا إلا جريح واحد استطاع العودة إلى الرسول (ﷺ).[1]

وإذا كان المصطفى (ﷺ) قد حقق الدعوة إلى الإسلام والتعذير قبل الحرب فى حياته فإن صحبه الكرام ومن تولى أمر المسلمين بعده اتبع هديه (ﷺ) فى ذلك وتخلق المسلمون بهذا الخلق وطبقوه فى كل حروبهم ووقائعهم لنشر الإسلام بين من حاربه وصد عنه وذلك لأنهم تخرجوا فى مدرسة الرسول (ﷺ) وتربوا على أخلاقه لذا لم يكونوا طلاب دنيا ولا سفاكي دماء ولا عاشقي قتل ولا مسلطي سيوف على رقاب العالمين ظلماً وعدواناً واستعلاء، ولافارضين لدينهم على أحد وإنما كانوا دعاة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة كصاحبهم (ﷺ) الداعي الحكيم.

فسار الصديق على نهج الرسول الكريم فى ذلك فلما أرسل الصديق جنود الشام أوصى أمراءهم قائلاً "فإذا لقيتم المشركين – إن شاء الله – فأدعوهم إلى ثلاث فإن هم أجابوكم فاقبلوا عنهم وكفوا منهم وكفوا عنهم: ادعوهم إلى الإسلام فإن هم أجابوكم فأقبلوا منهم وكفوا عنهم ... فإن هم أبوا أن يدخلوا فى الإسلام فادعوهم إلى الجزية فإن هم فعلوا فأقبلوا منهم وكفوا عنهم وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله"[2]

وهذا الفاروق أرسل سلمة بن قيس الأشجعي فى قتال وكان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه وأوصاه قائلاً "سر باسم الله فقاتل فى سبيل الله من كفر بالله، فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فأدعوهم إلى ثلاث خصال : أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم فى أموالهم الزكاة وليس لهم فى فئ المسلمين نصيب وإن اختاروا أن يكونوا معكم لهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم فإن أبوا فأدعوهم إلى الخراج، فإن أبوا فقاتلوهم فإن الله ناصركم عليهم"[3]

وكتب خالد بن الوليد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام : بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران وملأ فارس سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنا ندعوكم إلى الإسلام فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبون القتل

---

[1] كنز العمال ٣٠٢٩٨.

[2] البهيقي ١٧٩٠٤ ، كنز العمال ١١٤٠٨.

[3] ابن جرير ٣/٢٦٠.

فى سبيل الله كما تحب فارس الخمر والسلام على من أتبع الهدى"[1] وكتب إلى هرمز صاحب ثغر فارس ، أما بعد فأسلم تسلم أو أعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"[2]

روى الطبري[3] أن خالد نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس الطائي وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال له خالد ولأصحابه، أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم أنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم فقال له قبيصة : ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية فصالحهم على تسعين ألف درهم" ، وروى الترمذي وغيره[4] أن جيشاً من جيوش المسلمين فى عهد سيدنا عمر كان أميرهم سلمان الفارسي رضى الله عنه، فحاصروا قصراً من قصور فارس فقالوا : يا أبا عبد الله ألا ننهد إليهم؟قال رضى الله عنه دعوني أدعوهم كما سمعت رسول الله (ﷺ)يدعوهم فقال لهم : أنا رجل منكم فارسى أترون العرب تطيعني فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه وأعطيتمونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ورطن إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين ، وإن أبيتم نابذناكم على سواء فقال ما نحن بالذي نؤمن ولا نحن بالذي نعطى الجزية ولكن نقاتلكم ، قالوا : يا أبا عبد الله ألا ننهد إليهم؟ فنهدوا إليهم قال ففتحوا ذلك الحصن".

وتأمل معي أخي القارئ كيف عضوا بالنواجز على سنة رسول الله (ﷺ) فى الدعوة بالحكمة والموعظة ، وفيما قيل من أحاديث لرءوس الكفر والضلال ما لوسمعه الجماد لتحرك ولو نزلت على صدور ذوي أحاسيس لأرهفته وثابت إلى الرشد والصواب واستجابت لدعاة الله المخلصين ولكن الله يهدي من يشاء نقول تأمل دعوة أصحاب سعد بن أبي وقاص لرستم قبيل القادسية "فيروى أنه لما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد رضى الله عنه طالباً للصلح على أن يأخذ المسلمون أموالاً وجعلاً يجعلهم لهم فقال أولهم ويدعى زهرة وكان قد قدمه سعد إلى

---

[1] مجمع الزوائد ٩٥٩٥ ، مصنف ابن أبي شيبة ٣٣٧٢٣.، الطبرى ٥٧١/٢.

[2] ابن جرير ٥٥٤/٢.

[3] المصدر السابق ٥٥١-٥٥٢.

[4] سننه١٥٤٨ ،حلية الأولياء٣٢/٣.

القادسية "إنا لم نأت لطلب الدنيا وإنما طلبتنا وهمتنا الآخرة ...وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى"[1] فتدارس رستم عرض زهرة ثم أرسل إلى سعد يطلب رجلاً آخر يكلمه فأرسل سعد ربعي بن عامر وقصته معلومة مشهورة مع رستم ولكنا هنا نأتي بما يوضح كيفية الدعوة والتعزيز للفرس من المجوس فلما سأله رستم قال له ما جاء بكم قال له ربعي بما ينم عن فهم عميق للرسالة المنوطة بهم إبلاغها إلى العالمين وتخرس ألسنة المدعين والمتقولين يقول ربعي "الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا قبلناه . ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله" فاستمهله رستم ثلاثة أيام وقال له اختر واحدة من ثلاث : الإسلام أو الجزية أو المناجزة، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا[2]" ولما أصبح رستم أرسل إلى سعد يطلب رجلا آخر فأرسل إليه حذيفة ين محصن ثم أردفه بالمغيرة بن شعبة فى اليوم الذي يليه بناء على طلب رستم وكليهما أكد على كلام ربعي بن عامر[3] ومد سعد حبال الصبر فى الدعوة مع رستم فأرسل إليه سته نفر جاءوه وكلموه منهين المفاوضات والدعوة معه بسبب كبره وعناده هو ودهاقنته وثرثرته العقيمة قائلين بما يوضح كنه الدعوة وما يريده الفاتحون المجاهدون "فوالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم ولقتالكم بعد أحب إلينا من صلحكم"[4].

وهاكم دعوة عمرو بن العاص لأهل مصر وتطبيقه السنة النبوية كما عايشوها ولم يحيدوا عنها قيد أنملة ، فلما وصل إلى بابليون أخرج إليه المقوقس أبو مريم جاثليق مصر "رئيس النصارى" ومعه الأسقف أبو مريام ومعهم جيش لا يريدون إلا القتال ومنع المسلمين من البلاد فلما نزل بهم عمرو بدأوه بالقتال فأرسل رضوان الله عليه إليهم يقول : لا تعجلونا لنعذر إليكم وترون رأيكم بعد، فكفوا أصحابكم وأرسل إليهم عمرو : إني بارز فليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام فأجابوه إلى ذلك وأمن بعضهم بعضاً فقال لهم عمرو : أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا إن الله عز وجل بعث محمد (ﷺ) بالحق وأمره به وأمرنا به محمد (ﷺ) وأدى إلينا كل الذي أمر

---

[1] الطبري : تاريخه ٣٢/٢ .

[2] الطبرى ٣٤/٣ -٣٥ .

[3] المصدر السابق صـ٣٥ وما بعدها.

[4] راجع المصدر السابق صـ٤١.

به ثم مضى ، صلوات الله عليه ورحمته – وقد قضى الذي عليه وتركنا على الواضحة وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم وإن لكم إن اجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ، ومما عهد إلينا أميرنا "أستوصوا بالقبطيين خيراً لأن لهم رحم وذمة فقالوا لعمرو: أمنا حتى نرجع إليك فقال لهم إن مثلي لا يخدع ولكن أوجلكما ثلاثا لتنظروا ولتناظروا فوقكما وإلا ناجزتكم قالا : زدنا ، فزادهم يوماً قالوا زدنا فزادهم يوم فرجعا إلى المقوقس فهم أن يقبل الصلح فأبى أرطبون الفار من الشام وأصر على المناهدة والحرب فتم ذلك وأتم الله على المسلمين فتح الحصن ومصر كلها بعد ذلك.[1]

لا أدري ما أقول بعد كل هذا للذين يفترون على المسلمين الكذب ويقولون إنهم ما فتحوا البلدان إلا بحد السيف معتدين لا منذرين ولا معذرين ويروجون مقولة انتشار الإسلام بحد السيف ظلماً وبهتاناً لا عن دراسة علمية منصفة بل ميل إلى هوى فى النفوس وكيداً للإسلام وأهله ولو تشدق أحدهم بما أمر به الرسول (ﷺ) وصحبه الكرام باستعمال الغلظة والشدة فى الحرب والقتال نقول لهم خلطتم الأوراق وما قصدتم إلا إلصاق التهم والتشكيك فى الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام وأرد عليكم بأنني سأسطرها هنا أى صفة الشدة والغلظة أنها خلقاً إسلامياً بل اعتبره من أعلى مكارم الأخلاق عند الرسول وصحبه الكرام لأنهم تأدبوا بآداب القرآن وسلوكياته وحفظوا عهدهم مع الله من التمسك بالقوة والشدة ليس مع الكفار والمشركين كافة ولكن مع أهل الحرب والقتال منهم خاصة كما سابين بإذنه ومشيئته .

٣- احترام الرسل وحسن معاملتهم:-

مما يوثر عن الرسول الكريم (ﷺ) فى حياته الأولى بمكة أنه ما آتاه أحد من رسل قريش عارضاً عليه الإغراءات المادية والمعنوية وأساء إليه بل كان (ﷺ) يسمع منهم حتى آخر كلامهم ويناديهم بأحسن الألقاب والأسماء إليهم ويرد عليهم الرد الحسن الجميل ويدعوهم أخيراً إلى الإسلام رجاء هدايتهم وما ألزمهم بذلك وما غلظ عليهم فى قبوله.

[1] تاريخ الطبرى ١٩٧/٣ –١٩٨ ، البداية ١١٢/٧-١١٣.

كل هذا رغم ما عاناه منهم وتحمل من أذاهم لأنه صاحب القلب الرؤوف الرحيم كما قال ربه عنه "لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [1] وكان رحمة الله للعالمين حليماً صبوراً على من يأتيه منهم لاثنائه عن دعوته رغم إساءة الأدب منهم في جل أحوالهم معه ولنأخذ مثلاً تطبيقياً على ذلك عندما أتاه أبو الوليد عتبة بن ربيعة مرسلاً من قبل قريش قائلاً يا محمد (هكذا) أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله (ﷺ) فقال أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت الرسول (ﷺ) قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك – وتأمل سوء الأدب وفظاظة الخطاب والله ما رأينا سخلة "الوليد الصغير" قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً وأن في قريش كاهناً والله ما ننتظر إلا صيحة الحبلي أن يقوم بعضنا على بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل إن كان نما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان بك الباه فأختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً فقال رسول الله (ﷺ) ، فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، فقرأ عليه (ﷺ) بسم الله الرحمن الرحيم "حم تنزيل من الرحمن الرحيم أوائل سورة فصلت حتى وصل (ﷺ) إلى قوله تعالى " فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ"[2] فقال عتبة حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا قال له فأنت وذاك ثم قام إلى أصحابه فقال لهم يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ فإن نصبه العرب فقد كفيتموه نعيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد به ، هذا رأى لكم فاصنعوا ما بدا لكم.[3]

وفي حروبهم مع الكفار والمشركين ما أساء (ﷺ) قط إلى رسلهم وهم على عداوته، فلا يهيجهم ولا يقتلهم فلما قدم عليه رسولا مسليمة الكذاب الذي كما تعلمون كذب الرسول (ﷺ)

---

[1] التوبة ١٢٨.

[2] سورة فصلت آية ١٣.

[3] سيرة ابن هشام ٢٢١/١ ، سيرة ابن كثير ٥٠٢/١-٥٠٤ ، البداية ٨٠/٣-٨٢، السيرة الحلبية ٤٨٦/١ - ٤٨٧.

وأفحش له القول والخطاب ووصفه بالظلم، ولما قرأ الكتاب (ﷺ) قال لهما : فما تقولان أنتما؟ قالا نقول كما قال فقال رسول الله (ﷺ) "لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"[1]

فجرت سنة ألا يقتل رسول كما يقول ابن القيم[2] ، وكان من سنته أيضاً ألا يحبس المسلمون رسولاً كما فعل (ﷺ) خاصة إذا اختار دين الإسلام بعد ما يعرض عليه فلا يمنع باللحاق بقومه ويرد إليهم فقد أخرج أبو داود وأحمد[3] من حديث أبى رافع قال : بعثتني قريش إلى رسول الله (ﷺ) فلما أتيته وقع فى قلبي الإسلام فقلت يا رسول الله لا أرجع إليهم فقال "إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد أرجع إليهم فإن كان فى قلبك الذي فيه الآن فأرجع" وخاصة أنه كان معقوداً بينه وبين قريش صلح الحديبية ولكن قوله (ﷺ) لا أحبس البرد إشعاراً بأن هذا الحكم يختص الرسل مطلقاً وكما رأيناه (ﷺ) لم يتعرض لرسولي مسيلمة الكذاب وقد قالا له فى وجهه نشهد أن مسيلمة رسول الله .

ولكن انظر إلى أعدائه من كفار قريش والجزيرة ومن الفرس وغيرهم ومعاملتهم لرسله، فلما أرسل (ﷺ) عثمان بن عفان ليتفاوض مع قريش ليدخل المسلمون مكة لآداء العمرة وما جاء (ﷺ) لحرب وإنما أتى زائراً للبيت معظماً لحرمته والرسول قد حط رحاله فى الحديبية حبسته قريش حتى ظن المسلمون أنهم قد قتلوه وقال حينها الصديق رضوان الله عليه : لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا رسول الله (ﷺ) إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.[4]

وهذا المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق لم يأخذ كتاب رسول الله (ﷺ) المرسل مع شجاع بن وهب الأسدي فتقدم وهب كي يؤدي وفادته ورسالته فقرأه عليه فقال له المنذر ومن ينزع ملكي مني؟ إني سأسير إليه"[5] وهذا كسرى فارس عندما أتاه رسول الله (ﷺ) وقرأ كتابه غضب وصاح ومزق الكتاب وأمر برسول رسول الله (ﷺ) فطرد وأخرج،

---

[1] أبو داود ٢٧٦١ ،المستدرك ٤٣٧٧ ، راجعه بألفاظ أخرى عند أحمد ٣٧٦١ ، البيهقي ١٨٥٥٦.

[2] زاد المعاد ١٣٩/٣.

[3] السنن ٢٧٥٨ ، المسند ٢٣٦٠٨.

[4] سيرة ابن هشام ٢٠٢/٣ ، تاريخ الطبرى٢٧٩/٢ ،البداية ١٩١/٤،عيون الأثر١١٩/٢، سبل الهدى ٤٨/٥ ، الروض ٦٤/٧ .

[5] تاريخ الطبرى ٢٩٣/٢-٢٩٤ ، البداية ٣٠٥/٤ ، السيرة الحلبية ٣٠٤/٣ -٣٠٥.

وثار ثورته وأظهر تجبره وطغيانه[1] وأرسل إلى عاملة على بلاد اليمن أن يتقبض على هـذا الرجل يعني لرسول الله ويأتيه به فأرسل باذان عامله على اليمن رسولين إلى رسول الله فقال أحدهم لرسول الله (ﷺ): شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذم (باذان) يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك وإن أبيت فهو مهلكك ومهلك وقومك ومخرب بلادك[2]؟ بهذا الكلام الذي لا يـشتم من وراءه إلا الجبروت والطغيان والاذلال للبشر تحدثا مع خير خلق الله وكان من السهل على رسول الله (ﷺ) أن يحبسهما أو يأمر أصحابه بقتلهما لو أراد ولكن رحمة الله للعـالمين قـال لهما أرجعا حتى تأتياني غداً فأعلمه ربه أنه سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى شهر كذا وكذا فى ليلة كذا وكذا من الليل وإن دعوته بتمزيق الله ملكه كما مزق الكتاب قد استجيبت فيه فلما أتياه أعلمهما بذلك فلم يصدقا وقالا هل تدري ما تقول؟ إنا نقمنا عليك ما هو أيسر مـن هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذم؟ قال : نعم أخبـره ذاك عنـي وقـولا لـه: إن دينـي وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي إلى الخف والحافر[3] وأطلقهما (ﷺ) فحملهما رسـالة شفهية إلى باذان يدعوه فيها إلى الإسلام ويملكه ما تحت يده إن أجاب فاستجاب ودخل ومـن معه من الأبناء فى اليمن الإسلام[4] .

ليضرب الرسول الكريم (ﷺ) لأصحابه المثل الأعلى فى معاملة رسل الأعداء ويترك لهم هدياً يسيرون عليه فى معاملاتهم مع أعدائهم إلى يوم تقوم الساعة وما علمنا فى تاريخيا الإسلامي أن رسلاً قد أهينت أو أن سفارة قد أوذيت بل كان يلقى من جانب الخلفاء والأمراء كل الاحترام والإكرام وحسن الضيافة.

٤- الموارأة والحيلة مع الأعداء:-

خلق أكتسبه المسلمون من رسول الله (ﷺ) والذي إذا أراد غزوة من الغزوات وارى بغيرها . فيقول مثلاً إذا أراد غزوة حنين ، كيف طريق نجد ومياهها ومن بها من العدو ونحو ذلك[5].

---

[1] راجع ما سبق صـ٢٩-٣٠ من البحث.

[2] تاريخ الطبرى ٢٩٦/٢ البداية ٣٠٧/٤.

[3] تاريخ الطبرى ٢٩٧/٢ ، البداية ٣٠٧/٤ .

[4] تاريخ الطبرى ٤٨٠/٢ ، سيرة ابن كثير ٤٩/١ ، البداية ٢٢٦/٢ -٢٢٧ ، سبل الهدى ٣٣٨/١١ .

[5] يراجع فى هذا البخاري ، ٢٧٨٨ ، ٤١٥٦ ، ٢٧٨٧ ، مسلم ٢٧٦٩ ، ٥٤ من حديث كعب بن مالك.

وكان (ﷺ) يقول "الحرب خدعة"[1] وفى الحديث التحريض على أخذ الحذر فـى الحـرب والندب إلى خداع العدو وإن لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه[2] وذلك لكون الكفار فى أصلهم خائنين غدارين كما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله قـال عـز وجـل " وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"[3] وقال " وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ"[4] وقال أيـضاً " وَإِن يُرِيـدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ"[5] وقال " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ"[6] ، والمسلم كان فى ذلك ذكياً يقظاً يتوخى الحـذر وإن وقع فى شراك الخداع بنفسه خرج منه بذكائه ، ومن ذلك ما روى عن عمرو بن العاص لمـا فتح مدينة قيسارية بالشام سار حتى نزل غزة فبعث إليه علجها أن أبعـث إلـى رجـلاً مـن أصحابك أكلمه ففكر عمرو وقال ما لهذا غيري فخرج حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع بمثله قط فقال العلج: حدثني هل فى أصحابك أحد مثلك؟قال لا تسأل عن هذا إني هين عليهم إذ بعثوا بي إليك وعرضوني لما عرضوني له، ولا يدرون ما تصنع بي؟ قال فأمر لـه بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب: إذا مربك فأضرب عنقه وخذ ما معه فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه فقال : يا عمرو ، قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج. ففطـن عمرو لما أراده ، فرجع فقال له الملك : ما ردك إلينا ؟ قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عـشرة خيراً من أن يكون عند واحد. فقال : صدقت ، أعجل بهم. وبعث إلى البواب أن خـل سـبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمن، قال : لا عدت لمثلها أبداً[7]. وما فعله عمرو هذا مع

---

[1] البخاري ٢٨٦٥ ،٢٨٦٦ ، ٣٤١٥ ، ٦٥٣١... إلخ ، ومسلم ١٧٣٩.

[2] الشوكاني : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ٧/٢٣٥.

[3] سورة الأنفال ٧١.

[4] سورة الأنفال ٥٨.

[5] سورة الأنفال ٦٢.

[6] سورة الحج ٣٨.

[7] ابن عبد ربه : العقد ١/ ١١٦.

العلج من كذبه عليه مباح شرعاً وذلك لأنه فى حالة حرب مع الروم بالشام فيروى عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: لم أسمع النبي (ﷺ) يرخص فى شيء من الكذب مما يقول الناس إلا فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل إمرأته وحديث المرأة زوجها.[١]

ولا شك أن عمرو كان يعلم ما فعله الصحابي الجليل الذي قتل كعب بن الأشرف اليهودي وهو محمد بن مسلمة الذي سمع الرسول (ﷺ) يقول : من لكعب بن الأشرف فقد أذى الله ورسوله ، فقال أتحب أن أقتله يارسول الله ؟ قال نعم قال ما فأذن لي فأقول فإذن له رسول الله أن يتقول عليه كذباً، فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله[٢].

ولأن الحرب خدعة وقطبها المكر ومدارها الاجتهاد من أجل النصر والتأييد والظفر والتوفيق فإن الرسول (ﷺ)اجتهد فى الوسائل من أجل الكيد للكافرين وكسب المعارك منها غير المواراة والكذب إتخاذ المخذلين الذين يوقعون بين الأعداء المتحالفين المعتدين والمتسلطين ومن هؤلاء نعيم بن مسعود الأشجعي الذي شتت الأحزاب وذلك أنه أسلم وقومه لا يعلمون فأتى رسول الله (ﷺ)وقال له لما رأى الحصار مرني بما شئت فقال له رسول الله (ﷺ) إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة" فقام نعيم حتى تخاذل الأعداء من قريش وحلفائها مع بني قريظة اليهود حلفائهم من أهل المدينة الذين نقضوا العهد مع رسول الله (ﷺ) وأوقع الله بينهما العداوة والبغضاء بفعل نعيم بن مسعود حتى جاءت جنود الله وانتهت الموقف لصالح المسلمين[٣].

٥- التيقظ للعدو والحذر من الأعداء:

خلق حربي اكتسبه المسلمون من الكتاب العزيز وسنة النبي (ﷺ) فى ذلك ،والقرآن كثيراً ماكرر "خذوا حذركم[٤]" واتخذ النبي (ﷺ) الوسائل اللازمة لذلك فكان (ﷺ) يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه ويطلع الطلائع ويبيت الحرس[٥].والأمثلة كثيرة فى سيرته العطرة وثابته عنه (ﷺ) وذلك فى سبيل إنجاح الدعوة ونشرها والوصول إلى التمكين فى الأرض وتحقيق موعود الله لا

---

[١] مسلم ٢٦٠٥، أبو داود ٤٩٢١.

[٢] البخاري ٣٨١١، مسلم ١٨٠١، أبو داود ٢٧٦٨.

[٣] كنز العمال ٣٠١١٦،عيون الأثر٢/٤٢-٤٣.

[٤] النساء ٧١ ، ١٠٢.

[٥] زاد المعاد ٣/ ٩٦.

من أجل غنيمة أو متاع دنيوي فكثيراً ما كان يرسل العيــون والمستكــشفين لأمــر الأعــداء وتحسس أخبارهم ، فقد أرسل (ﷺ) الصحابيين الجليلين طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى بلاد الشام ليتحسسا أخبار عير قريش مع أبي سفيان بن حرب فأقام الصحابيان في الحــوراء على أطراف الشام ومكثا بها حتى مرت العير فأسرعا إلى المدينــة وأبلاغــا الرســول (ﷺ) فاستعد الرسول (ﷺ) وجهز صحبه لملاقاة هذه العير قائلاً لهم: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله أن ينفلكموها[1] ، ولم يكن يتوقع عند هذا الانتداب لأصحابه الحرب والصدام مع قريش ورغم نجاة العير إلا أن قريش صممت على الحرب علوا واستطالة وخرجت من مكة بقدها وقديدها، عندئذ أرسل (ﷺ) من يستخبر أمرهم وأحوالهم ثم لما جاءته الاستخبارات هو بوادي ذفران بخروجها، تقدم إلى بدر ثم قام هو والصديق بعملية استكشاف واستخبار لأمــر المشركين إذ هما بشيخ من العرب فسألاه عن خروج قريش فعلم منــه الرســول (ﷺ) أنهــم خرجوا يوم كذا وكذا فقال(ﷺ)لإن صدقني الذي أخبرني فهم اليوم فى مكان كذا[2] ثــم أرســل (ﷺ)عيونه من جديد لتحري أخبار قريش وحلفائها من المشركين وانتدب لــذلك ثلاثــة مــن الصحابة الكرام وهم الإمام علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فذهبوا إلى ماء بدر فوجدوا غلامين يستقيان لجيش مكة فقبضوا عليهما وجاءوا بهما لرســـول الله (ﷺ) فاستخبرهما فعلم أن قريش وراء الكثيب بالعدوة القصوى وأن عددهم ما بين التسعمائة والألف وأن فيهم أشراف مكة كلهم إلا أبي لهب[3]، ومن هنا أخذ (ﷺ) أهبته للحرب واستعد لها وأخذ بالأسباب مخططاً للمعركة فالتقى الجمعان فمن الله عليه النصر على المشركين ببدر وفي غزوة ذي أمر نقلت إليه عيونه (ﷺ) أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبــة ومحــارب تجمعــوا يريدون الإغارة على المدينة فندب إليهم (ﷺ) من فرق جمعهم[4] وعلى أثر غزوة بدر فى العام التالي (٣هــ) أرادت قريش الانتقام والأخذ بثأرها فاستعدت لجولة أخرى وتحرك جيشها مــن

---

[1] سيرة ابن كثير ٣٨١/٢، تاريخ الطبرى ١٣٥/٤ ، البداية ٣١٣/٣ ، السيرة الحلبية ٢٣٧٥،عيون الأثر٢٣٦/١-٢٢٧.

[2] سيرة ابن هشام ١٨٤/٢ سيرة ابن كثير ٢٩٦/٢ ، تاريخ الطبرى ١٤١/٢ ، البداية ٣٢٣/٣ ، عيون الأثر٣٢٩/١سبل الهدى ٢٧/٤ . الروض الأنف ٧٣/٥.

[3] سيرة ابن هشام ١٨٤/٢ : تاريخ الطبرى ١٤٢/٢ ، سبل الهدى ٢٧/٤ .

[4] سيرة ابن كثير ٣/٣، البداية ٣/٤.

مكة، ولكن الاستخبارات النبوية كشفت حركتهم ، إذ كان العباس بن عبد المطلب، وكان قد أسلم وأمره الرسول بعدم الهجرة من مكة إلى المدينة لأن مقامه بها خير للمسلمين[1] يرصد تحركاتهم ويرقب استعداداتهم العسكرية ، فبعث آنذاك برسالة سريعة إلى النبي (ﷺ) مفصل فيها كل أخبارهم مرسلاً إياها على وجه السرعة فسلمت الرسالة له (ﷺ) وهو في مسجد قباء[2] ومن هنا أخذ الرسول (ﷺ) حذره واستعد لمقابلة القوم.

ولما كان لمأساة أحد من أثر سيئ على جماعة المسلمين لما فعلته الدعاية الكاذبة لقريش وحلفائها في نفوس الأعراب المحيطين بالمدينة فجعلتهم يتجرأون على المسلمين بعد إعلان تحالفهم مع قريش بل واستعدوا للاغارة على المدينة ، لكن عيونه واستخباراته (ﷺ) أتته بأخبار هؤلاء الأعراب واستعداداتهم[3] ، فندب الرسول (ﷺ) الصحابة في بعوث وسرايا فرقت جمعوهم وعادت كلها سالمة غانمة.

وروى عن جابر قال : قال رسول الله (ﷺ) يوم االأحزاب : من يأتيني بخبر القوم؟ فقال الزبير : أنا يا رسول الله ثم قال (ﷺ): من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا ثم قال (ﷺ): من يأتيني بخبر القوم قال الزبير أنا فقال النبي (ﷺ) لكل نبي حواري وحواري النبي الزبير[4]. وفي ذات الغزوة بعث النبي (ﷺ) حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ليلاً لينظر ما فعل القوم أي قريش وغطفان[5].

هكذا كان (ﷺ)في حروبه وغزواته يرسل العيون والطلائع من الأفراد والجماعات يستطلع بها أخبار العدو ليأمنهم وغدرهم على نفسه وأصحابه، بل إمعاناً منه(ﷺ) في الحذر وخشيه على عسكره وحرصا على معرفة أخبار الأعداء ليتم الاستعداد ويخطط تخطيطاً سليماً كان(ﷺ) يرسل أحد أصحابه يدخل بين أعدائه ليتعرف أخبارهم دقها وجلها كما حدث قبلاً في غزوة حنين إذ أتته عيونه بأخبار خروج ثقيف وهوازن وأحلافهم انتدب عبد الله بن أبي حدرد

---

[1] الدلالات السمعية صـ٤٧٣، عيون الأثر ٤٠٦/١.

[2] راجع الرحيق المختوم صـ٢٣٩ – ٢٤٠.

[3] راجع الرحيق المختوم صـ٢٨٠.

[4] البخاري ٢٦٩١، ٣٨٨٧ ، ابن ماجة ١٢٢ ، أحمد ١٤٩٧٨،عيون الأثر ٤٥/٢.

[5] سيرة ابن هشام١٤٠/٣،عيون الأثر ٤٥/٢ الطبقات ٦٩/٢.

الأسلمي فأمره بالخروج وأن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ويأتيـه بخبـرهم ، ففعل وأقبل على رسول الله (ﷺ) فأخبر الخبر[1].

ومن الوسائل التي اتخذها الرسول (ﷺ) يقظة وحـذراً مـن العـدو هـو الحراسـة ، فقـد كـان(ﷺ)يحرس لشخصيته لكونه (ﷺ) قائد هذه الأمة ونبي الرسالة ورئيس جماعة المسلمين والأعداء من كفار قريش يترصدونه هو بالذات لكونه (ﷺ)المخطط والمدبر والموجه والمنظم للمسلمين وجيشهم كأمير حرب. ولذا حرس الرسول (ﷺ) فى المدينة ولم يأمر أحداً بذلك بـل تمنى أن يحرسه أحد من أصحابه ، فهيأ الله له سعد بن أبي وقاص، فحرسه فدعا لـه النبـي فكان أول حراسه (ﷺ)[2] ثم حرسه يوم بدر نفر من الصحابة الكرام من الأنصار وعلى رأسهم سعد بن معاذ الذي كان قائماً على باب العريش الذي أقاموه (ﷺ)، متوشحاً الـسيف بحـرس الرسـول (ﷺ) خوفاً عليه كرة العدو[3] ومر بنا شجاعة الصديق فى هذا الموقف كما حرسـه (ﷺ)أبو أيوب الانصاري فى غزوة خيبر، عندما أعرس بصفية بنت حيى بن أخطب وكان قـد خاف عليه صَفيَة لأنها كما قال للرسول (ﷺ) : خفت عليك هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلـت أباها وزوجها وَقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك فقال له: الرسـول (ﷺ): اللهـم أحفظ أبا أيوب كما بات يحفظني[4] وقام بحراسة قبته يوم الخندق عباد بن بـشر رضـى الله عنه[5]. وقام بحراسته بمكة سيدنا عمر بن الخطاب وهو يصلى بالحجر ويقوم بالسيف علـى رأسه بالسيف حتى يصلي[6]. وظل الصحابة رضوان الله عليهم يتعاقبون حراسته حتى نزلت " وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـافِرِينَ"[7] فقـال الرسـول (ﷺ) لهـم ، أنصرفوا يأيها الناس فقد عصمني الله "

---

[1] سيرة ابن كثير ٦١٣/٣ ، ٦٢٥ ، البداية ٣٧٠، ٣٧٧ ، سبل الهدى ٣١٣ ، الدلالات السمعية ٤٦٥.

[2] راجع ما سبق صـــ ٥٧ من البحث.

[3] الدلالات السمعية ٤٥٢.

[4] سيرة ابن هشام صــ٢١٩ ، الدلالات السمعية ٤٥٣ ، بلفظ آخر كنز ٣٧٨٠٨ ، المستدرك ٦٧٨٧ .

[5] الطبقات ٦٧/٢.

[6] الدلالات السمعية ٤٥٣.

[7] المائدة ٦٧.

أما بالنسبة للحراسة فى المعارك وميادين القتال فقد بدأ ذلك أيضاً مبكراً فبعد الهجرة الشريفة إلى المدينة لم يكف المشركون عن أذى النبي وأصحابه فقصدوا الرسول لشخصه خاصة والمسلمون كافة لما استكثروا عليهم الأمن والأمان، لذا كادوا للمسلمين واتصلوا بالمنافقين وهددوا المسلمين قائلين" ستأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم فى عقرداركم" ولذا نجد الخطر عاما على المسلمين فكان المسلمون على يقظة تامة فيقول أبي بن كعب وكانوا _ أي المسلمين لا يبتون إلا فى السلاح ولا يصحون إلا فيه[1]. أما بعد خروج النبي وأصحابه من الغزوات فقد كانوا يتحارسون فى المعسكر فيذكر فى السيرة [2]عن جابر بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله (ﷺ) فى غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله قافلاً أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف ألاينتهي حتى يهريق فى أصحاب محمد (ﷺ) فخرج يتبع أثر الرسول (ﷺ) فنزل رسول الله (ﷺ) منزلاً فقال:من يكلؤنا ليلتنا هذه؟ قال فأنتدب رجل من المهاجرين ورجل آخر من الأنصار وكان رسول الله (ﷺ) وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر ، فلما خرج الرجلان إلى فم الوادي قال الأنصاري للمهاجرين : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره؟ قال بلى أكفني أوله فاضطجع المهاجرى فنام وقام الأنصاري يصلى ، فجاء الرجل فرماه باسهم فأدماه فلم يوقظ صاحبه إلا بعد أن أنتهى من سورة كان يقرأها فى صلاته وما أحب أن يقطعها .

وفى يوم الخندق ، لما زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وجاء الأعداء محاصرين للمدينة وصار الأعداء بداخلها من المنافقين واليهود، يحرص الرسول (ﷺ) على الحراسة وتعاقب الرجال فيها فلذا جعلهم يتحارسون على الخندق وفى داخل المدينة فأجلس حسان بن ثابت لحراسة النساء فى أحد آطامها، وكان يبعث (ﷺ) الرجال مجتمعين لحراسة الخندق فقد أرسل سلمة بن أسلم فى مائتي رجل وكذلك زيد بن حارثة فى ثلاثمائة[3] وأسيد بن حضير فى مائتين[4] يحرسون المدينة بل وأمرهم (ﷺ) بإظهار التكبير تخويفاً للأعداء وبالذات من بني

---

[1] سبل الهدى ٣/٤ ، المستدرك ٣٥١٢ ، المعجم الكبير ٩٤٦٩.

[2] ابن هشام ١٢٤/٣ ،الدلالات السمعية ٤٥٨.

[3] الطبقات ٦٧/٢.

[4] الطبقات ٦٨/٢،عيون الأثر ٤٣/٢.

قريظة داخل المدينة الذين نقضوا العهد والميثاق. وقد حرس محمد بن مسلمة فى الليلة التي نزل فى صبيحتها بنو قريظة على حكم رسول الله[1].

وفى غزوة الفتح حرس المعسكر ناس كثيرون إذ لما علمت قـريش بمـسير الرسـول (ﷺ) أخرجت أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عـن رسـول الله(ﷺ)فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم بنيران كنيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه : لكأنها نيران عرفة فقال بديل: نيران بني عمرو فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلـك. فرآهم ناس من حرس رسول الله (ﷺ) فادركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله (ﷺ)[2].

٦- الشدة والغلظة مع المقاتلين والجواسيس:

تمكنت تعاليم الإسلام فى قلوب المسلمين وصارت لهم العدة والعتاد والدفة الموجهـة فـي نشر الإسلام بين العالمين وهي التي وسمتهم بأخلاقيات قل بل ندر أن نجدها فى غيرهم فـى علاقاتهم ببعضهم البعض أو مع غيرهم وبهذه الأخلاقيات واجهوا المصاعب والأخطـار كمـا عايشوا غيرهم من أرباب المعتقدات فى تسامح منقطع النظير، وفى هذه وتلك كانوا متبعين لا مبتدعين فإذا حض الشرع على خلق تمسكوا به وعضوا بنواجذهم حتى صار متينـاً عنـدهم مكيناً فيهم ، وإذا نهى عن خلق مذموم اجتنبوه وابتعدوا عنه قدر استطاعة كل فـرد مـنهم ، وكانوا فى كل ذلك متناصحون فى هذا أو تلك " وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ "[3] فكما أحب الله سبحانه وتعـالى أن تكون فيهم الرحمة والشفقة وحسن المعاملة والوفاء بالوعود والعهد ... الخ مع أعـدائهم من المدنيين غير المحاربين ، أحب أن يكون فيهم خلق الشجاعة والإقدام والصبر كما رأينا فى حروبهم، وكذلك خلق الشدة والغلظة والقوة ولكن فى مواضعها ويكون مـع المحـاربين دون سواهم بل وجبت عليهم فى مواجهة أولئك المحاربين الطاغين المعتدين وذلك لمـا سـيترتب أكيداً مع تركها من إضاعة الدين والتفريط فى الأمانة التي حملوها للعالمين . ومن هنا كـان المسلم قوياً فى دينه وتطبيق شرائعه قوياً فى يقينه بالله، قوياً فى الوصول إلى هدفه السامي

---

[1] تاريخ الطبري ١٠٠/٢،البداية ١٢١/٤،عيون الأثر ٤١٣/١.

[2] ابن أبى شيبة ٣٦٩٠٠ ، سنن البيهقى ٨٠٠٥٨ ، عيون الأثر ١٨٦/٢-١٨٧،كنز ٢٠٢٠٤ ، الدلالات السمعية ٤٦٠.

[3] سورة العصر .

غليظاً على الكفار والمشركين والمنافقين طالما أراد ذلك غير متردد ولا ملتفتاً إلى ما يقال عنه ، لا يخشون في ذلك لومة لائم ، فخلق أمر الله به يواجه به غيره بصراحة قولية وفعلية لا يصانع في ذلك ولا يداهن حفظاً على مرضاة ربه، فكيف يكون ضعيفاً ودين الله يحارب ويحاول مشركي مكة أو أعراب الجزيرة عباد الأصنام أو مجاوريهم من عبدة النار من المجوس أو غيرهم من أصحاب أديان فاسدة ومعتقدات باطلة يجتمعون للقضاء على هذا الدين أو انتهاك حرمات المسلمين ، وهؤلاء جميعاً أهانهم الله بذل المعصية له فكيف يكرمه هو بالسكوت عليه " وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ"[1] دون السعي ولو بالقوة لهدايته طالما فشلت معه الوسائل الأخرى مسترشدا في ذلك بهاديه ومخرجه من الظلمات إلى النور محمد بن عبد الله (ﷺ) القائل : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"[2] فالمسلم مارس هذا الخلق مأموراً به من الله ورسوله منفذاً هذا في حروبه ومعاركه مع المحاربين من أعدائهم دون غيرهم مرضاة لربه وحفاظاً على دينه وانتصاراً لعقيدته.

ولنتأمل معاً آي القرآن الكريم التي كانت خلق رسول الله (ﷺ) وتخلق بها المسلمون من أصحابه وأتباعهم لتؤكد ما نقول على ذلك إذ أوجبت على المسلمين الشدة واستعمال القوة مع الأعداء المقاتلين خاصة فهم أخوة في الله متحابون إذلة على بعضهم البعض لكنهم أعزة على الكافرين وذلك في الجهاد ، مما يعني شدة على المقاتلين من أعدائهم لا على غيرهم وهذه من الصفات التي يحبها الله من أجلها ويحبون الله لأنه أودعها فيهم لأنها تقربهم إليه فاعتبروها فضلاً من الله ونعمة وأتت كل هذه المعاني في قوله تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[3] ، وقد أدرك المسلمون بعلاقتهم الطيبة مع بعضهم وتراحمهم كما مر بنا معنى القوة المأمورون بإعدادها لإخافة أعداء الله وأعدائهم وآخرين يعلمهم الله، إذ قال لهم الله تعالى " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن

---

[1] سورة الحج آية ١٨.

[2] مسلم ٢٦٦٤،ابن ماجة ٧٩ ، ٤١٦٨، صحيح ابن حبان ٥٧٢١، ٥٧٢٢.

[3] المائدة ٥٤.

دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ"[1].

وقد أوحى الله إلى نبيه استعمال الشدة والقوة والغلظة أيضاً مع هؤلاء الكفار والمنافقين إذ قال تعالى في سورتي التوبة[2] والتحريم[3] " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" وفى هذا السياق أيضاً أوصى الله نبيه آمراً المؤمنين بذلك قال عز وجل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[4] ،وقال تعالى " فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ "[5] بل إن شدتهم على الكفار تعبداً لله وابتغاء فضله وفى هذا المعنى قال عز وجل " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا "[6].

ولا شك أن الأمر باستعمال الشدة والغلظة مع المقاتلين فى الحرب والقتال قد شرع لأنها حرب والحرب فرصة العدوين للنيل من بعضهما البعض وانتصار كل منهما لما أعتقد ولو تمكن الأعداء من الكفار والمشركين الذين يحاربون فى سبيل الطاغوت مع المسلمين المؤمنين الذين يحاربون فى سبيل الله وإعلاء كلمته والتمكين لدينه فى الأرض لأوضعوا فيهم السيوف قتلاً واستعملوا الشدة كل الشدة والغلظة كل الغلظة وهم أصلاً قساة القلوب فظاظ المعاملة أمنيتهم كانت بلا شك إبادة خضراء المؤمنين، ولذا قال الله لنبيه " إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ

---

[1] الأنفال ٦٠.

[2] آية ٧٣.

[3] آية ٩.

[4] التوبة ١٢٣.

[5] سورة محمد آية ٤.

[6] الفتح ٢٩.

أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ"[1] وفى المقابل كـن معهـم قوياً شديداً غليظاً أنت ومن معك من المؤمنين المجاهدين ولو تمكنتم منهم فاقتلوهم وشـردوا بهم، قال تعالى " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُـوهُمْ كَـذَلِكَ جَـزَاء الْكَافِرِينَ "[2] ، " فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، "[3]ثـم قـال " سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا "[4] .

لم يكن إذا استعمال القوة والغلظة والشدة إلا مع المقاتلين من الكفـار والمـشركين وحـصر المسلمون استعمال القوة العسكرية فى مواجهة المقاتلين وعلى مصادر قوتهم العسكرية.

ولكن سن أيضاً للمسلمين قتل بعض المدنيين فى الحرب مثل الجاسوس من جانـب الأعـداء فثبت عنه (ﷺ) أنه قتل جاسوساً من المشركين[5].

وذلك من حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قـال "إن رسـول الله (ﷺ)رأى عينـا مـن المشركين وهو فى سفر وقد جلس عند أصحابه يتحدث ثم انفتل فقال النبـي (ﷺ) " أطلبـوه واقتلوه فقتلته فنفلني (ﷺ) سلبه" وإن كان قد وقع خلاف بين العلماء فى قتل الجاسوس مـن عدمه لما ثبت عن النبي (ﷺ) أنه لم يقتل حاطباً وقد جس عليه لما استأذنه عمر بن الخطـاب فى قتله فقال : "ما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكـم"[6] فاستدل به من لا يرى قتل الجاسوس كالشافعي وأحمد وأبى حنيفة رضى الله عنهما . كما

---

[1] الممتحنة ٢.

[2] البقرة ١٩١.

[3] الأنفال ٥٧.

[4] النساء ٩١.

[5] البخاري ٢٨٨٥، أبو داود ٢٦٥٢ ، ٢٦٥٣، سنن البيهقي الكبرى ١٨٢١٨،١٨٢١٧ .

[6] البخارى ٢٩١٥ ، ٢٨٤٥ ، ٤٦٠٨ ، مسلم ٢٤٩٤ ، أبو دواد ٢٦٥٠.

استدل به من رأي قتل الجاسوس لإن حاطباً كان مسلماً وبدرياً وإن هذه عله مانعه من القتل منتفية فى غيره أي حاطب"[1].

كما سن (ﷺ) أن يقتل من المدنيين من اشترك فى الحرب بأي حال من الأحوال وبأي وسيلة كأن يكونوا أدلاء أدلوا برأيهم ومشورتهم أوقدموا أموالهم ومساعداتهم للمحاربين من الأعداء أوخرجوا يحرضون المقاتلين على المسلمين أوبالتجسس على المسلمين لصالح مقاتليهم .

إن الشدة والغلظة التى أباحها الإسلام إذا مرتبطة بمنطق وعدالة فهى مطلوبة لرد البغى والعدوان أو الوقوف ضد من يجترأ على المسلم بأى طريقة كانت لا تلك القسوة التى قال عنها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله " أن القسوة التى استنكرها الإسلام جفاف فى النفس لا يرتبط بمنطق ولا عدالة ، إنها نزوة فاجرة تتشبع من الإساءة والإيذاء وتمتد مع الأثرة المجردة والهوى الأعمى" [2].

٧- الاستقامة وتجنب المثلة والنهبة:

خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم وأمره بالاستقامة هو ومن معه من المسلمين قال تعالى " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[3] مع مدح الله تبارك وتعالى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وبشرهم بالجنة ومعيته فى الدنيا والآخرة قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ "[4] ،، " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[5]والاستقامة كلمة من جوامع الكلم كما قال العلماء أخذاً من الوارد عن رسول الله (ﷺ) لما جاء رجل قال له (ﷺ) يارسول الله : قل فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك

---

[1] زاد المعاد ٣/١١٥.

[2] خلق المسلم صـ٢١٣.

[3] هود ١١٢.

[4] فصلت ٣٠-٣٢.

[5] الأحقاف ١٣-١٤ .

قال(ﷺ)" قل آمنت بالله تعالى ثم استقم"[1] كما قال (ﷺ) ناصحاً المسلمين: قاربوا وســددوا[2] أي اقتصدوا ولا تميلوا واستقيموا أو الزموا الطاعة ، ولزوم الطاعة للمــؤمنين فــى أوقــات الشدة أكد بالنسبة للمؤمنين وذلك لأنهم تربوا على أخلاق المصطفى (ﷺ) الذي أعدهم إعداداً نفسياً جيداً، ولم يظهر فى معاركهم وغزواتهم وفتوحاتهم مــا يــشي بالميــل إلــى الــشهوة والانصياع إليها والجري وراء أطماع النفس أو الإقتراب مما يغضب الله تبارك وتعالى فى هذه الميادين من سادية مقيته وشهوانية مفرطة وقلة حياء متأصلة وتشفى منقطع النظيــر مــن الأعداء حتى المقتول منهم الجريح، كما نراه اليوم فى الجنود الأمريكان فى العراق أو اليهود فى لبنان وفلسطين ومن هنا ظهرت الاستقامة بأجلى صورها فى التزام المسلم خلــق الــدفاع عن التمثيل وتجنب النهب فى الحروب.

فانتهوا عن هاتين الصفتين السيئتين المذمومتين امتثالا لأمرالله تعالى و رسوله (ﷺ) رحمــة الله للعالمين الذي يروى عنه (ﷺ) إذا بعث سرية أوصاهم قائلاً "لاتمثلــوا"[3] ، فلمــا بعثــت قريش فى فداء الأسارى فى بدر تقدم مكرز بن حفص الأخيف فى فداء سهيل بن عمرو وكان سهيلاً رجلاً أعلم من شفته السفلى فقال عمر بن الخطاب لرسول الله (ﷺ) يا رسول الله دعني انتزع ثنيتي سهيل بن عمرو السفليتين يدلغ لسانه فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً فقــال رســول الله(ﷺ)"لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً أنه عسى أن يقوم مقامة لا تذمه"[4].

وجاء فعلاً هذا الموقف إذ وقف سهيل بن عمروعندما توفى رسول الله وقام المرتــدون مــن العرب على خليفته خطب فيهم يثبتهم على الدين الحنيف صلى الله على مــن لا ينطــق عــن الهوى.

واتبع سنته فى الوصاية لأمراء الجيوش خلفاؤه الكرام ومن تبعهم من خلفاء فنذكر مثلاً سيدنا أبو بكر الصديق يوصى يزيد بن أبي سفيان عندما بعثه إلى الشام "لاتمثل"[5] وأوصى عمر

---

[1] مسلم ٣٨.

[2] مسلم ٢٥٧٤.

[3] راجع على سبيل المثال مسلم ١٧٣١، أبو داود ٢٦١٢ ، الترمذي ١٦١٧ ، ابن ماجــة ٢٨٥٨، مــسند أحمد ٢٣٠٢٨ ، سنن البهيقي الكبرى ١٧٧٢٨،١٧٥٤١ وغيرهم.

[4] المستدرك ٥٢٢٨ ، المصنف ٣٦٧٣٩ ،الطبري١٦٢/٢،عيون الأثر ٢٥١/١.

[5] كنز العمال ١٤١٩٩.

الفاروق عند عقد الألوية قائلاً لأمرائه "لا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور"[1] .

وكتب سيدنا عمر بن عبد العزيز لأحد قواده "إنه بلغني أن رسول الله (ﷺ) كان إذا بعث جيشاً أو سرية قال " ... ولا تمثلوا فإذا بعثت جيشاً أو سرية فمرهم بذلك[2] مما يدل على تواصل التواصي بسنة رسول الله (ﷺ) ونهيه عن التمثيل بقتل الأعداء مهما كانت الظروف والأحوال والتزم بها جند الجيش ولم يأتوها . بعكس ما وجدنا فى بعض الوقائع الحربية بين المسلمين والمشركين فقصص تمثيل مشركي مكة بجثث شهداء المسلمين يوم أحد مشهورة معلومة وأشهرها على الإطلاق تمثيل هند بنت عتبة بأسد الله حمزة بن عبد المطلب[3].

أما عن النهبة فقد نهى (ﷺ) فقال "من انتهب فليس منا[4]" وروى البخاري ومسلم انه(ﷺ)"أمر بالقدور التي طبخت من النهب فاكفأت"[5]

روى أيضاً عن رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله (ﷺ)فى سفر فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد وأصابوا غنماً فانتهبوها وإن قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله (ﷺ) يمشي على قوسه فأكفا قدورنا بقوسه ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال: إن النهبة ليست بأحل من أكل الميتة أو أن الميتة ليست بأحل من النهبة"[6] ، أليس من الاستقامة إذا وتجنب المثلة واجتناب النهبة فى ميادين الحرب والقتال عدالة مطلقة ورحمة غير مسبوقة من المسلمين بأعدائهم وتحلى مكارم أخلاق انعدمت فى حروب الأقدمين والمحدثين ، أين هذه الأخلاقيات مما يحدث الآن فى العراق وما يقوم به الأمريكان والأنجليز من لف حولهم من الأوربيين والشرقيين .

٨- المسارعة إلىإجارة العدو وتأمينه:-

كان للجوار أهمية كبرى عند العرب قبل بعثته (ﷺ) وله حرمته وتقديره ولكون الجوار وسيلة الخائف إلى الأمان وإذهاب الروع عنه فقد أقره الإسلام قرآنا وسنة حتى ولو كان المستجير من الأعداء المحاربين وذلك طمعا فى هدايته إلى الإسلام يقول الله تعالى فى محكم آياته "وَإِنْ

---

[1] ابن عبد ربه ١١٩/١.

[2] المصدر السابق ١١٨.

[3] ابن هشام السيرة ٣٧/٣، عيون الأثر ٤٢٤/١.

[4] أبو داود ٤٣٩١، النسائي٣٣٣٥،الترمذي١٦٠١،١١٢٣.

[5] البخارى ٢٣٧٢ ، ٢٩١٠ ، ٥١٧٩ ، مسلم ١٩٦٨.

[6] أبو داود ٢٧٠٥، ابن ماجة ٣٩٣٨.

أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ"[1]كما أنه صار من حق الأعداء المحاربين والمدنيين على المسلمين ا

لتأمين إذا طلبوا الأمان بل السرعة فى هذا وذلك لما يرجى من صلاح أحوالهم وحقنا للدماء بين الفريقين وجوار الكافر وتأمينه يقوم به أمير الحرب أو تقوم به الجماعة باتفاق أو يقوم به الأفراد ويحفظ ذمته الآخرون وكما يقوم به الأمير يقوم به أيضا العبد والخادم ، كما تقوم به المرأة إذ لا فرق بين المسلمين فى هذا الشأن وذلك كما يقول الرسول (ﷺ) " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم"[2] وقال أيضا (ﷺ) : يجير على المسلمين أدناهم ويرد عليهم أقصاهم[3] وحياة الرسول الكريم وسيرته العطرة بها العديد من المشاهد التى تدلل على كل ذلك إذ أمن العباس بن عبد المطلب أبو سفيان بن حرب وأتى به إلى رسول الله(ﷺ) فقبل (ﷺ) أمانه[4] وثبت عنه (ﷺ) أنه أجار رجلا أجارته أم هانئ ابنة عمه وذلك فى يوم الفتح إذ جاءته وسلمت عليه وقالت يا رسول الله زعم ابن أمى على بن أبى طالب أنه قاتل رجلا أجرته فقال رسول الله (ﷺ) قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ[5] كما قبل جوارأبى العاص بن الربيع بجوار ابنته زينب له رضوان الله عليها[6] ولما أجار عمير بن وهب صفوان بن أمية وهو المعروف بكراهيته للرسول والمسلمين عامة وعدائه لهم ومحاولاته الدائبة للتخلص من الرسول (ﷺ) أجاز (ﷺ) هذا الجوار بل أمنه (ﷺ) وأرسل إليه ردائه عنوانا لذلك [7] ، وفى هذا ليكون قدوة لأصحابه وبلاغا للمسلمين من بعده (ﷺ). كما أنه (ﷺ) شدد فى إنفاذ الامان للمستجير وحذر (ﷺ) من إخفار ذمة المسلم إذ قال (ﷺ) " ذمة المسلمين واحدة يسعى بها

---

[1] سورة التوبة الآية ٦.

[2] راجع ابن ماجة ٢٦٨٣ ، المستدرك ٢٦٢٣ ، ابن أبى شيبة ٢٧٩٦٩ ،البيهقى ١٥٦٨٨.

[3] أبو داود ٢٧٥١ ، ابن ماجة ٢٦٨٣ ، مسند أحمد ٦٦٩٢ ، ابن خزيمة ٢٢٨٠ ، ابن حبان ٥٩٩٦ .

[4] السيرة لابن هشام ٣٠/٤ ، ابن كثير : السيرة ٥٤٨/٣ ، جوامع السيرة ٢٢٨ ، تاريخ الطبرى ٣٣١/٢ ،عيون الأثر١٨٧/٢،الروض الأنف ٢١٢/٧.

[5] راجع : البخارى ٣٠٠٠، ٥٨٠٦ ، مسلم ٣٣٦ ، مؤطا مالك ٣٥٦ ، أبوداود ٢٧٦٣ .

[6] المستدرك ٦٨٤٣ ، مصنف عبد الرازق ١٢٦٤٩ ، البيهقى ١٧٩٥٦.

[7] عبد الرازق ١٢٦٤٦ ، كنز العمال ٣٠١٧.

أدناهم فمن أخفر ذمة مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولاعدل"[1]

وحذر أيضا المسلمين من الغدر بالمستجير أو قتله لما فى ذلك سوء العاقبة والافتضاح يوم القيامة ، فيروى عنه (ﷺ) أنه قال " من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا برئ من القاتل"[2] وفى لفظ " اعطى لواء الغدر[3]" وقال (ﷺ) " لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة يعرف به يقال : هذه غدره فلان"[4] وفى كل هذا يضع الرسول (ﷺ) سبلا للمسلمين وخلقا يتخلقون بها من أجل الدعوة إلى الإسلام ، فرضا المسلمون بإجارة المرأة والعبد تعنى المساواة بين الجميع واحترام الجماعة والوفاء للمستجير تعنى صدق الدعاة ونبل الدعوة ، وكلها مما يحمده البشر ويقبلون بها على الإسلام . ، ولهذا حافظ المسلمون بعده (ﷺ)على حسن الإجارة وتأمين المستجير والأخذ بسنته فى هذا الأمر فيروى- على سبيل المثال -فضل بن زيد أنه غزا غزوات فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب وفى احدى المرات حاصروا قرية من فارس ، ثم انصرفوا عنها وقت الظهيرة فتخلف منهم عبدا فاستأمنه أهل القرية فكتب لهم أمانا فى صحيفة ورماها إليهم ، فلما جاءوا إليها وجدوا أهلها خارجها فى مأمن يسرحون بمواشيهم ، فلما سألوهم عن ذلك فقالوا استأمناكم فأمنتمونا وأعطوهم الكتاب ، فقال لهم : إنا هذا عبدا من عبيدنا فقالوا لهم : انا لا نعرف العبد منكم والحر ، فأرسل المسلمون إلى سيدنا عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليهم الفاروق " إن عبد المسلمين من المسلمين ، ذمته ذمتهم " فأجاز الفاروق أمانه "[5]

٩- سلامة الصدور ومحبة السلام:-

إن المسلم الذي كلف برسالة يوصلها إلى البشر قد امتلأ قلبه وصدره بالمحبة والإخلاص للآخرين وإلا لما جاهد وتحمل المشاق والمتاعب فى سبيل توصيل هذه الرسالة إليهم، لأن بواعث المحبة والإخلاص للآخرين كانت كثيرة ومتعددة عنده دفعته دفعاً إلى تحمل هذه

---

[1] البخارى ، ٣٠٠٨ ، أبو داود٢٠٣٤ ،صحيح ابن حبان ٣٧١٧.

[2] أحمد ٢١٩٩٦ ، ٢١٩٩٨، ٢٣٧٥١.

[3] مسند أحمد ٢١٩٩٦ ، ٢١٩٩٨ ، ٢٣٧٥١ .

[4] البخارى ٥٨٢٣ ، ٥٨٢٤ ، مسلم ١٣٧٥ ، ١٧٣٦ ، أبو داود ٢٧٥٦،مسند أحمد ٥٨٠٣ ، ٥٨٠٤.

[5] مصنف عبد الرزاق ٩٤٣٦ ، كنز العمال ١١٤٥٢.

الأعباء والمشاق تلك التى تشربوها من نبيهم (ﷺ)الذي تحمل كل الشدائد وأنواع الرزايا وتقبلها بصدر سليم وقلب خاشع لله تبارك وتعالى ، ومن المعلوم أنه (ﷺ) لم ينتقم لنفسه قط ولم ينتهك حرمة فى سبيل الله ذلك وقد قيل له مرة "يا رسول الله أدع على المشركين والعنهم فقال (ﷺ) إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً"[1] لأنه (ﷺ) كان همه الأول نشر الدعوة ورضاء ربه فما أوذى إلا قال خيراً يدل على نقاء قلبه وصفاء سريرته ومحبته لهداية الناس إلى الإيمان ، فبرغم ما فعله قومه من قريش معه من أفاعيل نجده (ﷺ) يدعو ويقول "اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون" ولما جاء جبريل ومعه ملك الجبال ليخلصه من قومه الذين آذوه بأن يطبق عليهم الأخشبين رد قائلً : لا عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله"[2].

وأثناء شدته(ﷺ) بالطائف يقول خوفاً من عدم إرضاء ربه " لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك"[3].

فهذا القلب النقي والصدر الرحب انتقلت صفاته إلى أصحابه وتابعيه وتشربوا منه كيف ينقوا صدروهم من أدران الأحقاد والغل والحسد والكراهية والكبرياء والغطرسة والأنانية ومحبة الذات إلى غير ذلك من أدران من شأنها أن تؤدي إلى القطيعة والهجران والتقاطع والتدابر ليس على مستوى الأفراد فقط بل على مستوى الشعوب والقبائل وهو ليس مقصود رب العالمين من جعلهم شعوباً وقبائل فهو القائل عز وجل " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[4].

لذا ما ترك المسلمون وسيلة للتعارف والتقارب إلا ابتغوها ولا طريق موصل إليها إلا سلكوه حتى فى أوقات الحروب واشتداد المعارك ، وذلك لما استشعروه من أهمية نشر الدين وتعريف العالمين به، لأنه الدين الحق الذي جاء للعالمين كافة ويؤكد القرابة فى الإنسانية والأبوة المنتهية إلى آدم وحواء عليهما السلام، أيقنوا أن الإسلام هوالدين الذي به تسود المحبة وينتشر السلام بين البشر فى مشارق الأرض ومغاربها ،تلك الأماني الغالية التي حققها

---

[1] رواه مسلم برقم ٢٥٩٩.

[2] البخاري ٣٠٥٩ ، مسلم ١٧٥٩.

[3] مصنف عبد الرزاق ٩٢٣٤ ، مجمع الزوائد ٩٨٥١ ، كنز العمال ٣٦١٣ ، ٣٧٥٦، ٥١٢٠.

[4] الحجرات ١٣.

المسلمون السابقون الأولون بجزيرة العرب وأرادوا بعد ذلك توصيل ما أحبوا لأنفسهم وبني جلدتهم لأخواتهم فى الإنسانية.

وروى عن ابن عباس أنه قال :قال رسول الله (ﷺ) : أفلا أنبئكم بشراركم؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا إن شئت يا رسول الله قال : الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالول بلى يا رسول الله قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره"[1] فأبتعد الصحابة بلا شك عن كل هذه الرزائل المكنونة فى نفوس هؤلاء الأصناف من شرار الناس رجاء أن يكونوا من خيار الناس يحبون الناس يغفرون لمن أذاهم ويقبلون معذرة الآخرين قاطعين شرهم عن العباد والخلق مقدمين لهم الخير كل الخير محبة أن يكون مثلهم.

وما أفضل التعارف إلا على الإيمان بالله ورسله الكرام وما يتأتى ذلك إلا بقلوب قد سلمت من الأحقاد وامتلأت بالمحبة والإيمان وانظر كيف كان صحابته الكرام حريصين على أن تكون قلوبهم وصدورهم سليمة نقية وحرص رسولهم (ﷺ) على هذا الأمر كذلك لعلمه (ﷺ) أن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الصور والأجساد ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال ، فلما سأله عبد الله بن عمرو يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قيل صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال (ﷺ) هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد"[2] .

ومن هنا انطلقوا فى دعواتهم بصدور سليمة وعواطف جياشة من المحبة والود والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان متحابين فى الله وعلى الله ولله وما أجمل ما جاء فيهم فى القرآن واصفاً أحوال هؤلاء الذين حملوا الرسالة على غيرهم مريدين الهدية لكل البشر، محبين الإيمان لمن على الأرض قاطبة " وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ"[3] أولئك كانت أسعد لحظات حياتهم تلك التي يأتيهم فيها أحد من كفار قريش مسلماً مؤمناً، وما

---

[1] المعجم الكبير ١٠٧٧٥ ، مجمع الزوائد ١٣٦٥٢ ، كنز العمال ٤٤٠٤٦.

[2] ابن ماجة ٢٤٢١٦، شعب الإيمان ٦٦٤٠

[3] سورة الحشر ١٠.

أطيب أوقاتهم إذ كانوا يرون الوفود من الجزيرة العربية قادمة على رسول الله معلنة إسلامها لأنهم صاروا لهم فى الله إخواناً وعلى الإيمان أخلاء وعلى نشر دينه أعواناً مخلصين بعد أن أنهوا عقد الجاهلية من تقاطع وتدابر وتحاسد وحقد وكراهية " قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ"(١) فرحوا بعد أن جمعهم الحق ووحدتهم عبادة الرحمن واستهوتهم الآخرة ونعيمها بدلاً من الدنيا زخرفها ومتاعها.

ومن هنا أيضاً كانت محبة المسلمين للسلام والمسارعة إلى إجابة داعيه طالما يخدم دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى فهو رابطة غاية فى الأهمية من روابط التعارف والتآلف والمودة بين البشر وذلك من أجل تنسيق الجهود لتعمير الأرض كغاية من بقاء الإنسان فيها " هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ"(٢) .

فالله السلام جل فى علاه دعاهم إلى السلام وحرم القتال فى الأشهر الحرام الأربعة ذي القعدة وذي الحجة ومحرم وهي أشهر الحج والعودة فيه ثم رجب الفرد " فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "(٣) ، ولكن شريطة ألا يترتب على ذلك أية مخاطر على الدين والعقيدة ولا على المسلمين . وفى حالة رفض العدو إيقاف القتال والحرب فى هذه الأشهر الحرم فليس على المسلمين حرج فى مواصلته ولذلك أمرهم الله تعالى بمواصلة القتال " الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"(٤).

كما أمرهم ربهم أن يقبلوا السلام ولا يرفضونه من أحد حتى ولو تحية ابتغاء رضوان الله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ

---

[1] سورة يونس ٥٨.

[2] هود ٦١.

[3] التوبة ٥.

[4] البقرة ١٩٤.

فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا "[1]، وقال لهم إن هناك أقواما منهم ولا سبيل لكم عليهم " إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً"[2] بعكس أولئك الذين كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فهؤلاء لم يفكروا فى اعتزالكم وإلقاء السلم إليكم بل مصرين على قتالكم فأولئك قاتلوهم واقتلوهم " سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا"[3]

وهناك أقوام سيجنحون للسلم فاقبلوا منهم قال تعالى " وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[4] والمسلم المقاتل مأمور من ربه أن يواد الذين لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم وإنما ينهاه عن أن يتولى من قام بقتاله فى الدين وأخرجوهم من ديارهم وإنما ينهاه عن أن يتولى من قام بقتاله فى الدين وأخرجوهم من ديارهم " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[5]. وكم أرشدهم رب العالمين ألا يتخذوا الأعداء الذين لم يقبلوا النصيحة ولا الدين وأصروا على العداوة أولياء من دونه أوأن يلقوا إليهم المودة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ (١) "[6].

---

[1] النساء ٩٤.

[2] النساء ٩٠.

[3] النساء ٩١.

[4] الانفال ٦١.

[5] الممتحنة ٩٨.

[6] الممتحنة ١.

ولكل هذا ولهذا الخطاب الواضح المفصل من الله تبارك وتعالى للسلام وأحواله فقد قدر المسلمون السلام تقديراً وكرهوا الحرب وجعلوها شراً مستطيراً ولذلك تمسكوا بالسلام ولم يلجأوا إليها إلا لضرورة عندما يبيت العدوانية فى عدوانه أو يعتدي بالفعل ، كما سارعوا لعقد معاهدات السلام والصلح وإبرام المهادنات لإشاعة السلام فترة من الزمن وهذا أكبر دليل على تقديرهم ومحبتهم للسلام وهو ما سنقوم بشرحه فى خلق الوفاء بالعهود والمواثيق عند السلم.

١٠- الوفاء بالعهود والمواثيق للأعداء:-

عرف عن العرب قبل بعثته الشريفة (ﷺ) بالوفاء بالعهود وكراهية النكث والغدر والخيانة ولذا قيل أن الوفاء كان من ألزم صفات العربي يحرص عليه ويكابد فى سبيل تحقيقه ولذلك نجدهم يكرهون الغدر ويمقتون الخيانة ويشهرون فى أسواقهم ونواديهم وتجمعاتهم بمن يغدر ويخون حتى يكون عبرة لغيره ويرتدع من يحاول التخلص عن هذا الخلق ، كما كانوا يوقدون نيراناً للإعلان عن العار الذي لحق بهذا الخائن الغادر عرفت بنار الغدر كانت توقد بمنى أيام الحج على أحد جبلي مكة ولهذا قدس العرب الوفاء بالعهود ووقروا من حفظ العهد والذمة وضربوا بهم الأمثال كالسموءال بن عاديا الذي وفى لإمرئ القيس الكندي وهانئ بن مسعود الشيباني الذي وفى للنعمان بن المنذر، وحنظلة بن عفراء الذي وفى بعهده لشريك بن عمر العبادي ... الخ[1]، ولكن العربي قبل البعثة كان الدافع وراء ذلك ربما يكون التفاخر بمنقبة حميدة وخلة مرغوبة بين العرب كما أنها لم تكن عامة عند كل العرب ولذا لما جاء الإسلام بآدابه وأخلاقه فرض على المسلم فرضاً الوفاء مع الله أولاً ثم مع البشر ثانياً على المستوى الفرد والجماعة، فوجب على المسلم الوفاء فى المعاملات مع الناس فى البيع والشراء والدين أو البر بيمين أو قسم من التزم أمامه ... الخ، والله سبحانه وتعالى شدد فى الوفاء بالعهد لما علم عن النبي آدم عن ضعف الذاكرة وكذلك العزيمة والإرادة فأبيهم آدم الذي قال عنه ربه " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا "[2]، ولذا حرص المسلمون بالوفاء بالعهد أولاً لله تبارك وتعالى أخذين ما أتاهم الله من فضله من الإيمان العميق والعزيمة والإرادة المتينة فى العقيدة مأخذ الجد في الالتزام بالعهود معه جل فى علاة ومع البشر واضعين نصب أعينهم أي الذكر الحكيم التي تنبههم بالتذكر والتذكرة بمن مضى ممن نسوا عهودهم مع الله

---

[1] راجع فى ذلك كتابنا نظرات فى تاريخ صـ ٢٢٢.

[2] طه ١١٥.

تبارك وتعالى وضعفت عزائمهم فى ذلك[1] ولذا آلوا على أنفسهم إلا الوفاء بالعهد مع الله والصدق فى ذلك فى الأحوال والتكليفات" وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً " [2] ،، "وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ " وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ،، "[3] وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "[4] والمثل الأبلج لما ذكرناه آنفا أنس بن النضر الذي نزلت فيه وفي أشباهه " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا "[5] .

وفى هذا امتثالاً لأمر الله تعالى " وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[6] فتلك الوصايا من الله جعلت المسلم وفياً بالعهد مع أخيه المسلم حتى ومع غيره من الكفار والمشركين، ولذا تمكن فيهم هذا الخلق وصار فى قلوبهم وأعماق نفوسهم ومن ثم صعب عليهم تجزئته والوفاء بعهده مع المسلم وعدم الوفاء مع غيره ومن ناحية أخرى نجد الرسول (ﷺ) وهو بين أظهر المسلمين يحدثهم عن الوفاء بالعهد ويضرب هو نفسه لهم الأمثال فى ذلك مع المسلمين وغير المسلمين، وما يهمنا الآن في هذا الخلق الكريم هو الوفاء مع غير المسلمين إذا شدد (ﷺ)فى حفظ العهود المؤداة إلى أهلها مهما كانت الظروف فقال (ﷺ) "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقده ولا يشدها حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سوء"[7].

---

[1] راجع مثلاً : الأعراف ٣، الأنعام ١٢٦ ، الأعراف ٥٧،٢٦، الأنعام ١٥٢.

[2] الإسراء ٣٤.

[3] النحل ٩١-٩٢.

[4] النحل ٩٤-٩٥ .

[5] الأحزاب ٢٣.

[6] الأنعام ١٥٢.

[7] أبو داود ٢٧٥٩ ، مسند أحمد ١٧٠٥٦ ، الترمذي ١٥٨٠.

ويذكر عنه (ﷺ) أنه قال "ما نقض قوم العهد إلا نسلط الله عليهم عدوهم [1]أو قيل" إلا كان القتل بينهم"[2].

أما فى حياته العملية (ﷺ) فقد أعطى لهم الأمثلة الحية لعقد المعاهدات والمهادنات وأمضاها إلى مدتها امتثالاً لأمر ربه، فلما قدم (ﷺ) إلى المدينة صار الكفار معه (ﷺ) على ثلاثة أقسام قسم صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه أحداً ولا يوالوا عليه عدده وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم وهؤلاء كانوا يهود المدينة وقسم أخر لم يصالحوه ولم يحاربوه وكانوا مذبذبين لا إلى المعاهدين المصالحين ولا إلى الأعداء من كفار قريش والجزيرة العربية ومن ورائهم من الفرس والروم وهم يمثلون الفريق الثالث وصالح (ﷺ) ووادع (ﷺ)اليهود وكتب بينهم وبينه صحيفة بين لهم ما لهم وما عليهم ، وبعد مدة عقد صلح الحديبية مع كفار قريش فى العام السادس من الهجرة الشريفة على أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين عشر سنوات وشروط أخرى فى ظاهرها كانت مجحفة للمسلمين ولكنها كما يعلم الله ورسوله كانت فتحا كبيرا للمسلمين إذ كانت الطريق الموصل لفتح مكة فى العام الثامن من الهجرة..

وكان (ﷺ) فى كل هذه المعاهدات والعقود والمواثيق أحرص الناس على الوفاء بها وبما ورد فيها من نصوص وبما عقدت عليه من مدة إلا إذا نقض العدو نفسه هذه المعاهدات والمواثيق كأن يظهر الطعن فى الإسلام ويعمل على تشويه صورته ومفهومه ومحاولات الطرف الآخر استغلال فترة المعاهدة والصلح فى فتن المسلم عن دينه بالإضافة إلى القيام بالعدوان المباشر على المسلمين أو إعانة أعدائهم ومؤازرتهم بأي طريقة أو وسيلة من الوسائل وبالتالي تضيع هذا الأهداف السامية التى ابتغاها الرسول (ﷺ) من وراء هذه المعاهدات من إشاعة السلم وإنهاء حالة الحرب والاعتداء وصيانة حقوق الإنسان وحريته وحماية أهداف الدعوة الإسلامية فى هداية الشعوب وتعزيز التعاون والتعارف بينها وإتاحة الفرصة للجميع للتعرف على الإسلام فى حقيقته وجوهره وبإزالة آثار الحروب من تبادل

---

[1] المعجم الكبير ١٠٩٩٢، شعب الإيمان ٣٣١١، سنن البيهقي ٦١٩١، مجمع الزوائد ٤٣٤٦.

[2] المستدرك ٢٥٧٧ ، شعب الإيمان ٣٣١٢، سنن البيهقي الكبرى ٦١٩٠ ، ١٨٦٣٠ مجمع الزوائد ١٢١٥٠.

الأسرى وعلاج المرضى ودفن القتلى، وإذا لم تتحقق للمسلمين هذه الأهداف باعتداء الطـرف الآخر نقض العهد والميثاق برمته، عندئذ لم يعد هناك أي ضرورة لاستمرار هذه المعاهـدات، بل أكثر من هذا أباح الشرع للمسلمين إذا استشعروا نوعاً من الخيانة فلهم من ناحيتهم نقض المعاهدة والصلح امتثالاً لقول الله تعالى " وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ "[1].

إذا نقض الطرف الآخر أو بدت عنهم بوادر الخيانة وخشى المسلمون العنت من ذلك فليس هناك خيار أمام المسلمين من المواجهة بالحرب والقتال، فإن الله أمرهم لا يهنوا ولا يـضعفوا وخاصة إذا كانوا هم الأعلون قال تعالى " وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُـوا وَأَنـتُمُ الأَعْلَـوْنَ إِن كُنـتُم مُّؤْمِنِينَ"[2]،،"فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ "[3].

وعلى النهج السليم والطريق المستقيم المأمور به المسلمون سار الرسول (ﷺ) فى عهـوده مع أعدائه ولكن إذا نقضوا الصلح أو المعاهدة أو العهد يبدأهم بالحرب والقتال فقد عقد عهداً لليهود عندما حل (ﷺ) الحلول الشريف بالمدينة وذلك من أجل إشاعة الأمـن والأمـان فيهـا وإقرار الوئام الاجتماعي بين سكانها وشرط عليهم كما شرط لهم وأمنهم فيها علـى الأمـوال والأهل والأنفس والديار بكافة قبائلهم وأظهرهم كانوا بنو قينقاع وبنو النضير وبنـو قريظـة ولكن هؤلاء القوم الغدر أهل النقض وعدم احترام المواثيق الذين جبلوا على الغدر والخيانة لم يصبروا على ما عاهدوا عليه رسول الله (ﷺ) واعترافهم أنفسهم بأن الرسول (ﷺ) وفى لهم دون أن يظلمهم فى شيء ، فنقضوا العهد والميثاق وأظهروا الـبغض والحـسد للمـسلمين وتعاونوا مع الكفار على الإثم والعدوان ومالئوا قريشاً على النبي (ﷺ) ولذا ما كان منه (ﷺ) وهو الذي صبر عليهم وعلى آذاهم صبراً جميلاً وكان حليماً بينهم إلى أبعد مدى يتحمله بشر – إلا أن حاربهم على نقض الميثاق وبعد أن هزمهم نفذ فيهم حكـم الله تعـالى مـن القتـل والتشريد وأخذ الأموال وسبى النساء قوماً بعد آخرين مبتدأ ببني قينقاع بعد غزوة بدر الكبرى

---

[1] الأنفال ٥٨

[2] آل عمران ١٣٩.

[3] محمد ٣٥.

وبني النضير بعد غزوة أحد وبني قريظة بعد غزوة الخندق أو الأحزاب ليطهر من دنسهم مدينته (ﷺ) ويتخلص من مكرهم وخيانتهم.

وها هو (ﷺ)يصالح قريشاً ويصالحوه فى الحديبية على أن تضع الحرب أوزارها بينهم عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله ودخلت بنو بكربن وائل فى عهد قريش ولكن بني بكر تعدت على خزاعة أحلاف رسول الله وساعدتهم قريش فى ذلك ناقضين بذلك الصلح ، فندمت قريش على ما فعلت وخرج أبو سفيان بن حرب ليستديم العقد ويزيد الصلح ولكن الصادق الأمين الوفي بالعهد دائماً أعاده بغير حاجة[1] ، وتجهز (ﷺ) بعدها لفتح مكة وتم ذلك فى العام الثامن من هجرته الشريفة.

وسار المسلمون الكرام فى عهود خلفائه الراشدين وبني أمية والعباسيين يعقدون المعاهدات ويصالحون ويعاهدون أهل الذمة ويوفون بعهودهم تامة كاملة ويحافظون على مدتها وبنودها لا يخرقونها أبداً سائرين فى ذلك على شرعة الله ومنهاجه وسنه نبيه (ﷺ)، ومعاهداتهم ومهادناتهم كثيرة على مر تاريخهم الحافل وأمجادهم التليدة تحتاج إلى دراسات ودراسات لاحصائها وتحليلها وإخراج فوائدها ودروسها لنستفيد منها في حياتنا المعاصرة ونستضئ بما كان عليه أسلافنا فى معاهداتهم وسيرتهم فى أهل الذمة وبالذات في الصلح الدائم لا في الموادعات والمهادنات القصيرة الأمد يحافظ فيهم الخلف علي ما عاهد عليه السلف إلا إذا رأي أحدهم في تغيير الأمور ما يمكن أن يضيف فيه شيئا لمصلحة المسلمين لا نقضا ولا نقصاً للمعاهدة السابق إبرامها ومن أطرف وأمتع ما يضرب به المثل في ذلك العهد الذي أعطاه الرسول الكريم (ﷺ) لنصارى نجران وأسقفهم أبي الحارث بن علقمه يقول فيه "من محمد النبي إلي سقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم إن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثيرمن بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم ،وجوار الله ورسوله ،لا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته . ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ،ولا شئ مما كانوا عليه علي ذلك جوار الله ورسوله أبداً ، ما نصحوا واصطلحوا فيما عليهم ، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين "[2]

---

[1] راجع السيرة لابن هشام ٢٥/٤،عيون الأثر١٨٣/٢،الروض الأنف٢٠٠/٧.

[2] سيرة ابن كثير ١٠٦/٤ ، البداية ٦٧/٥، طبقات ابن سعد ٣٥٨/١.

فلما انتقل (ﷺ) إلى الرفيق الأعلي خشي أهل نجران – وهم نصارى العرب في الجزيرة العربية – أن يكون موقف المسلمين من عهد الرسول (ﷺ) قد تغير ولم يعد خليفته أبو بكر ملزما به فأرسلوا إلي الخليفة في ذلك ولكن الصديق الوفي وفي بذمة الرسول لهم وأكد عليه وجدد لهم العهد الذي منحه إياهم رسول الله (ﷺ) فكتب إلي أهل نجران عهداً يقول فيه "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي رسول الله لأهل نجران :-أجارهم بجوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله علي أنفسهم ، وأرضهم ،وملتهم ، وأموالهم ،وحاشيتهم ، وعبادتهم ، وغائبهم ،وشاهدهم ،وأساقفهم ورهبانهم ،وبيعهم ،وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير ،لا يحشرون ولا يغير على أسقف من أسقفه ،ولا راهب من رهبانيته وفاء لكل ما كتب لهم محمد النبي وعلي ما في هذه الصحيفة من جوار الله ، وذمة محمد النبي أبداً . وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق) [1]

هكذا نري أن الصديق رضي الله عنه صرح في هذا العهد الجديد بأنه كان علي سبيل الوفاء بكل ما كتبه لهم النبي وفي هذا وفاءً حميداً وحفظا أكيدا واحتراماً ثابتا للميثاق السابق الذي عقده النبي (ﷺ) .

ولما رأى عمر بن الخطاب –حين تولى الخلافة بعد أبي بكر –أن يجلي نصارى نجران من ديارهم ،حتى لا يكون في جزيرة العرب دينان لم يكن ذلك منه نقضا لمعاهدة النبي لهم ، ولا مخالفة لتجديد أبى بكر العهد لهم بل كان ذلك يرجع إلي تكييف عام لسياسة الدولة اقتنع به عمر ، فنفذه في حزم وعدل ، ولقد ظهر عدل الفاروق عمر في مسألة إجلاء النصارى عن نجران واضحا فقد كان العدل يقتضيه أن يعوضهم أرضا جديدة خارج جزيرة العرب بدلا من أرضهم ولهذا أمر عامله يعلي بن أمية أن يمسح أرض كل من يجلي منهم ويخيرهم البلدان التي يودون الذهاب إليها والمقام فيها وقد كان كتابه إلي يعلي بن أمية مثلا رائعا للعدالة الإسلامية فقال فيه "ائتهم ولا تفتنهم في دينهم ، ثم أجل من أقام منهم علي دينه ، وأقرر المسلم وامسح أرض كل من يجلي منهم ،ثم خيرهم البلدان وأعلنهم أنا نجليهم بأمر الله و رسوله ألا يترك بجزيرة العرب دينان . فليخرج من أقام علي دينه منهم .ثم نعطيهم أرضا

[1] راجع تاريخ الطبرى ٢/٥٣٤ –٥٣٥.

كأرضهم إقرارا لهم بالحق علي أنفسهم ، ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم من الريف"[1]

ولعدله رضي الله عنه لم يتركهم بلا راع بل تعهدهم بالرعاية الدائمة الموصولة خلال فترة الإجلاء وقد كتب لهم عهدا قال فيه" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لأهل نجران من سار منهم آمن بأمان الله لا يضره أحد من المسلمين ، وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبي وأبو بكر .أما بعد : فمن مروا به من أمراء الشام والعراق فليوسعهم من حرث الأرض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله ، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ،ولا مغرم . أما بعد ! فمن حضرهم من رجل مسلم ،فلينصرهم علي من ظلمهم ،فأنهم أقوام لهم الذمة . وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهرا ،من بعد أن يقدموا ، ولا يكلفوا ، إلا من صنعهم البر غير مظلومين ولا معتدي عليهم " [2] أين هذا الوفاء بالعهود والمواثيق من ممارسات اليهودالأمس واليوم من نكثهم العهود والاتفاقيات الدولية التي عقدت بينهم وبين العرب فلا هم احترموها ولانفذوا بنودها ولا وفوا لمعاقديهم بشيئ من مما تم الاتفاق عليه بل وضربوا بها عرض الحائط تحت سمع وبصر ما يسمى زورا وتخليطا المؤسسات الدولية .

١١- الرحمة والرفق :

خلقان عظيمان تخلق بهما المسلمون فهم أمة الرحمن الرحيم ثم أمة الرسول الرؤوف الرحيم وهم المتراحمون فيما بينهم والمأمورون برحمة غيرهم ليس مع اصحابهم وخلانهم ولكن الرحمة العامة ،قال رسول الله (ﷺ) :" لن تؤمنوا حتى تراحموا قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة"[3]،أي أمرهم الرسول الكريم (ﷺ) بتوسيع دائرة الرحمة ، وقال لهم أيضا (ﷺ)حاثا علي الرحمة العامة " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله "[4]وقال (ﷺ) "من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء "[5]وقال (ﷺ)

---

[1] ابن سعد ٣٥٨/١ ، تاريخ الطبرى ٦٣٢/٢.

[2] ابن سعد : الطبقات ٣٥٨/١.

[3] الحاكم المستدرك /٠ ٧٣١، شعب الايمان ١١٠٦٠ مجمع الزوائد ١٢٧٣١،٣٦٧١،كنز العمال ٢٥٢٦٨.

[4] مسلم ٢٣١٩ ،سنن الترمذى ١٩٢٢ ،٢٣٨١ مسند أحمد ١١٣٨٠ وغيرهم.

[5] المعجم الكبير ٢٤٩٧ ، كنز ٥٩٦.

من لا يرحم لا يرحم[1] وقال (ﷺ)"طوبى لمن ...رحم أهـل الذلـة والمسكنة"[2]وقال (ﷺ) "لا تنزع الرحمة إلا من شقي "[3]وهو القائل (ﷺ) "الرفق ما كان في شئ إلا زانه وما نـزع مـن شئ إلا شانه "[4] وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله "إن الله رفيق يحب الرفـق وليعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطي على سواه" [5] ويروى الطبراني عن جرير أن النبى (ﷺ) قال: إن الله عز وجل ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق (الحمق) وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير كله) [6]

وهو الذى أوصى عمرو بن مرة الجهنى عندما ذهب لدعوة قومه قائلا عليك بالرفق ولا تكـن فظا "[7]ومن كرم أخلاقهم أنهم جادوا برحمة قلوبهم وشفقتهم علي أعدائهم ولكن علـي غيـر المقاتلين من المدنيين ، وذلك لما علموه بأن الرحمة واجبة في التعامل مع البهائم والحيوانات وهي تؤدي كما أخبرهم الرسول الكريم (ﷺ)إلى الجنة كما في حديث المرأة البغي التي سـقت الكلب فى يوم شديد الحر فغفر الله لها وأدخلها الجنة"[8] فلئن كانت الرحمـة تغفـر ذنـوب البغايا، فلا شك أن الرحمة مع البشر أعلى قدراً أو أكثر مثوبة عند الله تبارك وتعالى، وعليـه فقد برز خلق الرحمة أثناء الحرب وبعدها مع المدنيين .

وقد نهى الإسلام عن قتل غير المقاتلين طالما أنهم بعيدون عن المعركة ولم يساعدوا المقاتلين بأي طريقة أو بأي حال من الأحوال وذلك تشديداً على حرمة سفك الدماء بدون حق حتى ولو كان من الأعداء لأن إذهاق هذه الأنفس ليس فيه اعتداء فقط بل هو إبادة للجـنس البـشري الواجب الحفاظ عليه لإعمار الكون ولذا شدد الله تعالى فى حرمة الدماء بين البشر، وقد وعى المسلمون هذه الحقيقة من خلال آي القرآن الكريم وهدى نبيهم.

---

[1] البخاري /٥٦٥١ ، مسلم ٢٣١٨.

[2] المعجم الكبير ٤٦١٦، شعب الإيمان ٣٣٨٨، سنن البيهقي الكبرى ٧٥٧٢.

[3] أبو داود / ٤٩٤٢ ، سنن الترمذي ١٩٢٣ ، مسند أحمد ٧٩٨٨، ٩٧٠٠ ... الخ صحيح ابن حبان ٤٦٢ ، المعجم الأوسط ٢٤٥٣ وغيرهم .

[4] شعب الإيمان ٦٨٨٥، كنز ٥٣٦٤.

[5] مسلم ٩٥٩٣، ابن ماجة ٣٦٨٨ ، أحمد ٩٠٢.

[6] المعجم الكبير٢٢٧٤.

[7] سيرة ابن كثير ٣١٥/١ ، ٣٧٧ ، البداية ٤٢٩/٢.

[8] البخارى ٣٢٨٠ ، مسلم٢٢٤٥.

كما كان المسلم صاحب الرسالة العالمية لا يبغى من وراء معاركه القتل لمجرد إرواء الغليل وإشباع شهوة الانتقام من الأعداء من خلال إذاية وقتل من لم يشترك فى القتال من المدنيين، بل كان يطمع دائماً فى هداية هؤلاء الأعداء من المدنيين الذين لا ناقة لهم ولا جمل فى الحروب، وتعامل مع هؤلاء بالشفقة والرحمة ولم يكن أبداً غليظ القلب مع من يرجو صلاحهم وهدايتهم وفى كل ذلك تبعاً لحبيبنا محمد (ﷺ) رحمة الله للعالمين الذين أوصى (ﷺ) بعوثه وسراياه بعدم إذاية المدنيين قائلاً "سيروا أو قال اغزوا وانطلقوا بسم الله وفى سبيل الله ولا تقتلوا وليداً"[1] أو قال (ﷺ)الولدان "[2] أو قال(ﷺ) " الذرية " كما جاء فى حديث الأسود بن سريع الذى قال " أتيت رسول الله (ﷺ) وغزوت معه فأصبت ظهرا فقتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان وقال مرة الذرية فبلغ ذلك رسول الله فقال "ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الولدان فقال رجل يا رسول الله إنما هم اولاد مشركين فقال(ﷺ)ألا إن خياركم أبناء المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكررها ثلاثا ثم قال كل نسمة تولد على الفطرة تعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها [3] ،وقال (ﷺ) "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى بركة رسول الله : لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة.[4]" ويقول (ﷺ) لخالد بن الوليد "لا تقتل ذرية ولا عسيفا"[5] كما أوصى رسول الله(ﷺ) بألا يقتل الرهبان قائلا : لا تقتلوا ..... أصحاب الصوامع "[6]

وسار خلفاؤه الكرام على هديه فتأمل وصية أبو بكر الصديق لما ودع جيوش الإيمان المجاهدة المتجهه إلى الشام قال لهم "لا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء ستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له"[7]

---

[1] موطأ مالك ٩٦٦، مسلم ١٧٣١ ، أبو داود ٢٦١٣ ، الترمذي ١٤٠٨، وغيرهم .

[2] المعجم الكبير ٢٣٠٤ .

[3] راجع أحمد ١٥٦٢٧ ، سنن البيهقى ١٧٨٦٨ ، حلية الأولياء ٢١٣/٨ .

[4] أبو داود ٢٦١٤، سنن البيهقي الكبرى ١٧٩٣٢ ، مصنف ابن أبي شيبة ٣٣١١٨، كنز العمال ١١٠١٣.

[5] أبو داود ٢٦٦٩ ، مسند أحمد ١٧٦٤٧، صحيح ابن حبان / ٤٧٩١ ، المستدرك ٢٥٦٥ ،المعجم الكبير ٤٦٢١ ، مصنف عبد الرزاق ٩٣٨٢ وغيرهم .

[6] المعجم الكبير ١١٥٦٢ ، مصنف عبد الرازق ٣٣١٣٢ ، سنن البيهقى ١٧٩٣٥ .

[7] كنز العمال ١١٤٠٨.

وأخرج مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر رضى الله عنه أوصى يزيد بن أبي سفيان إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له وستجد قوماً فحصوا عن أوساط رؤوسهم الشعر فأضرب ما فحصوا عنه بالسيف وأوصيك: لا تقتلن أمرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً...[1] وزاد البيهقى وغيره لا مريضا ولا راهبا[2] كما أوصى سيدنا عمر الفاروق أمراء الأجناد قائلا " لا تقتلوا امرأة ولا صبيا وأن تقتلوا ما جرت عليه الموسى"[3] (أى المحاربين) ، وقال أيضا لا تقتلوا وليدا [4] وقال رضى الله عنه " ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفى شنِ الغارات[5] .

وعليه فقد سار المسلمون فى حروبهم على هديه فى حياته وبعد مماته واتبعت الجيوش الإسلامية أوامر ربها فى الحفاظ على النفس البشرية وهدى نبيها(ﷺ) ، وقد مثلت أمام أعينهم هديه العملى فى هذا الخلق الكريم ونذكر فى ذلك أنه لما خرج (ﷺ) فى أحد الغزوات وسير سيدنا خالد بن الوليد فى مقدمة الجيش وإذا به أثناء السير يرى صحابته الكرام مجتمعين على امراة مقتولة فقال (ﷺ) مستنكرا " هاه ما كانت تقاتل[6] " أى أنكر قتل المرأة لأنها من المدنيين وكما مر بنا حرم (ﷺ) قتل الولدان وإهلاك الذرية وناقش صحابته الكرام فى هذا الأمر وبين لهم خطأ اجتهادهم فى هذا الأمر ، فلهذا أطاع الصحابة الكرام أمره واهتدوا بفعله وحرصوا على ذلك كل الحرص وذلك فى العصور الوسطى والعصور الحديثة حتى فى وقتنا هذا طالما أن المدنيين لم يشاركوا المقاتلين بأى حال من الأحوال ومن هنا كانوا فى حروبهم بهذا الخلق مصلحين فى الأرض غير مفسدين ، وهذا يجرنا إلى الحديث عن خلق آخر وهو:-

---

[1] الموطأ ٩٦٥ ، راجع كذلك سنن البيهقي الكبرى ١٧٩٢٧.

[2] البيهقى ١٧٩٣١.

[3] مصنف عبد الرازق ٣٣١١٩.

[4] مصنف عبد الرازق ٣٣١١٢ ، كنز ١١٤١٥.

[5] ابن عبد ربه : العقد ١١٩/١.

[6] صحيح ابن حبان ٤٧٨٩.

١٣- الإصلاح وتجنب المفسدة:

خلق آخر من أخلاق المسلمين طيب كريم وهو الإصلاح فى الأرض فإذا كانوا قد حافظوا على الإنسان وعلموا جيداً مدى حرمة قتله عند الله بغير وجه حق فإنهم حافظوا عليه أيضاً لأنه أصل العمران فى الأرض، بل ساعدوه فى إقامة هذا العمران فى الزرع ورعاية الضرع والمحافظة على مأواه من ديار ومنازل وكافة منشآت فلم يخربوا أي نوعية من العمران ، وذلك لما أوصاهم به (ﷺ) من وصايا هو وصحبه الكرام من الخلفاء إذ يقول (ﷺ) موصياً أصحابه بالإصلاح وعدم الإفساد قال (ﷺ) "أصلحواوأحسنوا إن الله يحب المحسنين "[١] وكان إذا بعث سرية (ﷺ) يقول لهم " لا تحرقوا كنيسة ولا تعقروا نخلا "[٢] كما اوصى آخرين " لا تغورن عينا ولا تعقرن شجرا إلا شجرا يمنعكم قتالا أو يحجز بينكم وبين المشركين ولا تمثلوا بآدمى أو بهيمة"[٣] وأوصى أمير مؤته وجنوده قائلا " لا تقطعن شجرة ولا تعقرن نخلا ولا تهدمن بيتا "[٤].

ووعى خلفاؤه الكرام هذه الوصايا الجامعة لرسول الله (ﷺ)وفهموا المراد منها فى الحفاظ على مقومات الحياة وعدم إفسادها والبعد عن إذاية الإنسان وماله ودياره وأماكن عبادته وأرضه ومزروعاته وحتى بهائمه وحيواناته ، ولذلك ما أخرجوا جندا للفتوحات إلا وكانت وصاتهم فى هذا السبيل واضحة مستمرة مفصلة حتى لا تخالف هذه الجيوش أوامر ربها وهدى نبيها (ﷺ) ونأخذ من تلك الوصايا وصايا الصديق أبى بكر رضى الله عنه إذ يقول لأجناده الذين خرجوا إلى بلاد الشام " لا تفسدوا فى الأرض"[٥] كما يوصيهم قائلا : لا تخربوا عمرانا ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه"[٦] وفى رواية أخرى " و لا تهدموا بيعة"[٧] كما أوصى يزيد بن أبى سفيان قائلا " لا تقطعوا مثمرا ولا تخربوا عامرا ولا

---

[١] راجع سنن البيهقى ١٧٩٣٢.

[٢] مصنف عبد الرازق ٩٤٣٠.

[٣] البيهقى ١٧٩٣٤.

[٤] البيهقى ١٧٩٣٥.

[٥] البيهقى ١٧٩٠٤.

[٦] سنن البيهقى ١٧٩٢٩.

[٧] سنن البيهقى ١٧٩٠٤ ، كنز العمال ١١٤٠٨.

تذبحوا بعيرا ولا بقرة إلا لمأكل ولا تغرقوا نخلا ولا تحرقوه "[1] وزاد آخرون[2] أنه قال قال ليزيد وجنده لا تهدموا بيعة و ولا تغرقوا نخلا ولا تحرقوا زرعا ولا تجسدوا بهيمة ولا تقطعوا شجرة مثمرة".

كما أوصى سيدنا عمر أمراء الأجناد وصية عامة شاملة لكل ما يتصل بالزراعة قائلا " واتقوا الله فى الفلاحين"[3]

وواقع حروب المسلمين فى عهد الرسول (ﷺ)وفى عهد خلفائه ومن بعدهم لم يأتنا خبرا ينم على مخالفة هؤلاء المجاهدين الأوائل وقادتهم الله ولا هدى نبيه ولا أوامر أولى الأمر أو قادة لأنهم علموا جيدا أن الله اجتباهم واصطفاهم من بين خلقه ليصلحوا فى الأرض لا ليفسدوا فيها ومكلفين بتوصيل رسالة الإصلاح لا للهيمنة والطغيان والفساد فى الأرض ،وكيف لا وهم يقرأون كتاب ربهم آناء الليل وأطراف النهار ووعوا آياته التى تحضهم على الإصلاح وتذم لهم الفساد ومنها على سبيل المثال "وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ"[4] "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " [5] "أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ"[6]

١٣- الإحسان :-

خلق كريم تحلي به المسلم فى سلمه وفى حربه كذلك إذ أمره الله سبحانه وتعالى به وهو الذي أوحى إلى نبيه محمد (ﷺ) آيات بينات كثيرة تأمره بالإحسان منها قوله تعالى " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[7] وقال تعالى " وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[8]

---

[1] سنن البيهقى ١٧٩٣١.

[2] كنز العمال ١١٤١١.

[3] مصنف عبد الرازق ٣١٣١٢٠ ، الكنز ١١٤١٥.

[4] البقرة ٢٠٥.

[5] القصص ٧٧.

[6] ص ٢٨.

[7] المائدة ٩٣.

[8] البقرة ١٩٥.

وحدد له فئات بعينها من المسلمين وجب على المسلم الإحسان إليها فقال تعالى " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ "[1] وقال " وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا "[2] مبيناً لهم تبارك وتعالى أن الجزاء على الإحسان لا يكون إلا بالإحسان " هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ"[3] كما أمر الله عز وجل المسلم أيضاً بالإحسان فى الحرب وبالذات على الضعفاء وذوي الحاجة والذلة من المدنيين كما رأينا سالفاً وكما سنرى ولذا وجدنا الرسول الكريم فى سنته يدفع صحبه الكرام إلى هذا الخلق الحسن دفعاً ويبين لهم (ﷺ)أنه ما كان خلق الإحسان فى إنسان إلا كان منفرداً عن غيره فيكون صاحب فضيلة ولهذا أمرهم به فى كل الأحوال فقال (ﷺ) "إن الله كتب الإحسان فى كل شيء"[4] أي فى كل الأحوال والظروف التي يشارك فيها المسلم أو يقول بأداء الأعمال فيها ، وصدق القائل المعلق على حديث رسول الله (ﷺ) "أكمل الناس إيماناً وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً خياركم خياركم لنسائهم"[5]بقوله لأن الإحسان من شيم النفس لا يكون فى موضع إلا كان فى كل أمر ولا غابت عن موضع إلا غابت عن كل أمر" .

ماتود أن نصل إليه أن الإحسان خلق ملازم للمسلم فى حياته جميعاً بحلوها ومرها سلمها وحربها لا يجبره ظرف صعب أن يتخلى عنه ولا يضره إذا قام غيره بالتخلي عنه أوحتى ظلمه وإنما تمسك به وتفرد به عن غيره من الذين خالطهم من أهل العقائد الأخرى أو ممن حاربهم من ذوي الملل الأخرى والمعتقدات الباطلة وهو فى ذلك مترجماً حديث رسول الله (ﷺ)"لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن ساءوا فلا تظلموا"[6].

---

[1] البقرة ٨٣.

[2] النساء ٣٦.

[3] الرحمن ٦٠.

[4] مسلم ١٩٥٥ ، أبو داود ٢٨١٥ وغيرهما.

[5] مصنف ابن أبي شيبه ٢٥٣١٨.

[6] الترمذي ٢٠٠٧.

وانظر إلى الصحب الكرام الذين تربوا فى مدرسة النبوة وجامعة محمد بن عبد الله (ﷺ)وكيف وصلوا بالإحسان إلى أعظم درجاته، فقد علموا من القرآن الكريم أن الله سبحانه مع المحسنين قال تعالى " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ "[1] التي ورد في تفسيرها ما يعلمنا أن الصحب والتابعين فهموا جيدا أن الإحسان إلى من يسئ إليهم هو الإحسان بعينه من خلال ما روى لهم عن سيدنا عيسى عليه السلام الذى قال إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك وليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك[2]" كما ضرب لهم الرسول(ﷺ)أروع الأمثلة في الإحسان كما سنرى القائل (ﷺ) لمن يخرجه فى بعث أو سرية "أصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"[3] وذلك فى إشارة طيبة لكظم الغيظ والسمو بالنفس فوق مقابح أخلاق الغير واتخاذ العفو والتسامح طريقاً مستقيماً ، حتى يرضوا ربهم بحسن دعوة الناس إلى دينه ، هداية منه وفضلاً " فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[4] فلا نبالغ إذا قلنا أن المسلم اتخذ خلق الإحسان طريقاً لدعوة الأعداء ومن إليهم إلى الإسلام وكان بالفعل طريقاً صالحاً ناجحاً لدخول الكثيرين فى الإسلام أثناء الحرب وبعدها. ولنأت على الأمثلة التطبيقية التي تؤكد على تخلق المسلمين بهذا الخلق أثناء الحروب وفترات العداء فهذا رسولهم الكريم (ﷺ) كم أسيىء إليه إلا أنه كان يحسن إلى أعدائه بحسن خلقه وكظم غيظه والعفو عنهم صبراً واحتساباً، لا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح فرغم أن كفار قريش آذوه بكل الوسائل وألصقوا به كل التهم إلا أنه (ﷺ) أحسن إليهمَ بعفوه وصبر عليهم بحرصه على هدايتهم مقرباً بينهم وبينه بكل وسيلة استطاعها مرضية من ربه يسدى إليهم النصح والتوجيه محذراً إياهم من النار وعذابها فهو القائل لهم "أنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تقتحمون فيها"[5] مما يدل على حرصه عليهم، وهو القائل متحبباً ومتقرباً "إن الرائد لا يكذب أهله" وهم قد قست قلوبهم

---

[1] العنكبوت٦٩.

[2] تفسير ابن كثير ٦/٢٩٦.

[3] سنن البيهقي ١٧٩٢، سنن أبوداود ٢٦١٤.

[4] المائدة ١٣.

[5] البخارى ٦١١٨ ، الترمذى ٢٨٧٤.

وصارت أفئدتهم هواء ظلماً وتجبراً حتى بلغ منه الجهد مبلغة وشق عليه الأمر في النصح والتوجيه فحزن لذلك فخاطبه ربه قائلاً " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا"[1] ولكن حزنه هذا والمشقة والجهد في دعوتهم فضلاً عن الأذى المادي والمعنوي لم يؤثر كل ذلك في أخلاقياته ويجعله حانقاً متمنياً لهم الشرور والهلاك فلما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين قال: لا اللهم اهد قومي فأنهم لا يعلمون. بل قال (ﷺ) إحساناً منه وفضلاً ورغبة في هدايتهم "عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً"[2] فأتت ثمرات العفو والإحسان ناضجة حلوة مفيدة غاية الإفادة فأسلم من أمسك براية الجهاد وقام بأشهر الفتوحات ووصل الدعوة إلى أوج عظمتها أمثال عمرو بن العاص بن وائل السهمي وخالد بن الوليد بن عتبه وعكرمة بن أبي جهل ... وغيرهم ثم هداية الله للجميع يوم الفتح الأكبر في مكة.

ولما أخرجوه من مكة وازداد طغيانهم وعمت أبصارهم عن الحقيقة وأرادوا ملاحقة محمد وأصحابه في المدينة خذلهم الله سبحانه وتعالى أمام جمع الإيمان في بدر الكبرى وهزموا هزيمة نكراء وأسر منهم سبعين رجلاً، والمتوقع في مثل هذه الأحوال أن يأمر (ﷺ) بقتلهم جميعاً تشفياً وانتقاماً مما فعله هؤلاء وذويهم من مشركي مكة به وبصحبه الكرام إلا أنه الرءوف الرحيم ذي الإحسان والمن قال لأصحابه الكرام بعد أن فرق الأسرى فيهم استوصوا بالأسارى خيراً"[3] فامتثل صحبه الكرام رضوان الله عليهم نصحيته (ﷺ) إذ يحكى أحد الأسرى وهو أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير رضى الله عنهما قال كنت في الأسرى يوم بدر فقال رسول الله (ﷺ) "استوصوا بالأسرى خيراً" وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البر لوصية رسول الله (ﷺ) إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبر إلا نفحني بها فاستحي فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها[4]. ثم قام (ﷺ) بعد ذلك بقبول فديتهم دون قتلهم إلا نفراً منهم أساءوا قبل ذلك لرسول الله (ﷺ)

---

[1] سورة الكهف ٦.

[2] البخاري ٣٠٥٩ ، مسلم ١٧٩٥، صحيح ابن حبان ٦٥٦١، سنن النسائي الكبرى ٧٧٠٦.

[3] المعجم الكبير ٩٧٧، المعجم الصغير ٤٠٩، مجمع الزوائد ١٠٠٧.

[4] نفس مصادر الحاشية السابقة.

ونذر إن ظفر منهم ليقتلهم كما حدث مع النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط اللذين كانا من شر الناس وأكثر كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وأكثرهم قولاً فى الإسلام وأهله.[1]

صار المن والفداء بعد ذلك سنة متبعة عن رسول الله (ﷺ) لما تأكد هذا الفعل بعد ذلك فى أكثر من موضع فلما هبط عليه فى صلح الحديبية ثمانون من قريش متسلحون يريدون غرته فأسرهم (ﷺ) ثم من عليهم بعد ذلك[2]، ولما أسر (ﷺ) ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة، من عليه وأطلقه وكل ذلك لخلق الإحسان من جانبه (ﷺ) الموجه فى سبيل دعوة العباد إلى الإسلام ولذا نجد أن أغلب الذين لم يقتلوا ومن عليهم (ﷺ) بقبول الفداء من أسرى بدر قد أسلموا وخرج فعلاً من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله ، وكذلك أسلم ثمامة بن آثال سيد بني حنيفة الذي قال أثناء أسره وربطه فى سارية المسجد كلاماً لرسول الله(ﷺ) لو قيل لأحد غيره (ﷺ) لأمر بقتله فى الحال ولكنه(ﷺ) كان متسامحاً محسناً عفواً وهو ما لاحظه ثمامة نفسه من صفات للنبي (ﷺ)فلما أطلقه (ﷺ) بادر هو بنفسه فاغتسل وتوضأ وأعلن إسلامه رضى الله عنه وصار جندياً من جنود الإسلام.[3]

ومما يدهش الإنسان أن إحسانه وعفوه وتسامحه هذا كان لا يتعدى على مصلحة المسلمين بل عمل من أجل نشر الدعوة والقيام بأمور المسلمين وبما يصلح أحوالهم فإن رأى فى إطلاق أسير مضره فإنه (ﷺ) يقضي بقتله. إذ لم يجد مع الأسير مالاً أو لم يستطع أهله فدائه يفديه ولكن مقابل عمل يؤديه مثلما حدث مع أسارى بدر الذين جعل لكل واحد منهم له مال أن يعلم عشرة من أبناء الصحابة الكرام القراءة والكتابة، حتى من لم يجد معه مالاً ولم يستطع أهله فداؤه أطلقه (ﷺ) لكى يكون علامة من علامات عز الدعوة وعلو يد المسلمين ، أو لقضاء حكم يريده الله أو تقرير فعل من قبل الرسول (ﷺ) لأصحابه فى المستقبل مما يصب جميعه فى مصلحة الإسلام والمسلمين ، وقصة أبو عزه عمرو بن عبد الله بن حذافة الشاعر مثل فى ذلك إذ من عليه الرسول (ﷺ) بعد أن قال له يارسول الله لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فأمنن على فمن عليه الرسول (ﷺ) وأخذ عليه ألا يظاهر أحداً عليه بشعره فمدح

---

[1] راجع سيرة ابن هشام ٧/٢ ، ١٠ ، ٢٠٣.

[2] ابن هشام السيرة ٢٠٢/٣.

[3] راجع قصة إسلامه : البخاري ٤١١٤ ، مسند أحمد ٧٣٥٥ – ٩٨٣٢ ، صحيح ابن حبان ١٢٣٩، سنن البيهقي ٧٧٦،٧٧٧.

الرسول . ولكن هذا الخائن نقض عهد رسول الله ولعب الكفار بعقله وجعلوه يهجو رسول الله (ﷺ) ويعرض بالمسلمين وشاء الله أن يكون أسيراً يوم أحد فسأل النبي أن يمن عليه فقال له (ﷺ) لا أدعك تمسح بعارضيك وتقول : خدعت محمداً مرتين "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"[1].

إذا كان هذا حاله مع الرجال من الإحسان والعفو فماذا كان عليه (ﷺ) مع السبايا النساء فإنه (ﷺ) كان أكثر إحساناً وعفواً إذ ورد عنه (ﷺ) أنه رد سبي هوازن عليهم بعد القسمة واستطاب قلوب الغانمين فطيبوا لهم، إذ جاء وفد من هوازن مسلمين فسألهم أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فخيرهم (ﷺ) فأختاروا رد السبي فقام (ﷺ) فى الصحابة خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤنا تائبين وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك يارسول الله لهم"[2].

ولكن إذا لم يجد بداً لذلك كان (ﷺ) يسترق سبي العرب كما كان يسترق غيرهم من أهل الكتاب ويوزعها على أصحابه الكرام ولكن الرسول (ﷺ) الروءف الرحيم الذي وهبه الله تبارك وتعالى خلق الإحسان جاد به على من لم يجد سبيلاً من الرجال والنساء إلى الفداء، فكان (ﷺ) يمنع التفريق فى السبي بين الوالدة وولدها ويقول (ﷺ) "من فرق بين والده وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة"[3]. وعندما كان يؤتى إليه بالسبي والأسرى ، فيعطى أهل البيت جميعاً كراهية أن يفرق بينهم[4].وزاد إحسانا (ﷺ) أنه كان يحض أصحابه الكرام على عتق الرقيق والسبايا فروى عنه ﷺ) أنه قال : " أيما رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها فله أجران "[5] وعن أبي ذر رضى الله عنه قال سألت رسول الله (ﷺ) أي العمل أفضل قال إيمان بالله وجهاد فى سبيله قلت فأي الرقاب أفضل قال:" أغلاها ثمناً وأنفسها عند

---

[1] مسلم ٢٩٩٨، سنن البيهقي ١٢٦١٨، ١٧٨٠٨.

[2] البخاري ٢١٨٤، ٢٩٦٣ ، ٤٠٦٤ سنن أبو داود ٢٦٩٣ إلخ .

[3] أحمد ٢٣٥٦٠ ، الترمذي ١٢٨٣ ، ١٥٦٦ المستدرك ، ٢٣٣٤.

[4] زاد المعاد ١١٤/٣.

[5] البخاري ٢٤٠٩، ٣٢٦٢، وفي رواية مسلم زيادة قبل فأدبها "فغذاها فأحسن غذاءها"راجع رقم١٥٤.

أهلها"[1]ويروي الإمام مسلم[2] أنه (ﷺ)قال:"من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضومنها عضوا من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه"وروي عن أبي هريرة قال :ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث،سمعت رسول الله(ﷺ)يقول فيهم:هم أشد أمتي على الدجال،قال :وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله(ﷺ):هذه صدقات قومنا،وكانت سبية منهم عند عائشة فقال(ﷺ):"أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل"[3]وغيرها من الأحاديث، فاستجاب الصحابة رضوان الله عليهم لنداء الرحمة والإحسان ولبوا داعي الله إلى الجنان وضربوا المثل الأنصع فى الإحسان، وندلل على ذلك أنه حينما قسم أسرى وسبى بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السبي لثابت بن قيس بن شماس فكاتبته على نفسها فقضى رسول الله(ﷺ) كتابتها ثم تزوجها(ﷺ) وأعتق بزواجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق قام الصحابة الكرام بعتقهم جميعاً إكراماً لصهر رسول الله (ﷺ)"[4].

وانظر أخي إلى عفوه وبره وإحسانه (ﷺ) عند فتح مكة فى العام الثامن من هجرته الشريفة ، دخلها منتصراً وهدم أصنام الكعبة ثم قام على باب الكعبة فخطب فى الناس وقال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم (قالوا أخ كريم وابن أخ كريم) قال ذو الخلق الرفيع الذي علم الإحسان : إذهبوا فأنتم الطلقاء ، ثم جلس(ﷺ) فى المسجد فقام إليه الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومفتاح الكعبة فى يده (ﷺ) فقال يارسول الله أجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال :رسول الله (ﷺ) لا أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له فقال : "هاك مفتاحك يا عثمان اليوم بر ووفاء"[5] فهذا إحسان منه كبير وذلك لأن عثمان بن طلحة حتى هذا اليوم لم يكن قد أسلم بعد ومع ذلك فإن إحسانه(ﷺ) كان واسعاً شمل الذين أسلموا والذين لم يسلموا وحفظ على كل قرشى حقوقه لا طمعاً فى شيء إلا هداية الجميع فأعطى للإمام علي والمسلمين درساً فى وجوب العفو والتسامح بل والإحسان فما أجمل العفو عند المقدرة.

---

[1] البخاري ٢٣٨٢.

[2] صحيحه ١٥٠٩ .

[3] البخاري ٢٤٠٥،٤١٠٨،٤٧٩٥.

[4] أحمد ٢٦٤٠٨ ، أبو داود ٣٩٣١، المستدرك ٦٧٧٩ ، سنن البيهقي الكبرى ١٧٨٥٢.

[5] سيرة ابن كثير ٥٧٠/٣ ، البداية ٣٤٤/٤ ،عيون الأثر١٩٩/٢، سبل الهدى ٢٤٤/٥ ، الروض ٢٣٣/٧.

ويا لها من أخلاق كريمة من رسول الله(ﷺ) ماذا يا ترى لو حدث أن جيشاً فاتحاً دخل مدينة أعدائه قديماً كان أو فى العصر الحديث والله ما وجدنا ولا قرأنا عن الصليبيين فى العصور الوسطى ولا المستعمرين فى العصر الحديث ولا المحتلين الغاصبين فى وقتنا الراهن إلا التخريب والدماء والقتل والسلب وهجمات بربرية على مجتمعات آمنة أو كانت آمنة مطمئنة فجاء هؤلاء الذين يدعون الحضارة والتقدم فروعوها وأفزعوا أهلها وأخربوا عمرانها واستولوا على مواردهم وأرزاقهم وتركوا هذه الشعوب تئن من آلام ما فعلوه عند نصرهم، فشتان بين مكارم أخلاق للرسول وصحابته الكرام تؤدي إلي الهداية والإنصياع لأوامر الله وبين مقابح أخلاق تخلق بها المنتصرون من يهود ونصارى من أجل مطامع دنيوية وأمجاد شخصية وقومية زائلة .

خاتمة

"تعالوا إلى كلمة سواء"

أما بعد فهذه هى أخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية ، الحرب التي ما كانت إلا للإسلام وبالإسلام، شرعها الله تبارك وتعالى وخاضها المسلمون بشرعه جل فى علاه، وعلى سنة نبيه (ﷺ) الذي لا ينطق عن الهوى وكان فى أخلاقه نبراساً اهتدى به أصحابه الكرام فى حروبهم التي أذن الله سبحانه وتعالى لهم بها دفاعاً عن الدين ورداً للاعتداء وما خاضوها لدنيا يصيبونها وإنما خاضوها فى الله جهاداً فى سبيله وتوصيل الدعوة إلى العالمين كما أرادها الله تبارك وتعالى ... خاضوها بغروسات طيبة من الرسول الكريم (ﷺ) الذي غرس فيهم الأخلاق الحميدة والسلوك القويم الذي مارسه (ﷺ) فى حياتهم وحروبهم فكان المعلم والعامل بما يعلم ، فما مارسه (ﷺ) من أخلاق فعلاً أو تقريراً كان صحابته الكرام رضوان الله عليهم يفعلونه فكانت هذه الأخلاق لهم خير معين لخوض حروب نظيفة شملت فيها أخلاقهم الطيبة إخوانهم من المسلمين وعدوهم الذين يحاربونه أيضاً ، همهم الأكبر وغايتهم العظمى نشر الإسلام وهداية العالمين لا بقوة السيف والإرهاب كما علمنا ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة والسلوك القويم والأخلاق الحميدة فكان المسلم فى ميدان الحرب بأخلاقه العالية مثلاً طيباً لجذب الآخرين نحو الإسلام وهذا كان مبتغى المسلم لنيل الجائزة من الله إذ قال صاحبهم وحبيبنا (ﷺ) " لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم[1] فكيف بالله عليكم يا من ملأت قلوبهم بالحقد والكراهية.ولفتهم الصليبية وسربلتهم الصهيونية العالمية نشر الإسلام بحد السيف ، تأملوا فى ما كتبنا من أخلاق وإلا بالله عليكم دعونا نقارن مقارنة بسيطة بين حروب من تتقولون عليهم وبين حروبكم أنتم فى الماضي والحاضر وبين أخلاق المسلمين فى حروبهم وأخلاقياتكم أنتم فى حروبكم.

والمقارنة هنا لا تكون تفصيلية بل ستكون فى غاية البساطة حسبما يقتضي البحث وما هي إلا إطلالة من أجل المساعدة فى إصدار حكم عادل عن الإسلام وأهله إذا أردتم ذلك ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نأتي بكل خلق إسلامي تخلق به المسلم فى جهاده ونقول لكم أين هو فيكم؟ لأن هذا فى الحقيقة يحتاج إلى مؤلف خاص ومن ثم سنأخذ نماذج من هذه الأخلاقيات

---

[1] البخارى ٢٧٨٣ ، ٢٨٤٧ ، مسلم ٢٤٠٦ ، أبوداود ٣٦٦١ ، ابن حبان ٦٩٣٢ ، المعجم الكبير ٥٨١٨ ، ٥٨٧٧.

الإسلامية ونرى هل كانت لها مثيل عندكم ماذا كنتم عليه فى حروبكم؟ لتستبين الحقيقة أمام الجميع.

فيا من تقولون يهوداً ونصارى وملحدين بالشبهات حول الإسلام وتطعنون فيه كدين وفى محمد (ﷺ) كرسول وتسلخون محمدا وأصحابه من أخلاقيات كانت حقائق فى حياتهم كما رأينا ، أين أخلاقيات الأسباب والأهداف للحروب عندكم؟ تعالوا بنا نذكركم بأسباب ما قمتم به من غارات وحروب على عالم الإسلام خاصة فى العصور الوسطى والحديثة والوقت الحاضر ، فمنذ أن بعث النبي الخاتم (ﷺ) وعلمتم بخروجه وقفتم له ولدعوته بالمرصاد أرادتم يهود ونصارى التخلص منه رغم دعوته الحسنة ومعاملته الطيبة لكم تلك المعاملة التي ظهرت فى أخلاقه وسلوكياته فى السلم والحرب والتي ورثها لأتباعه الكرام فساروا عليها ولم يحيدوا عنها قيد أنملة حتى مع من عاش منكم بين ظهرانيهم لم يؤاخذوهم بجريرة ما صنعتموه أنتم يا من أبيتم إلا الكفر والبقاء على الشرك كما أنتم ، نقول وقفتم له بالمرصاد وشرعتم أسلحتكم وحشدتم حشودكم ونوعتم قواكم لماذا؟ نقول لكم لا لشيء إلا للقضاء على الإسلام وأهله وحصدهم وإبادتهم ، هذا هو هدفكم الوحيد المنشود من جانب الإعداد والاستعداد وضعتموه نصب أعينكم وعملتم جاهدين بكافة الوسائل لتحقيقه ولم تفتر عزائمكم منذ بعثته حتى الآن، ما يفشل جيل فى تحقيق هذا إلا كان الجيل الذي يليه حريصاً على تحقيقه، ميراث مذموم حافظ الخلف فيه على تحقيق رغبة السلف. ولما فشل يهود فى التخلص من محمد (ﷺ) بالقتل رغم إحسانه إليهم عاشوا يدسون عليه ولما مات (ﷺ) وضعوا الإسلام وأهله هدفا منشوداً وعملوا سراً وعلانية من أجل القضاء عليهما ، فتحالفوا مع قوى الشر خلال العصور المختلفة لتحقيق هذا الهدف بأي وسيلة من الوسائل لأنهم كانوا أشد عداوة للذين آمنوا ونجحوا فى إقامة كيان فى قلب العالم الإسلامي يكيدون من خلاله للإسلام وأهله سائرين فى سبيل هدفهم المنشود،ولكن هيهات هيهات لما يريدون؟ فالله خير حافظاً وأمة محمد (ﷺ) خاتمة الأمم ورسولها خاتم الرسل ورسالتها آخر الرسالات إلى يوم الدين وستبقى ما بقيت الحياة على الأرض ذلك تقدير العزيز العليم.

أما النصارى الذين كانوا فى عهد الرسول الكريم (ﷺ) أقرب الناس مودة للذين آمنوا فياليتهم ظلوا كذلك فعندما دعاهم (ﷺ)إلى الإسلام أبى ملوكهم ورؤسائهم إلا الكفر والبقاء على ما هم فيه من شرك، بل نجدهم يترصدون لدعوة محمد (ﷺ)ويحشدوا له الحشود حتى لا تمتد دعوته

خارج جزيرة العرب لأنهم علموا أنه النبي الحق ودعوته دعوة الحق وسيملك ما تحت أقدامهم كما قال قائلهم[1] وللحفاظ على ملكهم وطاعة أو قل خوفاً من رجال دينهم ولا هوتهم رفضوا الإسلام حشدوا الحشود لحصره فى جزيرة العرب كما قلنا ، ولكن خاب ظنهم وضاع أملهم وبلغ الرسول(ﷺ) دعوته فى الشام وخرجت إلى الحبشة وسار صحبه على نهجه فى هذا، فما كاد ينتهي القرن الأول حتى ساد الإسلام أغلب بلدانهم فى الشام ومصر وأفريقيا والأندلس، ودخل أهلها من النصارى فى دين الله أفواجاً وعاش من بقى منهم على عقيدته محبواً مكرماً من المسلمين على مر العصور والدهور، ولكن جئتم أنتم نصارى الغرب فى عصور ظلامكم ونفثتم على المسلمين ما هم فيه من نعمة وحضارة وملأ الحقد قلوبكم وبالذات رجال دينكم من باباوات وقساوسة بعد أن صار لهم باع طويل فى السياسة والسلطان وحولوا الكنيسة بيت العبادة كما هو مفترض للصلاة والوعظ والإرشاد والإصلاح إلى غرفة قيادة تخطط وتدبر وتثير شهوة القتال وتحض على العداوة والتباغض بين البشر ، بل إلى كنيسة مقاتلة بمعنى الكلمة حولوا المسيحية الرافضة أصلاً لفكرة الحرب إلى داعية لحرب ظالمة أطلقوا عليها زوراً وبهتاناً "الحرب المقدسة" من أجل تأمين الحج لبيت القدس !!! ومع أني لا أعول على كتبهم المزيفة ولكني التقط فقط قولاً يرددونه كثيراً ورد فى إنجيل متى على لسان المسيح عليه السلام "سمعتم أن قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً"[2] فهل سرتم على هذه التعليمات أم غلبتم الشر بالخير ؟! هل رفضتم العنف واستخدمتم السلام ؟! كلا كلا ما اتبعتم المسيح فى تعاليمه ولاسرتم على هديه ولكن غرتكم الحياة الدنيا وسلكتم سبل الضلال وما أردتم غير التجبر والطغيان ثم أي عنف تعرضتم له من قبل المسلمين حتى يدعو البابا أوربان الثاني لهذه الحرب لتقابلوا العنف بالعنف والشر بالشر ولكنها البابوية التي صارت قوة سياسية ذات مصالح دنيوية مثل سائر الحكومات والقوى السياسية[3] فرض عليها بصفتها الدينية أن تبحث

---

[1] قالها هرقل قيصر الروم لما فرغ من حواره مع أبى سفيان بن حرب عن محمد ودعوته ويقال أنه اثناء رحيله عن الشام قال عليك يا سوريا السلام سلام لارجعة فيه.

[2] قاسم عبده قاسم : الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية ، عين للدراسات ، البحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة سنة ١٩٩٩ صـ١٣.

[3] المرجع السابق صـ٢٠.

عن تبرير للاعتداء على الآمنين فما كان أفضل من فكرة الحرب المقدسة واتخاذ الصليب شعاراً ولإيهام الساسة والعامة أيضاً بقدسية هذه الحرب، اقحموا اسم المسيح فيها فقالوا: "حرب المسيح"

إذا اتخذت البابوية العنف وسيلة والدين ستاراً لتحقيق هدفها الأسمى منذ عهد أوربان الثاني حتى الآن وهو القضاء على الإسلام وأخوة لهم فى الإنسانية مأمورين أصلاً بالحفاظ عليهم والتعارف كما يحافظون على أنفسهم، كما بين قرآننا " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[1]فضلاً عن الحض على إحيائها دون إماتتها أو قتلها؟ " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ "[2]ولخبث الهدف كان سوء الاستعداد للجندي المقاتل الذي خدع أيضاً بالحرب المقدسة إذ أعدوه نفسياً لخوض حروب قذرة بمعنى الكلمة بسبب ما أشاعته البابوية والوعاظ الجوالون بأوربا من أفكار حثت الناس على كراهية الغير والتعصب ضد اتباع الديانات الأخرى والمقصود هنا المسلمين ، الذين سماهم رجال الدين باسم "الوثنيين المخذولين"[3] والبرابرة وإلى غيرها من ألفاظ تدل دلالة قاطعة على الكراهية الشديدة للمسلمين ، وكذب الداعي الأول إلى هذه الحرب أوربان الثاني حينما أثار حفيظة هؤلاء المحاربين بأن المسلمين هاجوا وغزوا ونهبوا الكنائس مستولين على مدينة الرب أي القدس . كما وصفهم بالوحشية وأنهم استعبدوا المسيحيين ولكل هذا عندما وصل هذا المحارب إلى الشرق الذي وصفوه لهم بأنه أرض اللبن والعسل إغراء وطمعاً فى أن يبادر إلى هذه الحرب لم يكن فى جعبته إلا هذه الأفكار والعقد النفسية التي أوصلته إلى ارتكاب المجازر البشرية ويا لها من مذبحة مروعة استفاض فى وصفها المؤرخون الشرقيون والغربيون حيث أبيحت القدس على مدى أيام ثلاث للنهب والسلب واستعر القتل حتى فاض الدم فى الشوارع وتكدست الجثث فى الدروب نتيجة للإعداد السيء والأهداف الخبيثة التي من أجلها شنت هذه الحروب ، فأين هذه من أخلاقيات الاستعداد

---

[1] الحجرات ١٣.

[2] المائدة ٣٢.

[3] قاسم عبده : الخلفية صـ٢٥.

والغايات والأهداف عند المسلمين التي قام بها نبي الإسلام الذي ما أراد إلا خير البشرية وهدايتها.

وإذا نظرنا إلى حروب أوربا ضد المسلمين خلال العصور الحديثة وهو ما عرف خطأ باسم الاستعمار فهو الاستخراب بعينه فأولئك ما جاءوا ليعودوا وإنما جاءوا للإستقرار والنهب المنظم لخيرات البلاد الإسلامية الشرقية منها والغربية وما أغرى القادة ورجال الحرب الجنود إلا بهذا وفوق كل ذلك كان العداء الموروث للإسلام والمسلمين ومحاولة استعبادهم وإن شئت قل لإبادتهم ، فما كانت حروبهم إلا ذات صفة صليبية أيضاً، والأمثلة الدالة عل ذلك متعددة مثبوتة فى بطون المراجع ، ولكن يعبر عنها جميعاً قول اللمبي عندما دخل فلسطين قائلاً :ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين مما يدل على صليبية عفنة وحب انتقام شديد وإعداد غير مستقيم للقائد والمقود فى هذه الجيوش الإستخرابية المقذوف بها إلى بلاد المسلمين لمصلحة الدول الأوربية وساستها رداً وانتقاماً من المسلمين على فتوحاتهم السابقة ومنع أي قوة إسلامية من الظهور بل وسحقها قبل أن تنمو وتترعرع منسجمة طبائعهم فى ذلك مع أجدادهم الصليبيين التي عانت عقدة النقص تجاه المسلمين وهذا يفسر لنا سر المذابح والبطش الذي مارسه أولئك المستخربون على شعوب العالم الإسلامي ، فالتشفي والانتقام نتيجة طبيعية للإعداد النفسي الغير سوي لهؤلاء المحاربين فى العصور الوسطى والحديثة بل فى الوقت الراهن فما يقبل عليه قادة الغرب وخاصة أمريكا مع بريطانيا فى سبيل إذلال المسلمين ونهب ثرواتهم وخبراتهم ما هو إلا تربية دينية غير سليمة والتشبع بأفكار تثير الكراهية والحقد وحب الانتقام من الغير وهم المسلمين ، وهو ما عبرت عنه كلمات ساستهم ومفكريهم فى أغلب الأحيان والعديد من المناسبات ألم يقل بوش المجنون عندما بدأ حربه على العراق "الآن بدأت الحروب الصليبية" قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ"[1] " وقال إنها حرب صليبية طويلة المدى وتحتاج إلى صبر، وهذه الكلمة لم تكن ذلة لسان كما قال هو بل فضح الله ما فى قلبه وقلوبهم ، فالحرب الصليبية لم تنته ولم تنقطع وإنما بدأت فى حقبة جديدة أكثر ضراوة ووحشية فى محاولات مستميتة للقضاء على الإسلام وأهله متخذة صوراً واشكالاً متعددة وأظهرها الحملات العسكرية والحروب المدمرة مدفوعة

---

[1] سورة آل عمران ١١٨.

فى ذلك بالكراهية والعداء للإسلام والمسلمين والاستيلاء على أرضه ونهب خيراته متفقة مع الصهيونية العالمية وكيانها الخبيث إسرائيل ، ومن ثم رأينا وشاهدنا حروبا انتقامية فىالبوسنة والهرسك وفى الخليج ولبنان وفلسطين وما يحدث الآن فى العراق ما هو إلا انتقام مقيت يعبر عن تلك الشخصية الصليبية ذات العقد النفسية المتأصلة التي أعدت إعداداً سيئاً لتدمر الأخضر واليابس وتهلك النسل الإسلامي وتحقق أهداف البابـاوات رءوس الكنيسة الخبثاء والساسة البلهاء والصهيونية الفاسدة .

أين كل هذا من الإعداد السليم للمجاهد المسلم الذي كان هداية شخص على يديه خير له من الدنيا وما فيها ، واضعاً فى حسبانه نعيم الآخرة مفضلاً إياه على نعيم الدنيا وملذاتها مستبعداً فكرة السعادة عل حساب آلام الآخرين التي يسعد بها الصليبيون قديماً وحديثاً.

وإذا نظرنا إلى أخلاقيات المسلم فى حروبه كما جاءت فى سيرة الرسول(ﷺ) العطرة نجد أن الإعداد السوى لأولئك الجند أفرز أخلاقيات للمسلم ما وجدناها فى محارب قديما ولا حديثاً إذ أحب الجهاد فى سبيل الله لا فى سبيل المال والثروات وحب الدنيا وملذاتها، مقبلاً عليه غير مدبر ولا جباناً مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ملأ قلبه اليقين بنصر الله تعالى وصدق الله فى ذلك فصدقه ربه بأن منحه النصر فى معاركه وأعانه فى نشر دعوته وأداء رسالته ، بخلق الطاعة للأمير فى غير معصية الله وقدر العمل الجماعي والمشورة فكان هو وإخوانه معتصمين بحبل الله المتين، متراحمين فيما بينهم، مستفيدين بتبادل الآراء فيما بينهم فى التنظيم والتخطيط مما نتج عنه النصر بإذن ربهم ، تخلقوا بالصبر والشجاعة والإقدام فصاروا أعزة على الكافرين وخاصة المقاتلين منهم فأظهروا أمامهم الخيلاء ومع ذلك استحيوا من الله تبارك وتعالى أن يراهم فى معاركهم هذه على معصية له وتعففوا عن الغلول أين كل هذا من أخلاق المقاتلين المحاربين من نصارى ويهود والذين تقولوا على هؤلاء الكرام زوراً وبهتاناً وعلى نبيهم الأقاويل ؟ أين مسارعتهم للقتال والأنباء تتوارد لنا الآن عن الجنود اليهود الذين يمتنعون عن الحرب لإيمانهم العميق بقذراتها ، ومنهم من لم يتقدم خوفاً وجبناً رغم أنه مدجج بالسلاح وعنده أحدث العتاد، هل يتأتى ذلك إلا للخواء الروحي وتمكن عقيدة الانتقام والتشفي عند هذا الجندي التي كشفت قذارة تصرفاته وسوء أخلاقه فيما يخوض من حروب فليس له هدف نبيل ولا وسيلة شريفة ولا أخلاق كريمة ولا إله يلجأ إليه فى ملماته وشدائده، ومن يصدق ويخلص النية له حتى يصدقه ، فليس أمامه إلا قائد غبي يسير ورائه أوزعيم أبله يصدر أوامره لتنفذ

فى ميادين الحرب والقتال وربما خاض هذا الجندى تلك الحروب تحت شعارات يعلم حقيقتهـا تماماً ولكنه يخوضها بصليبية تغذي بها فلا يحتاج إلى من يثيره فى أرض المعركة ومن هنـا التقت الرغبات دون التواصل بين القائد وهذا الجندي فأنعدمت بينهما المشورة وسـاد بينـهم الجبر والقسر وذلك بوجوب تنفيذ الأوامر صائبة كانت أم خاطئة.فولد كل هذا مقاتلاً مقهـوراً ملئ بالعقد النفسية فغير الجبن وجدناه ذليل النفس عجولاً، نهاباً سفاكاً للدماء ومحباً لرؤيتها ، سادياً يعذب المقهورين دون خجل ولا حياء تساوي فى ذلك ذكورهم وإناثهم مرتكبون للآثام والفواحش فى هذه الحروب معتدين على الحرمات والأعراض نحن لا نقول ولا نهرف بكـلام غير مفهوم ، أونكتب نصاً إنشائياً بعيداً عن الواقع بل أن تاريخهم ملئ بما يثبـت المواقـف المبرزة لهذه الأخلاقيات السيئة التي لا يصح أصلاً مقارنتها بأخلاق المسلم الذاتية وأخلاقياته فى تعامله مع الغير من نبالة الهدف وعدم التعدي ومحبةهداية الآخرين لما يؤمن به ويعتقده بالحكمة والموعظة الحسنة وما نشأ عن ذلك من مسارعة إلى السلم إذا دعى إليه والتقرب إلى الأعداء طمعاً فى هدايتهم وسلامة الصدر التي أفرزت مقاتلاً محباً للسلام وفياً بالعهد رحيمـاً رفيقاً بأعدائه محسناً قدر طاقته ، فأين هذه الأخلاقيات الطيبة من أولئك الذين ملأت قلـوبهم حقداً حسداً ونفوسهم عقد نفسيةارتدت آثارها على نفسه وزملائه وعلى أعدائه . كذلك الذين كان لهم النصيب الأوفى من هذه الأخلاقيات السيئة .

هذه العقد النفسية التي تربى عليها الجندي الصليبي فى العصور الوسطى هي نفسها تلـك التي خاض بها حروب الاستخراب للعالم الإسلامي في العصور الحديثة و وقتنا الحاضر .
وخرجت فى صور كثيرة ومتنوعة من التعذيب والبطش ومحاولة إبادةأهل البلد الذي يدخلونه وهذه حقبة سوداء فى تاريخ البشرية ووصمة عار على جبين الإنسانية اغتصبت فيها هؤلاء الأوربيون كل شيء فى المستعمرات الإنسان والعقل والثروات والهوية ثم المعتقد الممثل فـى الإسلام الذى أرادوا به كيدا محاولين القضاء عليه ، ويشهد بذلك كتابهم أنفسهم مثل فرانتـز فانون فى كتابه (المعذبون فى الأرض) الذي كتبه سنة ١٩٦٧ ، فهو لا يتوقف فى هذا الكتاب عن نقده اللاذع للقوة المفرطة التي استخدمها هؤلاء المعتدون الأوربيون على الأوطان الآمنة بما فيها نقض لإنسانية للسكان الأصليين وينتقد ما يتذرع به أولئك المستعمرون من مبررات تدخل فى نطاق النزعة الإنسانية والارتقاء بالإنسان مادياً وروحياً وهي نفس الطريقـة التـي سار عليها أجدادهم فى الحرب الصليبية لما رفعوا شعارات طرحوها للفرسان والنبلاء وكـذلك

للعامة من التحسن المادي وغفران الذنوب والخطايا فى حالة الاستيلاء على أرض اللبن والعسل وكذلك على المكان الذي صلب فيه المسيح وسار فيه واغتسل من مائه ومـا إليـه، فيقول هذا الكاتب[1]"دعونا من أوربا هذه التي لا يتوقفون فيها عن الحديث عن الإنسان ومـع ذلك يقتلون البشر أينما وجدوهم ، على ناصية كل شارع من شوارعهم وفى كـل ركـن مـن أركان المعمورة ، إنهم يجثمون منذ قرون على صدور البشريةكلها تقريباً باسم ما يـسمونه "التجربة الروحية".

ولكن أين الروحية والمعاملة الطيبة من أولئك الذين يعـادون الإنـسان بكـل المقـاييس وينظرون إليهم نظرة ازدراء واحتقار خاصة من المسلمين واعتبروهم حشرات يدوسون عليهم بأقدامهم لا تفكير لهم ولا عقل ولا حضارة ولا هوية ومن هنا اتبعوا أقذر وسائل العنف فـى القضاء عليهم ظلماً وتجبراً وعداء حتى الإنسانيةالتي طالما يتشدقون بها أو الحرية والمساواة والإخاء والحب والشرف والوطنية، تلك الشعارات التي صدعوا أدمغتنا بها وهم في ذات الوقت تعالوا على كل من احتلوهم وقالوا عن الزنوج أقذار وعن العرب والمسلمين أنجاس[2]وخرجت كل هذه الافتراءات والضغائن فى صور متعددة من التعدي والظلم[3] أو مـا يـسميه الـبعض بنظرية التقويض وما ذلك إلا للعقد النفسية التي كثـرت فـى ذلـك المـستعمر- معـذرة - المستخرب فانظر معي إلى إنعدام الرحمة والرفق ضد العسكريين والمدنيين على حد سواء فى الجزائر مثلاً بلد المليون شهيد إذ وقف القائد الفار روفيجو الفرنسي نادى فى قواته أنه يلزمه أجمل مساجد المدينة ليجعل منه معبداً لإله المسيحيين وطلب من قواته إعداده فى أقصر وقت ممكن فاختاروا له مسجد القشاوة فى الجزائر وهوفى وسط المدينةوفى يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٨٣٢ تم تنفيذ العمل إذ تقدمت القوات إلى المسجد فهاجمت أبواب المسجد بالبلط والفئـوس وانهالت علىرءوس من فيه من المصلين وكانوا حوالي ٤٠٠٠ آلاف مسلم قتلـى وصـرعى تحت أرجل الجنودالفرنسيين الذين استخدموا كافة الأسلحة في سبيل ذلك وصار المسجد بعدها

---

[1] راجع روبرت يانج : أساطير بيضاء ، كتابة التاريخ والغرب ترجمة أحمد محمود سلسلة الفكر مكتبة الآسرة القاهرة سنة ٢٠٠٥ صـ٢١٦.

[2] المرجع السابق صـ٢٦٨.

[3] عن بعض ما فعله المستعمرون فى عالم الاسلام راجع محمد الغزالى: الاستعمارأحقاد وأطماع ، دار الكتـب الإسلامية القاهرة سنة ١٩٨٣ ،الطبعة الثالثة.

كاتدرائية الجزائر فهذه الصليبية القديمة الجديدة التي إن لم تقض على الإنسان فإنها تريد منه أن ينسلخ من هويته وعقيدته وتعمل جاهدة من أجل ذلك فلما وقف بوجـو سـكرتير الحـاكم الفرنسي في الجزائرفي نفس هذا المسجد وهو يقول من على المنبر: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح ونحن إذا امكننا الشك فـي أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أية حال أنها قد ضاعت من الإسـلام إلـى الأبد أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً "[1]

ولكن هيهات هيهات فقد مرت عشرات بل مئات السنين والإسلام باق والعـرب مـسلمون متمسكون بدينهم رغم محاولاتكم وصليبيتكم المقيتة التي أورثتموها لأجيالكم ويجهد بابـاواتكم أنفسكم في إرضاعها لكم، أليس هذا منطق البابا الحالي بابا الفاتيكان تلك الدويلة التي تـضع نصب عينها القضاء على الإسلام وأهله وتنفق في ذلك الأموال الطائلة من أجـل التبـشير أو التنصير وتتحالف مع قوى الشر والإرهاب وعلى رأسها أمريكا من أجل تحقيـق ذلـك وهـم بدورهم يحاربون الإسلام في شخص محمد (ﷺ)رسول السلام ونبي الرحمة ويقولـون مـا لا يعلمون بما يؤكد لنا التواصل التاريخي في فكرةهدم الإسلام وأهله وإلا لماذا تعمق البابا فـي الماضي ليأتي بنصوص عن امبراطور بيزنطي يسيء لمحمد (ﷺ)وما ذلك إلا لوصل الماضـي الصليبي الأسود بما لا يخالفه صليبوا اليوم في الإجرام والانتقام غير المبرر من المـسلمين ، ومن العجيب أنه يتحدث عن عنف محمد واستخدامه السيف وهو يرى ويسمع بل يخطط ويدبر مع الساسة كيفية القضاء على الإسلام وأهله باستخدام أحدث الأسلحة والمـواد الفتاكـة دون رحمة أو هواده، كل ذلك يدل على صليبية عمياء وعقول متحجرة لا تعي الواقـع ولا تحـسن حتى ربطه بالماضي فلو فكر هذا البابا قليلاً ما تفوه بهذه الكلمات فرغم ما يعرفه من مـآس حديثه للإسلام والمسلمين على أيدي النصارى واليهود فقد ظل الإسـلام عاليـاً والمـسلمون يزدادون كل يوم ، ليس في العالم الثالث كما يسمونه بل في أوربا نفسها دون أن يرفع سـيف أو تستخدم قنبلة ولكن انظروا أنتم إلى ما فعلتموه بمعداتكم في العصور الوسطى والحديثة فما هي إلا همجية وبربرية وصليبية ، وما كان انتشار الإسلام بهذه الصورة إلا بأخلاقيات عاليـة

---

[1] محمد الغزالي : المرجع السابق ٢٣-٢٤.

وسلوكيات راقية للمسلم اتبعها ويتبعها حتى لو اضطر إلى دخول حرب ضد افتـراءاتكم فـي الخطاب والممارسة.

وهذه الأخلاقيات العفنة التي أفرزت جرائم إنسانية ضد المسلمين فى عهـود الاسـتخراب تستمر وتزداد سوءاً فى عهود أحفادكم من مستخربي الوقت الحاضر على المستوى الفـردي وعلى مستوى الحكومات وقادة الحرب الذين لا خلاق لهم ولا أخلاقيـات سـائرون بغطرسـة شديدة وتجبر منقطع النظير يرتكبون جرائم الواحدة تلوالأخرى ، وما جرائم أمريكا فى العـالم أجمع بخافية على أحد فإنها منذ أن ظهرت كقوة سياسية كبيرة خاضت وتسببت فـى حـروب كارثية وصلت إلى أكثر من سبعين حرب فى العالم أشهرها جميعاً حرب فيتنام ثم هجمتهم على العالم الإسلامي تلك الهجمةالبربرية التي جسدت بالفعل كراهية شديدة وعدوانية لا حدود لهـا وإرهابية لا مثيل لها من جانب الرؤساء والقادة الأمريكان وصليبية موروثة أفـرزت خراباً ودماراً على كل المستويات فما نسمع به ونراه على شاشات التلفاز وفى الفـضائيات وعلـى شبكة الإنترنت كثير كثير وما نراه ونسمعه ونقرأه قليل من كثير يحـدث علـى تلـك الأرض الإسلامية نتيجة ملاحقة القوات الأمريكية المحتلة لرجال الإعلام ، لعلمهم بأنهم الوسيلة التي تفضحهم على رءوس الأشهاد ، وتفضح كذب إدعاءاتهم وما يطلقونه من مبررات لا أسـاس لها من الصحة مثل استهدافهم حفظ الأمن والسلام فى العراق وإشاعة الديمقراطية المفقـودة ومالي ذلك من إدعاءات مقصود بها إبادة المسلمين وزرع الفتنة بينهم وإضعافهم فى النهاية وإفقارهم بنهب ثرواتهم وخاصة النفط منه .

إن ما يفعله الساسة الأمريكان فى العراق اليوم يجسد بحق صليبية قذرة ، استغلت كل الطرق والوسائل لإبادة شعب مسلم تحت شعارات كثيرة سرعان ما يكتشف كذبها ، ولم تنج القـرى الصغيرة الآمنة من هذه الحرب مما يدل على الهدف لدى هؤلاء الصليبيين فما الحكمـة مـن محاصرة القرى والمدن الصغيرة بكل أنواع الأسلحة البرية والجوية واستخدام حتى الأسـلحة المحرمة دولياً وأهلها عزل من السلاح ليس لهم ما يدفعون به ، ورغم ذلك يـصب الجنـود الأمريكان جام غضبهم بأوامر عليا على المدنيين والآمنين ويأتون علـى الأخـضر واليـابس ويخربون المنشآت ويدمرون البنى التحية لترکيع السكان فإذا دخلوا المدينة أو حتـى القريـة يكون تدمير المباني والديار بالمتفجرات سمة وقتل المدنيين عادة وإذلال الأسـرى وانتهـاك الحرمات لذة وترويع الأطفال والنساء لهواً ولعباً وتسلية، وفى الأسر فرصة للتسلط وإظهـار

الحقد والكراهية، أليس فى هذا عمليات انتقامية وإبادة بشرية وجرائم ليس لها مثيل لمن يدعون التحضر والمدنية وهم فى ذلك همج رعاع ومنحطي الأخلاق عديمي الضمير ، ليس لهم من الإنسانية شيئاً فهؤلاء الذين جاءوا إلى العراق بحجة امتلاك صدام والعراق لأسلحة الدمار الشامل فإذا بهذا الزعم ستاراً لأحقاد وضغائن وأطماع صمموا على تحقيقها بشتى الوسائل ومنها استخدام أسلحة الدمار الشامل والثابت استخدامها فى حرب العراق الدائرة الآن حتى قبل ذلك فيما يعرف بعاصفة الصحراء وتحرير الكويت فقد استخدم الأمريكان القنابل العنقودية تلك القنابل كثيرة الأنواع والأصناف ولكنها جميعاً عندما تطلق تنشطر إلى آلاف القنابل الصغيرة التي فيها ما ينفجر وأغلبها لا ينفجر عند ارتطامه فى الأرض ويظل لمدة ومن ثم تكن خطورتها على المدنيين والأطفال بالذات كما استخدمت أمريكا الصواريخ المحملة بروس اليورانيوم المنضب "المستنفذ" التي تقذف من خلال المدرعات ويخرج منها غبار مشع وسام كيماوياً يؤدي إلى أثار خطيرة على البيئة وصحة الإنسان ويستمر ذلك لأجيال فتظهر خطورة ما يصاب به الإنسان من أمراض جراء إطلاقها مثل السرطان والأمراض الجلدية وكذلك أمراض الدم والأمراض الإنجابية ، كما استخدم الأمريكان أيضاً أسلحة الوقود والهواء ومنها القنابل الوقودية أو الرذاذية، تلك التي عند إطلاقها تفرغ أبخرة خارقة تعمل على نشر سحابة رذاذية من الوقود شديد الإلتهاب على ارتفاعات منخفضة، وعند اشتعال هذه السحابة الرذاذية تحدث انفجارات شديدة جداً تؤدي إلى إحداث خلخلة هوائية شديدة مما يحدث تفريغاً للهواء فى المنطقة ، فيتسبب فى قتل كل ما هو موجود فى المنطقة من أحياء وهي بهذا يشبه تأثيرها تأثير قنبلة نووية صغيرة وقد ثبت استخدم الأمريكان لها ضد المسلمين فى أفغانستان والخليج ، فما تريدون من وراء كل هذه الأسلحة هل تريدون نشر الأمن والأمان أم تريدون الحفاظ على الحرث والنسل ، والله إنها لاعتداءات غاشمة ما أردتم منها إلا الفساد فى الأرض والقضاء على المسلمين وما خضتم هذه الحرب إلا بإخلاق ذميمة وأحقاد دنيئة للتخلص من عدو اخترعتموه لأنفسكم من أجل مصالحكم وأنانيتكم لا من أجل شيء آخر ، أين هذه الأخلاق من أخلاقيات المسلم فى مثل هذه المواقف التي فرضت عليه إذ كان حريصاً على الإصلاح فى الأرض وعدم الفساد حريصاً كل الحرص على المدنيين وعدم المساس بهم طالما أنهم لم يساعدوا الحربيين وذلك طمعاً فى هدايتهم ، فمن بالله عليكم الإرهابي ذلك الذي يروع الآمنين وينتهك الحرمات ويستخدم أفتك الأسلحة وأكثرها تدميراً لإبادة البشر بل والأخضر واليابس أم

هذا الذي حارب حرباً نظيفة حمىفيها الناس والزرع والضرع وعمل جاهداً على هدايتهم ودعوتهم للإسلام، وإذا كنتم أنتم أيها القادة والرؤساء قد خططتم بهذه الطرق الشيطانية والأساليب الرخيصة والسلوكيات المنحطة وأمرتم جنودكم بتنفيذها فما ينتظر ممن شحنتموهم بالكراهية وأرضعتموهم التشفي من الأعداء؟! فلا ينتظر من هؤلاء إلا أخلاقيات ذميمة وسلوكيات مشينة وعقد نفسية لا حصر لها فتأمل ما أصاب أهل العراق غير القتل والأسر والتشريد والمعاملة السيئة للمدنيين والتي وصلت إلى حد انتهاك الحرمات، وانظر إلى تلك المجندة الأمريكية التي صعدت وزميلها إلى إحدى حافلات المدارس فى مدينة الموصل بعد أن أوقفا الحافلة وأرغما الطالبات من معهد المعلمات بالمدينة على خلع حجابهن وكشف صدورهن وذلك بعد تهديدهن ورمتهن المجندة بوابل من الألفاظ النابية وأنزلوا سائق الحافلة وقيدوه وعصبوا عينيه كل هذا وهم لا يرعون فى البنات صراخهن وعويلهن واستنجادهن وظلت الطالبات محجوزات لمدة ثلاث ساعات ولم يفرج عنهن إلا بعد أن هددت مديرة المعهد بإثارة الأهالي والرأي العام.

ولنأخذ مثلاً على سوء المعاملة للأسرى من المقاتلين والمدنيين على حد السواء فى سجون أمريكا داخل وخارج العراق مثل سجن جوانتامو وسجن أبو غريب وسجن كروبر بمطار بغداد تلك السجون التي كانت أسوأ ما عرفت البشرية من حيث الإعداد ومعاملة الأسري مما يهدر كرامة الإنسان وما جاءنا على شاشات الفضائيات والشبكة العنكبوتية ما لم نستطيع سرده الآن ولكن سنأخذ نماذج فقط بالنسبة للمعاملة السيئة واللاانسانية للأسير ، فهل أتاك نبأ تلك المجندة الأمريكية المصابة بكل الأمراض النفسية "ليندى إنجلاند" التي أساءت للأسرى العراقيين وسحبت أحداهم عرياناً بحبل وكان هذا الأسير يتلوى على الأرض وهي متلذذة بما تراه ما هذه السادية البشعة ؟ ثم صورة بشعة لهذا المجندة وهي تقف أمام كوم من الأسرى فوق بعضهم البعض وكأنهم فى أوضاع مخلة، ما أحط ما ترتب عليه ونشأت فيه تلك المجندة من أخلاق! وهي هي نفسها تلك المجندة "ليندى إنجلاند" بأخلاقها الفاسدة التي تعرضت فى نفس السجن للدكتور قاسم القرشي الأستاذ بجامعة بغداد لشتى أنواع التعذيب حيث قامت بخلع أسنانه "بالكماشة" وإطفاء سجائرها فى كل جزء بجسده فى أذنيه وداخل فمه وفوق وتحت لسانه فى وجهه وصدره وبمناطق متفرقة من جسده، يقول الدكتور قاسم رأيت فى معتقل أبو غريب أسوأ ما يراه بشر من إهانة وقهر وتعذيب وألم، فقد كانت "ليندى" تعصب عيني بعصابة

سوداء وتجردني من ملابسي وتقيد يدي وقدمي وتترك كلابها تنهش لحمي وتمزقني ، كنت أرى وأسمع العراقيين وهم يذبحون تجز رقابهم فيلفظون آخر أنفاسهم وفى الوقت نفسه أعتقل شقيقي الدكتور "حسن" أثناء إلقاء خطبة الجمعة بأحد المساجد لأنه كان يحث المقاومة على الصمود وقامت القوات الأمريكية بحقنه بمادة أصابته بالشلل حتى الآن! خرج الدكتور قاسم بأعجوبة من سجن أبو غريب ووجد نفسه وقد وضع اسمه على قائمة التصفية الجسدية فلم يجد أمامه سبيلاً إلا الرحيل من الوطن تلك الأرض التي عاش فيها عمره كله بمرارته وقسوته وأوجاعه وأحلامه وآماله.

هذا هو ما أدى إليه سوء أخلاقكم وحروب اعتديتم بها ظلماً وعدواناً على المسلمين فأي سلام تريدون أم أي إصلاح تقصدون أوحرية إليها تنطلقون؟ والله إن أخلاقكم هذه وقذارة حروبكم لا تنتج إلا حقداً وكراهية بين البشر وأظلاماً فى الكون بسبب إفسادكم فيه، وعدم عنايتكم بالبشر وما يكفل لهم حياة آمنة ومستقرة، فبئست الأخلاق أخلاقكم وهلكت حضارة مثل حضارتكم تريدون فرضها فرضاً على المسلمين أين هذه الأخلاقيات الفاسدة فى التعامل مع البشر رؤساء وخواص وعوام من أخلاق المسلمين الذين حرصوا على حسن المعاملة مع الجميع حتى الأسير لقى أحسن معاملة قارنوا بين ما عرضناه وبين ما فعلتموه أنتم رؤساء وقادة وجند عاديين فى أهل العراق رئيساً وشعباً ، لقد ارتكبتم فى حقهم أبشع الجرائم الإنسانية ولم تحققوا حتى واحد شعارتكم وهي حرية الإنسان وأي حرية حققتموها للمسلم فى الماضي والحاضر أو حتى تركتموهم بحرياتهم فوالله ما أردتم بتسلطكم هذا إلا الإنتهاء على تلك الحريات سواء كانت سياسية أو فكرية أو دينية أو حتى الحريات الشخصية[1] وما جئتم أنتم أيها الغربيون منذ بداية استخرابكم للعالم الإسلامي وحتى الآن إلا بما يدمر هذه الحريات وبما يقضي على الحقوق الإنسانية التي كلها الإسلام للمسلم وغيره من حقه فى الحياة وحق فى الحرية والمساواة والعدالة والانتصاف ... الخ.

---

[1] عن الحريات وحقوق الإنسان فى القانون الدولى الذى انتهكه هؤلاء راجع محمد الغزالى : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الامم المتحدة ، دار الدعوة . القاهرة سنة ١٩٩٣ ط١، توفيق وهبة :الحرب في الاسلام وفى المجتمع الدولى المعاصر ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ١٣٩٣ هـ، صفحات المتفرقة.

وتعاونتم فى ذلك على مع أعداء الله والمسلمين والبشرية أولئك اليهود الذين يعملون بجد ضد المسلمين بأخلاقيات لا ولم تختلف عن أخلاقكم فكلكم سواء طالما أن العدو هو المسلمين ، فتاريخ هؤلاء القوم مع الإسلام والمسلمين صفحات مليئة بالتسامح اللا محدود من جانب المسلمين والمكر والخديعة والدس والوقعية والمؤامرة من جانب هؤلاء كما رأينا ولكنهم اليوم وبعد أن مكنتم أنتم لهم فى قلب عالم الإسلام بوعد "بلفور" المشئوم ، خاض المسلمون ضدهم حروباً من أجل استعادة الأرض المحتلة وما زالوا ، تمسك فيها المسلمون بأخلاق أجدادهم ولكن يهوداً استعملوا أقذر الطرق وأحط الأخلاق من أجل التمكين لأنفسهم فى ما احتلوا من الأرض مستبدلين الصدق بالكذب والنفاق والرحمة بالعنف مع المجاهدين والمدنيين على حد سواء والوفاء بالغدر والخديعة والالتزام بالعهود والمواثيق بنقضها وعدم احترامها أوتجاهلها تماماً استناداً على ما تمتعوا به من دبلوماسية المصالح والسيطرة على المؤسسات العالمية سياسياً واقتصادياً، متخذين الأمريكان والإنجليز ردءاً لهم فى هذه المحافل ، فجاءت حروبهم كلها قذرة بمعنى الكلمة ، كان هدفهم الأول القضاء على أصحاب الأرض قضاء مبرماً بل وضعوا خططاً للتوسع بهذا الكيان من الفرات إلى النيل جاهدين فى تحقيقه باذلين فى ذلك كل شيء راكبين إليه طرق الزيف والخداع والقهر والقسوة من التصفية الجسدية أو الإبادة الجماعية واضعين فى أذهانهم أن طريق القتل هو الطريق المؤدي بهم إلى خلخلة الوضع الديموجرافي فى المنطقة، وما فعلته عصابات الهاجاناه من قتل جماعي وإتلاف للمزارع خير شاهد على ذلك ومذابح قانا وديرياسين وصبرا وشاتيلا ... الخ.

ومن هنا تجلت أمراض اليهود النفسية من الاستعلاء أولاً بصفتهم شعب الله المختار وحب الانتقام والتشفي ثانياً بالقهر أو الغدر أو الخيانة ليغتالوا بهذه الأخلاقيات إحسان المسلمين إليهم فى سابق عهدهم بل الاعتداء على أراضيهم ومحاولاتهم المستميتة لتوسيع هذا المكان اللقيط. وحروبهم مع المسلمين فى سنة ١٩٤٨، سنة ١٩٥٦ ، سنة ١٩٦٧ ، سنة ١٩٧٣ أثبتت بحق هذه الأخلاقيات السيئة لليهود واتباعهم أسلوب الغاية تبرر الوسيلة فلا حلال عندهم ولا حرام ولا أخلاق حسنة وأخرى سيئة فكل شيء عندهم جيد إذا حقق ما يصبواإليه ويؤمن وجودهم وجرائم اليهود فى حق المسلمين وشعب فلسطين لا تخفى على أحد وجنرالات اليوم الذين يحكمون إسرائيل كانوا هم أبطال قصص الانتقام والتشفي والغدر والخيانة وإساءة الأدب والتطهير العرقي والإبادةالجماعية ، وهم هم أنفسهم الذين استخدموا أحط الوسائل التي

من شأنها إضعاف المسلمين وكسر شوكتهم ومازالوا يمارسونها حتى الآن ، ومـا اسـتعمال القوة والاعتداء على الآمنين من المدنيين بكافة الأسلحة حتى المحرمـة منهـا دوليـاً ضـد الفلطسنيين واللبنانيين لأصدق دليل على ما نقول وهو ما تعترف به إسرائيل نفـسها ويـذاع علنا فى تلفازهم وصحفهم وما تذيعه الفضائيات وما تنشره منظمات حقوق الإنسان العالميـة أن إسرائيل تستخدم – كما استخدم الأمريكان – القنابل العنقودية والقنابل الفسفورية وما يقال عنها الذكية والمسمارية ويؤكد هذا الكلام ما أذيع فى وسائل الإعلام مـن أن أحـد الخبـراء العسكريين رجح أن تكون القنبلة التي ألقيت على قانا فى يوم الأحـد ٢٠٠٦/٧/٣٠م وأودت بحياة أكثر من ٥٠ شخصاً من المدنيين تشبه القنابل الحارقة الذكية التي ضـربت تورابـورا بأفغانستان وأن يكون وزنها قرابة طن من المتفجرات ولم يستبعد إحتوائها على اليورانيـوم المنضب.

وذكرت صحيفة الأهرام المصرية بعددها الصادر يوم ٢٠٠٧/٧/٣١م أن القوة التدميريـة الكبيرة للصواريخ الإسرائيلية التي تستخدم لاختراق الموانع والتحصينات والملاجئ ترجع إلى أنها تحمل رءوساً من التنجستين أواليورانيوم المنضب وأن هذه الصواريخ قد استخدمت لأول مرة فى حرب الخليج ثم فى أفغانستان.

وهوما يؤكد لدينا تحالف قوى الشر ضد المسلمين فى التعاون بـين إسـرائيل وبريطانيـا وأمريكا، أمريكا الممولةلإسرائيل بما تحتاجه من أسلحة دمار وبريطانيا الموصـلة والمحطـة التي تمول منها الطائرات الأمريكية المتجهة إلى إسرائيل كما أعترفت بذلك صـحيفة الـديلي تليجراف البريطانية وذلكً أثناء الحرب على لبنان.

وللأسف الشديد كان استعمال مثل هذه الأسلحة المحرمة دولياً ضـد المـدنيين العـزل مـن الفلسطيين واللبنانيين الذين وضعهم اليهود نصب أعينهم من أجل التوازن الديموجرافي فـى المنطقة، وقد أصدر قادتهم أوامرً باستخدام كافة هذه القنابل وهم على يقين أنها ستحدث خراباً ودماراً فى المناطق المستهدفة من المدن والأراضي شاملة الإنسان والمنشآت بل والمزروعات ليهلكوا الحرث والنسل مفسدين فى الأرض وغير هذا استعمل اليهود الغازات السامة والمسيلة للدموع والمبيدات المميتة التى ترش بها المزارع وهو ما قد سمعته بأذنى فى أحـد بـرامج قناةالجزيرة من أحد المتصلين من الفلسطنيين من بئر السبع فى صحراء النقب والذي أكد بأن

الإسرائليين يرشون المزارع بالمبيدات السامةويقول بأن الأطفال يموتون بطريقة ملفتة للنظرفىالسنوات الحالية نتيجة لذلك .

ولنأخذ لقطة أخرى من سوء أخلاق هؤلاء اليهود وهي معاملتهم للأسرى من المسلمين ممن يقبع فى سجونهم من الأسرى يرى كل أنواع العذاب وسوء المعاملة باللسان والأيدي والأرجل ... إلخ.

ومن كانت تضيق بهم السجون تطاله شهوة الإفساد وإهلاك الذرية عند اليهود كان القتل الوحشي من نصيبه ولذلك شواهد كثيرة فى حروبهم المتعددة مع المسلمين ، فأقدموا بدم بارد وعدم إحساس بالعطف على الذين قدر الله أن يقعوا فى أيديهم أسرى أذلاء ضعفاء فانظر مثلاً الفيلم الوثائقي الذي أذاعه التلفزيون الإسرائيلي على قناته الأولى بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٣م عن وحدة عرفت باسم شكيد كان يقودها السفاح اليعارز فى سيناء المصرية والتي تؤكد أن الإسرائيليين ارتكبوا كل المحرمات ضد الإنسانية بدم بارد فقد كانوا يأمرون الأسرى بالإنبطاح أرضاً بعد أن يحفروا مقابرهم بأيديهم ثم يسيرون الدبابات فوق أجسادهم ، وهناك من كان لا يجد وقتاً للقتل وما إليه فيقوم بدفنهم أحياء وقامت هذه الوحدة اللانسانية والتي كانت تضم كلاباً ضارية بل حيوانات كاسرة بقتل ما يزيد على ٢٥٠ مصرياً أسيراً فضلاً عما كان يجدونه من المدنيين والمحاجر فى سيناء وغيرها وكل هذا أكدته الحكومة المصرية فى سنة١٩٩٥م بعثورها على مقابر جماعية كثيرة فى سيناء بالقرب من العريش وغيرها من الأماكن ، بما يؤكد لنا وجود سجل حافل ملطخ بالدماء لهؤلاء اليهود الخونة ، ولكي تعرفهم أكثر انظر إلى هذا الخنزير الذي لا إحساس له ولا نخوة ولا مروؤة وهو المسمى "إريه بيرو" قائد الكتيبة ٨٩٠ مظلات فى حديث له مع جريدتي جيروزاليم بوست ومعاريف الإسرائيليتين يقول إنهم كانوا فى حرب سنة ١٩٥٦ يقتلون ما تصل إليهم أيديهم من أسرى مصريين وأنه قام وحده بإعدام ٤٩ عاملاً من العمال المصريين فى المحاجر قرب ممر متلا وأضاف فى نهاية شهادته التي أدلى بها سنة ١٩٩٤ للجريدتين أن عاملاً من هؤلاء العمال أصيب فى صدره وقدمه برصاصات ولكنه استطاع الهرب حتى تعب فوقع زاحفاً على الأرض ، فقمت بقتله وإلحاقه بزملائه ثم أردف قائلاً " ولست نادماً على ما فعلت ولا أشعر بوخز الضمير بل أنا فخور بما فعلت" فلا شك أنه يفخر لأن دولته ورؤسائه كانوا يكرمونهم على ذلك فيذكر أن موشيه ديان فى حرب ١٩٦٧ كان يكافئ بسخاء على مثل هذه العمليات مكافآت مادية وعسكرية كبيرة.

أكتفي بعرض ما يؤكد هذه الأخلاق القذرة والسلوكيات القبيحة التي لا تعبر إلا عن عــداء كبير للإسلام والمسلمين ورغبة جامحة لإبادتهم والاستيلاء على أراضيهم وثــرواتهم بأســوأ الأخلاق وأبشع الجرائم.

هذه هي أخلاقيات أعداء الإسلام والمسلمين وهدفهم الأكبر والأسمى هــو القــضاء علـــى الإسلام وأهله وتاريخهم الطويل مع الإسلام حافل بما يؤكد سيرهم بجدية وبذلهم المحــاولات المستميتة لتحقيقه بأي وسيلة شريفة كانت أم وضيعة وبأخلاقيات سيئة قبيحة دفعــتهم إلـــى أسوأ منها قبحاً من الوسائل ، وصدق الله سبحانه حين أخبرنا عن هؤلاء الأقوام أنهم سيظلوا هكذا معنا في قتال وحروب من أجل هذا الهدف "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ"[1] لن يرضوا عنا كما لم يرضوا عن رسوله (ﷺ)حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا "وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُــلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ"[2] بل أكثر من ذلك يدعوننا إلى معتقداتهم الفاسدة "وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [3] تلك الدعوة التي استغلت كل ما تعرض له المسلمون من أزمات مادية وتقديم العروض والإغراءات فى هذا السبيل فلا يجب أن ننخــدع لهؤلاء عروضهم وإغراءاتهم وتقاليدهم ولا زينة الحياة التي يحيون فيها. التي ملؤها الإنحلال الخلقي والفساد الذي زينوه لكثير من رجال أمتنا وشبابها على أنه تقدم وحضارة ومدنية، فهل نحن منتبهون لمثل هذا ، فليجدوا منا فهماً لهم ولنفسياتهم وفهماً أكثر لأهــدافهم ونوايـــاهم وليجدوا منا أيضاً استقامة ودعوة حسنة رغم ما تعانيــه مــنهم اقتــداء بالرســول الكــريم (ﷺ)ومصدقاً لقول رب العالمين "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُــدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" [4]

---

[1] آل عمران ١٠٠.

[2] البقرة ١٢٠.

[3] البقرة ١٣٥.

[4] آل عمران ٦٤.

• مكتبة البحث

• أولاً المصادر :ـ

• القرآن الكريم

- **الألوسى** (أبو الفضل محمود): روح المعانى فـى تفـسير القـرآن العظـيم والـسبع المثاني،أجزاء، دار إحياء التراث العربى ، بدون
- **ابن أبي شيبة** (أبوبكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي: المصنف فـى الأحاديـث والآثار ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض سنة ١٤٠٩ هـ الطبعة الأولى .
- **ابن الأثـير** (أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) :الكامل فى التاريخ ،أجزاء، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية بيروت.
- **ابن حبان** (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي) : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٩٩٣.
- **ابـن حجر** (أحمد بن على بن حجر العسقلانى) الإصابة فى تمييـز الـصحابة،أجزاء، تحقيق على محمد البيجاوى، دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ /١٩٩٢م
- **ابن حنبل** (**الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني**) : **مـسند** الأمام أحمد ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة بدون.
- **ابن خزيمة** (أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري): الكتاب الـصحيح لابن خزيمة ، تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمى ، المكتب الإسلامي ، بيـروت سـنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- **ابن سـعد** (أبو عبد الله محمد بن سعد بن البصري الزهري): الطبقات الكبرى ،أجـزاء، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت سنة ١٩٨٠ الطبعة العاشرة.
- ابن سيد **الناس**(محمد بن عبدالله بن يحيى):السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والسير ،جزءان،مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،بيروت١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **ابن عبد البر** (الحافظ يوسف بن عبد البر النمري): الدرر فى اختصار المغاري والسير ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٩١ الطبعة الثالثة .

- **ابن عبد ربه** (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي): كتاب العقد الفريد ،الجزء الأول، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ،إبراهيم الأبياري ، دار الأندلس ، بيروت سنة ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .
- **ابن قيم الجوزية** (الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي: زاد المعاد في هدى خير العباد ،الجزء الثالث، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، مكتبة المنار ، الكويت سنة ١٩٨٧ م الطبعة الخامسة عشر.
- **ابن كثير** (أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي): تفسير القرآن العظيم ، أجزاء، تحقيق سامي محمد سلامة ،دار طيبة للنشر سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م.
- ....: السيرة النبوية ،أجزاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة بيروت ١٣٣٦هـ / ١٩٧١م.
- ....: البداية والنهاية ،أجزاء، تحقيق على شيري ، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.
- **ابن ماجة** (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المشهور با بن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، بدون.
- **ابن منظور**: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت بدون .
- **ابن هشام** (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري) : السيرة النبوية،أجزاء، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون .
- **أبو الشيخ الأصبهاني**(أبو محمدعبد بن محمد بن جعفربن الأصبهاني):أخلاق النبي وآدابه،دراسة وتحقيق عصام الدين سيد الصبابطي، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة١٤١١هـ/١٩٩١م،الطبعة الأولى.
- **أبو داود**: (أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي): سنن أبو داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بدون.
- **أبو نعيم** (أحمد بن عبد الله الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،أجزاء، دار الكتاب العربي ، بيروت سنة ١٤٠٥ الطبعة الرابعة.

- **البخاري** (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري): الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق دكتور / مصطفى ديب البغا ، دار بن كثير اليمامة ، بيروت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٧٨م ، الطبعة الثالثة.
- ....: الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ الطبعة الثالثة .
- **البغوى** (أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي): تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة للنشر ، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م الطبعة الرابعة .
- **البيهقي** (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي): سنن البيهقي الكبرى ،تحقيق محمد عبد القادر عطا دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ....: شعب الإيمان ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٤١٠هـ الطبعة الأولى .
- **الترمذي** (محمد بن الترمذي السلمي): الجامع الصحيح ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون وقد استعنت بصحيح وضعيف الترمذي للمحدث محمد بن ناصر الألباني.
- **الحاكم** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري): المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٤١١هـ ١٩٩٠م الطبعة الأولى .
- **الحلبي** (علي بن برهان الدين الحلبي) :السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون،أجزاء، دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٠هـ
- **الخزاعي التلمساني** (أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعى التلمساني) :تخريج الدلالات السمعية علي ما كان في عهد رسول الله (ﷺ)من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤١٥ – ١٩٩٥م.
- **الدرامي** (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي): سنن الدارمي ، تحقيق فوزي أحمد رمزلي ، خالد السبع ، دار الكتاب العربي ، بيروت سنة ١٤٠٧هـ الطبعة الأولى .

- **الذهبي** (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي) سير أعلام النبلاء ،أجزاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وحسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- **السهيلى** (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى السهيلى):الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ،مجلدات ،تحقيق ،عمر عبد السلام السلامي٠ دار إحياء التراث العربي،بيروت١٤٢١هـ/٢٠٠٠م الطبعة الأولى.
- **الشوكاني** (العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني): نيل الأوطار ، شرح منتقي الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ،المجلد الرابع، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، بدون
- **الشافعي** (الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي): مسند الشافعي ، دار الكتب ، بيروت ، بدون.
- **الصالحي** (الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي) : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ،أجزاء، تحقيق ، عادل أحمد عبد الموجود ، على محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- **الطبري** (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي): جامع البيان فى تأويل القرآن ،أجزاء، تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م الطبعة الأولى .
- ....: تاريخ الأمم والملوك ،أجزاء، تحقيق نخبة من العلماء ، طبعة ليدن سنة ١٨٣٩م.
- **الطبرانى** (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى) : المعجم الكبير ، تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- .... : المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض ، وعبد المحسن بن إبراهيم ، دار الحرمين سنة ١٤١٥.
- .... : الروض الدانى – المعجم الصغير : تحقيق محمد سكور ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م الطبعة الأولى

- **عبد الرازق** (أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعانى): مصنف عبد الرازق ،تحقيق ، حبيب الرحمن الأعظمى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- **القاضي عياض**(عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي):الشفا بتعريف حقوق المصطفى،الجزء الأول،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- **القرطبى** (ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج القرطبى): الجامع لاحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربى، بيروت سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- **المزى** (أبو الحاج يوسف بن الذكى عبد الرحمن المزى):تهذيب الكمال ،أجزاء، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
- **مالك** (الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى) : موطأ مالك ، براوية يحيى بن يحيى الليثى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى مصر بدون.
- **مسلم** (الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى) : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون .
- **النسائى** (أبو عبد الرحمن أحمد شعيب النسائى): سنن النسائى الكبرى ، تحقيق عبد الغفار بن سليمان البندارى وسيد كسروى حسن ، دار الكتب العلمية ،بيروت سنة ١٤١١هـ /١٩٩١م.
- **النووى** (أبو زكريا محى الدين يحيى بن شرف الشافعى): رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان.

- **ثانيا المراجع :-**

- **توفيق وهبة** : الحرب فى الإسلام وفى المجتمع الدولى المعاصر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- **توفيق محمد سبع** : المجاهدون فى الله ، سلسلة البحوث الإسلامية الكتاب ٢٦ مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧١م.
- **شوقى ابو خليل (دكتور)** : بدر الكبرى يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان ، دار الفكر ، دمشق سنة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.
- **قاسم عبده قاسم (دكتور)**: الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية ،دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ١٩٩٩ م الطبعة الأولى.

- **الكاندهلوى (محمد يوسف)** حياة الصحابة ،أجزاء، ضبطه وصححه نايف العباسى ومحمد على دولة ، بدون .
- **محمد الغزالى** : خلق المسلم ،دار الريان للتراث القاهرة سنة ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م ، الطبعة الأولى.
- .... :الاستعمار أحقاد وأطماع ، دار الكتب العلمية ، القاهرة سنة ١٤٠٣، ١٩٨٣ الطبعة الثالثة .
- .... : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة دار الدعوة القاهرة سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣ الطبعة الأولى .
- **صلاح أحمد عيد (دكتور)**: نظرات فى تاريخ عرب الجزيرة قبل البعثة المحمدية ، القاهرة المنيا سنة ٢٠٠٠
- **يانغ (روبرت)** : أساطير بيضاء ، كتابة التاريخ والغرب ، ترجمة أحمد محمود ، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٥م.

المحتويات

الفصل الرابع.

أخلاقيات المسلمين مع الأعداء فى الحرب

الخاتمة

دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا
رقم الإيداع بدار الكتب
١٤١٤٠ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولي .I.S.B.N 977 - 397 - 163 - 5
أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية


Bibliotheca Alexandrina
0679859